التعليقات البهية

على الرسائل العقدية

حقوق الطبع محفوظة
ل «دار المنهاج»

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
الطبعة الثانية: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٢١٤٨م

منارة الإسلام للنشر والتوزيع

٨١ شارع الهدي المحمدي – أحمد عرابي – مساكن عين شمس – القاهرة مصر
جوال: ٠٠٢/٠١٢٠٥٥٤٠٤٢٢ - ٠٠٢/٠١١٤١١٤٦٣٣٦٦

E-mail:Manart.aslam@yahoo.com / Manart-aslam@hotmail.com

دار المنهاج

٨١ شارع الهدي المحمدي – من أحمد عرابي – مساكن عين شمس القاهرة - مصر
جوال: ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٨١ – ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٧٨ – ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤١١٣

E-mail: daralminhaj@yahoo.com / daralmenhaj@hotmail.com

التَّعْلِيقَاتُ البَهِيَّةُ

عَلَى الرَّسَائِلِ العَقَدِيَّةِ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

منارة الإسلام للنشر والتوزيع

دار المنهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق للطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ اللهَ ﷻ قد أمر جميع عباده بالدخول في الإسلام، والتمسك به، وأعلَمَهُم سبحانه أنه لا يَقبل منهم أن يدينوا بدينٍ عداه؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال جل في عُلاه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران:٨٥].

وحذَّرهم -تبارك وتعالىٰ- من الشرك؛ فقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة:٧٢].

وبعث نبيَّه المُصطفىٰ محمدًا ﷺ للدعوة إلىٰ التوحيد الخالص علىٰ حين فترة من الرسل - بعد أن نَظَر إلىٰ أهل الأرض فمَقَتَهُمْ عَرَبهم وعَجَمهم إلَّا بقايا من أهل الكتاب؛ لانتشار الشرك وظهور الكفر.

وأخبر ربُّ العِزَّة -جَلَّ في عُلاه- أنَّ مَن أطاعه ﷺ فقد اهتدىٰ.

وبيَّن جزاء مَن اهتدىٰ بما جاء به ﷺ، وعاقبة مَن أعرض عنه؛ قال سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٧].

والسبيل المُوصِّل إلىٰ لزوم صراطه سبحانه والثبات عليه هو العلم الشَّرعي؛ لذلك كان مِن أفضل الأعمال الَّتي يَتقرَّبُ بها العبدُ إلىٰ الله ﷻ.

ولمَّا كان طالبُ هذا العلم المبارك بحاجةٍ إلىٰ معرفة الأُصُول الَّتي تُيسِّر له هذا السَّبيل وتُذلِّله، وإلىٰ حِفْظ المُتُون الَّتي بحفظها يحوز الفُنُون قيَّض -اللهُ جَلَّ وعلا- لهذه المَهمَّة الجليلة رجالًا عُدُولًا ثقاتٍ أَخذوا علىٰ عواتقهم تيسير العُلُوم الشَّرعيَّة المختلفة لطُلَّابها، فاختصروها في مُتُونٍ، ثمَّ قاموا بشرحها والتَّعْليق عليها في شُرُوحٍ متباينةٍ بين مبسوطةٍ ومُتوسِّطةٍ ويسيرةٍ، حتَّىٰ يَجِدَ كلُّ طالبٍ بُغيته، وكلُّ مُريدٍ طِلْبته، فينتشر الخيرُ، ويعمُّ الفضلُ، وينهلُ كلٌّ مِن هذا علىٰ حسب استطاعته، وما حَبَاه الله تعالىٰ مِن الفهم.

ومِن ذلك مُتُون العقيدة الَّتي تتناول الاعتقاد الصَّحيح، الَّذي به ينجو العبدُ من عذاب ربِّه -جلَّ في عُلاه- والَّتي تتناول المسائل الَّتي حصل فيها تَفرُّقٌ في الجانبين عن الوسط الَّذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة؛ فمَنِ انْحَرف عن منهج السَّلف في أيِّ قضيةٍ من القضايا الَّتي تَضمَّنتها كُتُب العقيدة يكون هو الخارج عن المنهج السَّويِّ الوسط المعتدل.

وهذه الشُّرُوحُ تُبيِّن ما في هذه المُتُون من الدُّرر الفرائد، والمسائل الجليلة

والفوائد، وتُقيم الأدلَّة عليها من الكتاب والسُّنَّة وأقوالِ سَلَف هذه الأُمَّة.

ولقَدْ هيَّأ اللهُ تعالىٰ للأُمَّة في القرن الثَّاني عشر الشَّيخَ مُحمَّدَ بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فقام بدعوة التَّوحيد في الجزيرة العربيَّة، وكَتَب الله لها النَّجاح بعد جهادٍ مريرٍ وطويلٍ، وكان من جهاده رَحِمَهُ اللَّهُ تأليف المُؤلَّفات جليلة القدر، عظيمة النَّفْع.

ومن ضمن هذه المُؤلَّفات:

كتاب «التَّوحيد»، و«كشف الشُّبُهات»، و«الثَّلاثة الأصول»، «القواعد الأربع»، و«الأصول السِّتَّة»، و«نواقض الإسلام»، وغيرها من المؤلفات النافعة.

وقَدْ قام شيخنا العلامة المُحَدِّث أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ بالتَّعْليق علىٰ خمسة مُتُونٍ جليلةٍ للإمام المُجدِّد مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي:

«الثَّلاثة الأُصُول»، و«القواعد الأربع»، و«الأُصُول السِّتَّة»، و«نواقض الإسلام»، و«كشف الشبهات»، وأظهر الدُّرر الكوامن في هذه المُتُون الفرائد، بأسلوبِهِ الرَّقيق السَّلِس، ومنهجه الوسط في التَّعْليق بين الإيجاز والإطناب؛ فأجاد في ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ وأفاد؛ فجزاه الله خير الجزاء وأوفاه علىٰ ما قدَّم خدمةً لنصرة هذا الدِّين، ونَشْر العلم الشَّرعيِّ النَّافع في رُبُوع الأرض بين المسلمين.

❐ وَقَدْ تناولت هذه المُتُون الخمسة:

۞ **الأوَّل: «الأُصُول الثَّلاثة وأدلَّتها»**، الَّتي اشتملت علىٰ تقرير توحيد الرُّبوبيَّة، وتوحيد الأُلُوهيَّة، والولاء والبراء، وذكر الأُصُول الثَّلاثة الَّتي يجب

علىٰ الإنسان معرفتها، وهي:

١- معرفة الله سبحانه.

٢- معرفة دين الإسلام بالأدلَّة.

٣- معرفة النَّبيِّ ﷺ.

❁ **الثَّاني: «الأُصُول السِّتَّة»**، وقَدْ عنونَّاها بالعناوين التَّالية:

الأصل الأوَّل: الإخلاص.

الأصل الثَّاني: الأمر بالاجتماع والائتلاف والنهي عن التفرق والاختلاف.

الأصل الثَّالث: السَّمْع والطَّاعة لوُلَاة الأمر في غير معصيةٍ.

الأصل الرَّابع: بيان العلم والعلماء، وبيان من تَشبَّه بهم وليس منهم.

الأصل الخامس: بيان الله لأوليائه.

الأصل السَّادس: الرَّدُّ علىٰ شبهة: أنَّ القرآن والسُّنَّة لا يعرفهما إلَّا المجتهد المُطلق.

❁ **الثَّالث: «القواعد الأربع»: ويندرج تحتها:**

القاعدة الأولىٰ: إقرارُ مشركي مكَّة برُبُوبيَّة الله لم يُدخلهم في الإسلام.

القاعدة الثَّانية: ادِّعاء المشركين أنَّهم ما دَعَوْا آلهتهم إلَّا لطلب القُربة والشَّفاعة.

القاعدة الثَّالثة: ظهور النَّبيِّ ﷺ علىٰ أناسٍ مُتفرِّقين في عباداتهم.

القاعدة الرَّابعة: مُشْرِكو زماننا أغلظُ شِرْكًا مِنَ المشركين الأوَّلِينَ.

الرَّابع: نواقض الإسلام ونواقض الإسلام عشرة، وهي:

النَّاقض الأوَّل: الشِّرْك.

النَّاقض الثَّاني: اتِّخاذ الوسائط.

النَّاقض الثَّالث: ترك تكفير المشركين.

النَّاقض الرَّابع: اعتقاد أنَّ هَدْي غيره أكمل من هَدْيه ﷺ.

النَّاقض الخامس: بغض شيءٍ مِمَّا جاء به الرَّسول ﷺ.

النَّاقض السَّادس: الاستهزاء بشيءٍ من دين الرَّسُول ﷺ.

النَّاقض السَّابع: السِّحْر.

النَّاقض الثَّامن: مظاهرة المشركين علىٰ المسلمين.

النَّاقض التَّاسع: اعتقاد أنَّ أحدًا يَسَعهُ الخروجُ عن شريعة مُحمَّدٍ ﷺ.

النَّاقض العاشر: الإعراض عن دين الله تعالىٰ.

ولتكتمل الفائدة المَرجُوَّة أضفنا إلىٰ هذا الكتاب شرحًا آخر لرسالة «نواقض الإسلام» للإمام محمد بن عبد الوهاب- والتي قام بالتعليق عليها سماحةُ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد نُشرت هذه التعليقاتُ في مجلة البحوث الإسلامية بالرياض، العدد السابع الصادر في الأشهر (رجب وشعبان ورمضان وشوال)، عام ١٤٠٣هـ، ثم شرح فضيلةُ الشيخ أحمدُ

ابن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقات الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرحًا مختصرًا مفيدًا، مُقرِّبًا لمعانيه، ومُقيمًا علىٰ ما ذَكَرَ الأدلةَ من الكتاب والسنة.

الخامس: رسالة «كشف الشبهات»:

والتي اشتملت علىٰ ستة عشر فصلًا، دحض فيها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شبهات المشركين، والقبوريين، والمستغيثين بغير الله، وقد تناولها الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالشرح والتعليق.

هذا، وَقَدْ قام قسمُ التحقيق والبحث العلمي بـ«دار المنهاج» بالتعاون مع اللجنة العلمية لمؤلفات الشيخ العلامة المُحَدِّث أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإعادة طبع هذا السِّفْر القَيِّم: «**التعليقات البهية علىٰ الرسائل العقدية**» للمرَّة الثَّانية، وَقَدْ بذلنا جهدًا كبيرًا حتَّىٰ يخرج في هذه الصُّورة الَّتي لن يمضي وقتٌ طويلٌ علىٰ القارئ وهو يَتصفَّحه حتَّىٰ يلمسها؛ فعملنا علىٰ مراجعتِهِ مراجعةً لُغويَّةً دقيقةً، ومن ثَمَّ تحقيقه تحقيقًا علميًّا يليق به وبمكانة شيخنا النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❑ فجاءت هذه الطَّبعة -بتوفيق الله تعالى- مَزيدة، ومُصحَّحةً، ومُنقَّحةً، ومهذَّبةً، ومُحقَّقةً، وفريدة- وَفْقَ المنهجِ العلميِّ الآتي:

١- إثبات الآيات القرآنيَّة بالرَّسم العثمانيِّ وعزوها إلىٰ مواضعها في المصحف الشَّريف.

٢- تخريج الأحاديث بمنهجٍ مُوحَّدٍ، وَقَدِ اعتمدنا في التَّخريجات علىٰ كُتُب الحديث ذات التَّرقيمات المعتمدة؛ كترقيم محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

وَقَدِ اكتفينا بتخريج الحديث إِنْ كان في الصَّحيحين أو أحدهما بذكر رقمه، وإِنْ كان في غيرهما ذكرنا رقمه، أو رقم الجزء والصفحة، ثم أوردنا حُكم الشَّيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عليه غالبًا.

٣- تخريج الآثار من كُتُب التَّفاسير وكُتُب السُّنَّة.

٤- عزو النُّقُولات إلىٰ مصادرها من كُتُب أهل العلم.

٥- إثبات الأحاديث الَّتي أوردها الشَّيخ أثناء التَّعليق بالمعنىٰ من كُتُب السُّنَّة بألفاظها؛ لتتضح الفائدة من ذِكْرها، وهذا قليل جدًّا.

٦- شرح الغريب من كُتُب الشُّرُوح المُعتمدة وكُتُب اللُّغة.

٧- إيراد بعض التَّعليقات الَّتي رأيناها لازمةً لإيضاح المعنىٰ.

٨- وضع عناوين لفقرات الكتاب المشروح تيسيرًا علىٰ القارئ حتَّىٰ يصل إلىٰ بُغيته بيُسْرٍ.

٩- عمل مُقدِّمة بيَّنَّا فيها المنهجَ المُتَّبعَ في تحقيق هذا الكتاب المبارك.

١٠- عمل فهرس شامل لمحتويات الكتاب.

والله من وراء القصد، وهو المُوفِّق والهادي إلىٰ سواء السَّبيل.

وصلَّى الله على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين

اللجنة العلمية لمؤلفات العلامة أحمد النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ

قسم التحقيق والبحث العلمي بـ«دار المنهاج»

ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
للشيخ عبد العزيز بن باز(١)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ عبده ورسوله وخيرته من خَلْقه سَيِّدنا وإمامنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ والاه.

أمَّا بعد:

أيُّها الإخوان الفضلاء، أيُّها الأبناء الأَعزَّاء، هذه المحاضرة الموجزة أَتَقدَّم بها بين أيديكم تنويرًا للأفكار، وإيضاحًا للحقائق، ونصحًا لله ولعباده، وأداءً لبعض ما يجب عليَّ من الحقِّ نحو المحاضر عنه؛ وهذه المحاضرة عنوانها: «الشَّيخ الإمام محمد بن عبد الوَهَّاب؛ دعوته وسيرته».

لمَّا كان الحديث عن المصلحين، والدُّعاة والمُجدِّدين، والتَّذْكير بأحوالهم وخصالهم الحميدة، وأعمالهم المجيدة، وشرح سيرتهم الَّتي دلَّت علىٰ إخلاصهم، وعلىٰ صدقهم في دعوتهم وإصلاحهم، وأعمالهم وسيرتهم؛

(١) محاضرةٌ أَلْقَاها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي ضمن «مجموع فتاواه» (١/ ٣٥٤) بعنوان: «**الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب؛ دعوته وسيرته**»، وقد طبعناها في طبعة «دار المنهاج» بمصر في رسالة مستقلة.

مِمَّا تشتاق إليه النُّفُوس الطَّيِّبة، وترتاح له القلوب، ويودُّ سماعه كلُّ غُيورٍ علىٰ الدِّين، وكلُّ راغبٍ في الإصلاح والدَّعوة إلىٰ سبيل الحقِّ، رأيت أن أَتَحدَّث إليكم عن رجلٍ عظيمٍ ومصلحٍ كبيرٍ وداعيةٍ غيورٍ، أَلَا وهو الشَّيخ الإمام المُجدِّد للإسلام في الجزيرة العربيَّة في القرن الثَّاني عشر من الهجرة النَّبويَّة.

هو: الإمام محمد بن عبد الوَهَّاب بن سليمان بن عليٍّ التَّميمي الحنبلي النَّجدي، لقَدْ عرف النَّاس هذا الإمام، ولاسيَّما علماؤهم ورؤساؤهم وكبراؤهم وأعيانهم في الجزيرة العربيَّة وفي خارجها، ولقَدْ كتب النَّاس عنه كتاباتٍ كثيرةً ما بين موجزٍ وما بين مُطولٍ.

ولقَدْ أفرده كثيرٌ من النَّاس بكتاباتٍ حتَّىٰ المستشرقون كتبوا عنه كتاباتٍ كثيرةً، وكتب عنه آخرون في أثناء كتاباتهم عن المصلحين، وفي أثناء كتاباتهم في التَّاريخ، وصفه المنصفون منهم بأنَّه مُصْلحٌ عظيمٌ، وبأنَّه مُجدِّدٌ للإسلام، وبأنَّه علىٰ هدىً ونورٍ من ربِّه، وتعدادهم يشقُّ كثيرًا.

من جملتهم: المُؤلِّف الكبير أبو بكر الشَّيخ حسين بن غنام الأحسائي.

فقَدْ كتب عن هذا الشَّيخ، فأجاد وأفاد وذكر دعوته، وذكر سيرته وذكر غزواته، وأَطْنَب في ذلك، وكتب كثيرًا من رسائله واستنباطاته من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

ومنهم الشَّيخ الإمام عثمان بن بشر في كتابه: «عنوان المجد»، فقَدْ كتب عن هذا الشَّيخ، وعن دعوته وعن سيرته، وعن تاريخ حياته، وعن غزواته وجهاده.

ومنهم خارج الجزيرة الدكتور أحمد أمين في كتابه: «زعماء الإصلاح»، فقد كتب عنه وأنصفه.

ومنهم الشَّيخ الكبير مسعود عالم الندوي، فقَدْ كتب عنه وسَمَّاه: «المصلح المظلوم»، وكتب عن سيرته، وأجاد في ذلك.

وكتب عنه أيضًا آخرون، منهم الشَّيخ الكبير الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني.

فقَدْ كان في زمانه، وقَدْ كان علىٰ دعوته، فلمَّا بلغه دعوة الشَّيخ سُرَّ بها، وحمد الله عليها.

وكذلك كتب عنه العَلَّامة الكبير الشَّيخ محمد بن علي الشوكاني صاحب «نيل الأوطار» ورثاه بمرثيَّةٍ عظيمةٍ، وكتب عنه جمعٌ غفيرٌ غير هؤلاء يعرفهم القُرَّاء والعلماء.

ولأجل كون كثيرٍ من النَّاس قَدْ يَخْفىٰ عليه حال هذا الإمام وسيرته ودعوته، رأيت أن أُسْهِم في بيان حاله، وما كان عليه من سيرةٍ حسنةٍ، ودعوةٍ صالحةٍ، وجهادٍ صادقٍ، وأن أشرح قليلًا مِمَّا أعرفه عن هذا الإمام حتَّىٰ يَتبصَّر في أمره مَنْ كان عنده شيءٌ من لبسٍ، أو شيءٌ من شكٍّ في حاله ودعوته، وما كان عليه.

وُلِدَ هذا الإمام في عام ١١١٥ هجرية؛ هذا هو المشهور في مولده رحمة الله عليه، وقيل في عام ١١١١ هجرية، والمعروف الأوَّل أنَّه وُلِدَ في عام ١١١٥ هجرية، علىٰ صاحبها أفضل الصَّلاة وأكمل التَّحيَّة.

وتَعلَّم علىٰ أبيه في بلدة العُيينة، وهذه البلدة هي مسقط رأسه -رحمة الله عليه- وهي قريةٌ معلومةٌ في اليمامة في نجد شمال غرب مدينة الرِّياض، بينها وبين الرِّياض مسيرة سبعين كيلو مترًا تقريبًا، أو ما يقارب ذلك من جهة الغرب.

وُلِدَ فيها -رحمة الله عليه- ونشأ نشأةً صالحةً، وقرأ القرآن مبكرًا، واجتهد في الدِّراسة، والتَّفقُّه علىٰ أبيه الشَّيخ عبد الوهَّاب بن سليمان -وكان فقيهًا كبيرًا وعالمًا قديرًا، وكان قاضيًا في بلدة العيينة- ثمَّ بعد بلوغ الحُلُم، حَجَّ وقَصَد بيت الله الحرام، وأَخَذ عن بعض علماء الحرم الشَّريف.

ثمَّ تَوجَّه إلىٰ المدينة -علىٰ ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام- فاجتمع بعلمائها، وأقام فيها مُدَّةً، وأخَذَ من عالِمَيْن كبيرين مشهورين في المدينة ذلك الوقت.

وهما: الشَّيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النَّجدي، أصله من المجمعة، وهو والد الشَّيخ إبراهيم بن عبد الله صاحب «العذب الفائض في علم الفرائض»، وأَخَذ أيضًا عن الشَّيخ الكبير محمد حياة السندي بالمدينة.

هذان العالمان مِمَّنْ اشتهر أَخْذ الشَّيخ عنهما بالمدينة، ولعلَّه أَخَذ عن غيرهما مِمَّنْ لا نعرف.

ورحل الشَّيخ لطلب العلم إلىٰ العراق، فقصد البصرة، واجتمع بعلمائها، وأَخَذ عنهم ما شاء الله من العلم.

وأظهر الدَّعوة هناك إلىٰ توحيد الله، ودعا النَّاس إلىٰ السُّنَّة، وأظهر للنَّاس

أنَّ الواجب علىٰ جميع المسلمين أن يأخذوا دينهم عن كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، وناقش وذاكر في ذلك، وناظر هنالك من العلماء، واشتهر من مشايخه هناك شخصٌ يُقَال له: الشَّيخ محمد المجموعي.

وقَدْ ثار عليه بعض علماء السُّوء بالبصرة، وحصل عليه وعلىٰ شيخه المذكور بعض الأذىٰ، فخرج من أجل ذلك، وكان من نِيَّته أن يقصد الشَّام، فلم يقدر علىٰ ذلك لعدم وجود النَّفقة الكافية، فخرج من البصرة إلىٰ الزُّبير، وتَوجَّه من الزُّبير إلىٰ الأحساء واجتمع بعلمائها، وذاكرهم في أشياء من أصول الدِّين.

ثمَّ تَوجَّه إلىٰ بلاد حريملاء، وذلك -والله أعلم- في العقد الخامس من القرن الثَّاني عشر؛ لأنَّ أباه كان قاضيًا في العيينة، وصار بينه وبين أميرها نزاعٌ، فانتقل عنها إلىٰ حريملاء سنة ١١٣٩ هجرية.

فقدم الشَّيخ مُحمَّدٌ علىٰ أبيه في حريملاء بعد انتقاله إليها سنة ١١٣٩ هجرية؛ فيكون قدومه حريملاء في عام ١١٤٠ أو بعدها، واستقرَّ هناك، ولم يزل مشتغلًا بالعلم والتَّعليم والدَّعوة في حريملاء حتَّىٰ مات والده في عام ١١٥٣ هجرية، فحصل من بعض أهل حريملاء شرٌّ عليه، وهَمَّ بعض السَّفِلة بها أن يفتك به.

وقيل: إنَّ بعضهم تَسوَّر عليه الجدار، فعلم بهم بعض النَّاس فهربوا، وبعد ذلك ارتحل الشَّيخ إلىٰ العيينة رحمة الله عليه، وأسباب غضب هؤلاء السفلة عليه أنَّه كان آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر.

وكان يحثُّ الأمراء علىٰ تعزير المجرمين الَّذين يعتدون علىٰ النَّاس بالسَّلب والنَّهْب والإيذاء، ومن جملتهم هؤلاء السفلة الَّذين يقال لهم: العبيد هناك، ولمَّا عرفوا من الشَّيخ أنَّه ضِدَّهم، وأنَّه لا يرضىٰ بأفعالهم، وأنَّه يُحرِّض الأمراء علىٰ عقوباتهم، والحدِّ من شَرِّهم غضبوا وهَمُّوا أن يفتكوا به، فصانه الله وحماه.

ثمَّ انتقل إلىٰ بلدة العيينة وأميرها إذ ذاك عثمان بن محمد بن معمر، فنزل عليه ورَحَّبَ به الأمير، وقال: قُمْ بالدَّعوة إلىٰ الله ونحن معك وناصروك، وأظهر له الخير والمحبَّة والموافقة علىٰ ما هو عليه.

فاشتغل الشَّيخ بالتَّعليم والإرشاد والدَّعْوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وتوجيه النَّاس إلىٰ الخير، والمحبَّة في الله، رجالهم ونسائهم، واشتهر أمره في العيينة، وعَظُمَ صيته، وجاء إليه النَّاس من القرىٰ المجاورة.

وفي يومٍ من الأيَّام قال الشَّيخ للأمير عثمان: دعنا نهدم قبة زيد بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنَّها أُسِّسَتْ علىٰ غير هدىٰ، وإنَّ الله -جل وعلا- لا يرضىٰ بهذا العمل، والرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ عن البناء علىٰ القبور، واتِّخاذ المساجد عليها.

وهذه القبَّة فتنت النَّاس، وغَيَّرت العقائد، وحصل بها الشِّرْك، فيجب هدمها، فقال الأمير عثمان: لا مانع من ذلك.

فقال الشَّيخ: إنِّي أخشىٰ أن يثور لها أهل الجبيلة.

والجبيلة: قريةٌ هناك قريبةٌ من القبر.

فخرج عثمان ومعه جيشٌ يبلغون ٦٠٠ مقاتلٍ لهدم القُبَّة، ومعهم الشَّيخ رحمة الله عليه، فلمَّا قربوا من القبَّة، خرج أهل الجبيلة لمَّا سمعوا بذلك لينصروها ويحموها، فلمَّا رأوا الأمير عثمان ومَنْ معه كفوا ورجعوا عن ذلك، فباشر الشَّيخ هدمها وإزالتها، فأزالها الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ يديه رحمة الله عليه.

❐ ولنذكر نبذةً عن حال نجد قبل قيام الشَّيخ رحمة الله عليه، وعن أسباب قيامه، ودعوته:

كان أهل نجد قبل دعوة الشَّيخ علىٰ حالةٍ لا يرضاها مؤمنٌ، وكان الشِّرك الأكبر قَدْ نشأ في نجدٍ وانتشر حتَّىٰ عُبدت القباب، وعُبدت الأشجار، والأحجار، وعُبدت الغيران، وعُبد مَنْ يُدْعىٰ بالولاية وهو من المعتوهين، وعُبد من دون الله أناسٌ يُدْعون بالولاية، وهم مجانين مجاذيب لا عقول عندهم.

واشتهر في نجد السَّحَرة والكَهَنة، وسؤالهم وتصديقهم، وليس هناك منكِرٌ إلَّا مَنْ شاء الله، وغلب علىٰ النَّاس الإقبال علىٰ الدُّنيا وشهواتها، وقلَّ القائم لله والنَّاصر لدينه، وهكذا في الحَرَمين الشَّريفين، وفي اليمن اشتهر في ذلك الشِّرْك وبناء القباب علىٰ القبور، ودعاء الأولياء والاستغاثة بهم، وفي اليمن من ذلك الشَّيء الكثير، وفي بلدان نجد من ذلك ما لا يُحْصىٰ، ما بين قبرٍ وما بين غارٍ، وبين شجرةٍ، وبين مجذوبٍ ومجنونٍ؛ يُدْعىٰ من دون الله، ويُسْتَغاث به مع الله.

وكذلك مِمَّا عرف في نجد واشتهر: دعاء الجنِّ والاستغاثة بهم، وذبح الذَّبائح لهم، وجعلها في الزَّوايا من البُيُوت رجاءَ نجدتهم، وخوف شَرِّهم، فلمَّا رأىٰ الشَّيخ الإمام هذا الشِّرك وظهوره في النَّاس وعدم وجود منكرٍ لذلك، وقائمٍ بالدَّعوة إلىٰ الله في ذلك، شمَّر عن ساعد الجدِّ، وصبر علىٰ الدَّعوة، وعرف أنَّه لا بدَّ من جهادٍ، وصبرٍ، وتَحمُّلٍ للأذىٰ.

فجدَّ في التَّعليم والتَّوجيه والإرشاد وهو في العيينة، وفي مكاتبة العلماء في ذلك والمذاكرة معهم رجاء أن يقوموا معه في نصرة دين الله، والمجاهدة في هذا الشِّرْك وهذه الخرافات.

فأجاب دعوته كثيرون من علماء نجد، وعلماء الحرمين، وعلماء اليمن، وغيرهم، وكتبوا إليه بالموافقة، وخالف آخرون، وعابوا ما دعا إليه، وذَمُّوه ونفروا عنه، وهم بين أمرين، ما بين جاهلٍ خرافيٍّ لا يعرف دين الله، ولا يعرف توحيد الله، وإنَّما يعرف ما هو عليه وآباؤه وأجداده من الجهل، والضَّلال، والشِّرك، والبدع، والخرافات، كما قال الله -جل وعلا- عن أمثال أولئك: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

وطائفةٌ أخرىٰ مِمَّنْ يُنْسَبون إلىٰ العلم رَدُّوا عليه عنادًا وحسدًا لئلَّا يقول العامَّة: ما بالكم لم تنكروا علينا هذا الشَّيء؟! لماذا جاء ابن عبد الوَهَّاب وصار علىٰ الحقِّ وأنتم علماء ولم تنكروا هذا الباطل؟!

فحسدوه وخجلوا من العامَّة، وأظهروا العناد للحقِّ إيثارًا للعاجل علىٰ الآجل، واقتداءً باليهود في إيثارهم الدُّنيا علىٰ الآخرة، نسأل الله العافية والسَّلامة.

أمَّا الشَّيخ فقَدْ صبر وجَدَّ في الدَّعوة، وشَجَّعه مَنْ شَجَّعه من العلماء والأعيان في داخل الجزيرة، وفي خارجها، وعزم علىٰ ذلك، واستعان بربِّه عَزَّوَجَلَّ وعكف علىٰ الكتب النَّافعة ودرسها، وعكف قبل ذلك علىٰ كتاب الله، وكانت له اليد الطُّولَىٰ في تفسير كتاب الله، والاستنباط منه، وعَكَف علىٰ سيرة الرَّسُول ﷺ وسيرة أصحابه، وَجَدَّ في ذلك وتَبصَّر فيه حتَّىٰ أدرك من ذلك ما أعانه الله به وثَبَّته علىٰ الحقِّ، فَشَمَّر عن ساعد الجدِّ، وصَمَّم علىٰ الدَّعوة وعلىٰ أن ينشرها بين النَّاس ويكاتب الأمراء والعلماء في ذلك، وليكن في ذلك ما يكون، فحَقَّق الله له الآمال الطَّيِّبة، ونشر به الدَّعوة، وأيَّد به الحقَّ، وهَيَّأ الله له أنصارًا ومساعدين وأعوانًا حتَّىٰ ظهر دين الله، وَعَلَتْ كلمة الله.

فاستمرَّ الشَّيخ في الدَّعوة في العيينة بالتَّعليم والإرشاد، ثمَّ شمَّر عن ساعد الجدِّ إلىٰ العمل وإزالة الشِّرك بالفعل لمَّا رأىٰ الدَّعوة لم تُؤثِّر في بعض النَّاس، فباشر الدَّعوة عمليًّا ليزيل بيده ما تَيسَّر وما أمكن من آثار الشِّرك.

فقال الشَّيخ للأمير عثمان بن معمر: لا بدَّ من هدم هذه القُبَّة الَّتي علىٰ قبر زيد -وزيد بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أخو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، رضي الله تعالىٰ عن الجميع.

وكان من جملة الشُّهداء في قتال مسيلمة الكذاب في عام ١٢ من الهجرة النَّبويَّة، فكان مِمَّنْ قُتِل هناك، وبُنِي علىٰ قبره قُبَّةٌ فيما يذكرون، وقَدْ يكون قبر غيره، لكنَّه فيما يذكرون أنَّه قبره؛ فوافقه عثمان كما تَقدَّم، وهدمت القبة -

بحمد الله- وزال أثرها إلىٰ اليوم، ولله الحمد والمنة، أماتها -جل وعلا- لمَّا هُدِمَتْ عن نِيَّةٍ صالحةٍ، وقصدٍ مستقيمٍ، ونصرٍ للحقِّ.

وهناك قبورٌ أخرىٰ، منها قبرٌ يُقَال إنَّه قبر ضرار بن الأزور؛ كانت عليه قُبَّةٌ هُدِمت أيضًا، وهناك مشاهدُ أخرىٰ أزالها الله عَزَّوَجَلَّ وكانت هناك غيران وأشجار تُعبَد من دون الله -جل وعلا- فأُزِيلَت وقضي عليها، وحذر النَّاس عنها.

والمقصود: أنَّ الشَّيخ -رحمة الله عليه- استمرَّ علىٰ الدَّعوة قولًا وعملًا كما تقدَّم، ثمَّ إنَّ الشَّيخ أتته امرأةٌ واعترفت عنده بالزِّنا عِدَّة مَرَّاتٍ، وسأل عن عقلها، فقيل: إنَّها عاقلةٌ ولا بأس بها، فلمَّا صَمَّمت علىٰ الاعتراف، ولم ترجع عن اعترافها، ولم تَدَّع إكراهًا ولا شبهةً، وكانت محصنةً؛ أمر الشَّيخ -رحمة الله عليه- بأن تُرْجم، فرُجمت بأمره حالة كونه قاضيًا بالعيينة.

فاشتهر أمره بعد ذلك بهدم القبة، وبرجم المرأة، وبالدَّعوة العظيمة إلىٰ الله، وهجرة المهاجرين إلىٰ العيينة، وبلغ أمير الإحساء وتوابعها من بني خالد سليمان بن عريعر الخالدي أمر الشَّيخ، وأنَّه يدعو إلىٰ الله، وأنَّه يهدم القباب، وأنَّه يقيم الحدود، فعظم علىٰ هذا البدوي أَمْرُ الشَّيخ؛ لأنَّ مِن عادة البادية -إلَّا مَنْ هدىٰ الله- الإقدام علىٰ الظُّلْم، وسفك الدِّماء، ونَهْب الأموال، وانْتِهاك الحُرُمات، فخاف أنَّ هذا الشَّيخ يعظم أمره، ويزيل سلطان الأمير البدوي، فكتب إلىٰ عثمان يَتوعَّده ويأمره أن يقتل هذا المطوع الَّذي عنده في العيينة.

وقال: إنَّ المطوع الَّذي عندكم بلغنا عنه كذا، وكذا! فإمَّا أن تقتله، وإمَّا أن نقطع عنك خَرَاجك الَّذي عندنا -وكان عنده للأمير عثمان خَرَاجٌ من الذَّهَب- فعظم علىٰ عثمان أمر هذا الأمير، وخاف إِنْ عصاه أن يقطع عنه خَرَاجه أو يحاربه.

فقال للشَّيخ: إنَّ هذا الأمير كتب إلينا كذا وكذا، وأنَّه لا يحسن مِنَّا أن نقتلك، وإنَّا نخاف هذا الأمير ولا نستطيع محاربته، فإذا رأيت أن تخرج عنَّا فعلت؟

فقال له الشَّيخ: إنَّ الَّذي أدعو إليه هو دين الله، وتحقيق كلمة لا إله إلَّا الله، وتحقيق شهادة أنَّ مُحمَّدًا رسول الله، فمَنْ تَمسَّك بهذا الدِّين ونصره وصدق في ذلك؛ نصره الله وأيَّده ووَلَّاه علىٰ بلاد أعدائه، فإن صبرت واستقمت وقبلت هذا الخير فأبشر، فسينصرك الله ويحميك من هذا البدويِّ وغيره، وسوف يُولِّيك الله بلاده وعشيرته.

فقال: أيُّها الشَّيخ، إنَّا لا نستطيع محاربته، ولا صبر لنا علىٰ مخالفته، فخرج الشَّيخ عند ذلك، وتَحوَّل من العيينة إلىٰ بلاد الدرعية، جاء إليها ماشيًا فيما ذكروا حتَّىٰ وصل إليها في آخر النَّهار.

وقَدْ خرج من العيينة في أوَّل النَّهار ماشيًا علىٰ الأقدام، لم يرحله عثمان، فدخل علىٰ شخصٍ من خيارها في أعلىٰ البلد يُقَال له: محمد بن سويلم العريني، فنزل عليه، ويقال: إنَّ هذا الرَّجل خاف من نزوله عليه، وضاقت به الأرض بما رحبت، وخاف من أمير الدرعية محمد بن سعود،

فَطَمأنَه الشَّيخ، وقال له: أبشر بخيرٍ، وهذا الَّذي أدعو النَّاس إليه دين الله، وسوف يظهره الله.

فبلغ محمد بن سعود خبر الشَّيخ مُحمَّد، ويقال: إنَّ الَّذي أخبره به زوجته جاء إليها بعض الصَّالحين، وقال لها: أخبري مُحمَّدًا بهذا الرَّجل، وشَجِّعيه علىٰ قَبُول دعوته، وحَرِّضيه علىٰ مؤازرته ومساعدته، وكانت امرأةً صالحةً طَيِّبةً، فلمَّا دخل عليها محمد بن مسعود أمير الدرعية وملحقاتها، قالت له: أَبْشِرْ بهذه الغنيمة العظيمة! هذه غنيمةٌ ساقها الله إليك، رجلٌ داعيةٌ يدعو إلىٰ دين الله، ويدعو إلىٰ كتاب الله، يدعو إلىٰ سُنَّة رسول الله ﷺ، يا لها من غنيمةٍ! بادر بقبوله، وبادر بنصرته، ولا تقف في ذلك أبدًا، فقبل الأمير مشورتها، ثمَّ تَردَّد هل يذهب إليه أو يدعوه إليه؟! فأشير عليه.

ويقال: إنَّ المرأة أيضًا هي الَّتي أشارت عليه مع جماعةٍ من الصَّالحين وقالوا له: لا ينبغي أن تدعوه إليك، بل ينبغي أن تقصده في منزله، وأن تقصده أنت وأن تعظم العلم والدَّاعي إلىٰ الخير، فأجاب إلىٰ ذلك لمَّا كتب الله له من السَّعادة والخير، رحمة الله عليه وأكرم الله مثواه.

فذهب إلىٰ الشَّيخ في بيت محمد بن سويلم، وَقَصَده وسَلَّم عليه، وتَحدَّث معه، وقال له: يا شيخ مُحمَّد، أبشر بالنُّصرة، وأبشر بالأمن، وأبشر بالمساعدة.

فقال له الشَّيخ: وأنت أَبْشِر بالنُّصْرة أيضًا والتَّمْكين والعاقبة الحميدة، هذا دين الله، مَنْ نَصَره نَصَره الله، ومَنْ أَيَّده أَيَّده الله، وسوف تجد آثار ذلك سريعًا.

فقال: يا شيخ، سأبايعك علىٰ دين الله ورسوله، وعلىٰ الجهاد في سبيل الله، ولكنَّني أخشىٰ إذا أيَّدناك ونصرناك وأظهرك الله علىٰ أعداء الإسلام- أن تبتغي غير أرضنا، وأن تنتقل عَنَّا إلىٰ أرضٍ أخرىٰ. فقال: لا أبايعك علىٰ هذا، أبايعك علىٰ أنَّ الدَّم بالدَّم، والهدم بالهدم، لا أخرج من بلادك أبدًا، فبايعه علىٰ النُّصْرة وعلىٰ البقاء في البلد، وأنَّه يبقىٰ عند الأمير يساعده، ويجاهد معه في سبيل الله حتَّىٰ يظهر دين الله، وتَمَّت البيعة علىٰ ذلك.

وتَـوَافَـدَ النَّاسُ إلىٰ الدرعية من كلِّ مكانٍ، من العيينة، وعرقة، ومنفوحة، والرِّياض وغير ذلك من البلدان المجاورة، ولم تزل الدرعية موضع هجرةٍ يهاجر إليها النَّاس من كلِّ مكانٍ، وتسامع النَّاس بأخبار الشَّيخ ودروسه في الدرعية، ودعوته إلىٰ الله، وإرشاده إليه، فأتوا زرافاتٍ ووحدانًا.

فأقام الشَّيخ بالدرعية معظَّمًا مؤيَّدًا محبوبًا منصورًا، ورتَّب الدُّروس في الدرعية في العقائد، وفي القرآن الكريم، وفي التَّفسير، وفي الفقه، وأصوله، والحديث، ومصطلحه، والعلوم العربيَّة والتَّاريخيَّة، وغير ذلك من العلوم النَّافعة.

وتوافد النَّاس عليه من كلِّ مكانٍ، وتَعلَّم النَّاس عليه في الدرعية؛ الشَّباب وغيرهم، ورَتَّب للنَّاس دروسًا كثيرةً للعامَّة والخاصَّة، ونشر العلم في الدرعية، واستمرَّ علىٰ الدَّعوة.

ثمَّ بدأ بالجهاد، وكَاتَب النَّاس إلىٰ الدُّخول في هذا الميدان، وإزالة الشِّرك الَّذي في بلادهم، وبدأ بأهل نجد، وكاتَبَ أمراءها وعلماءها.

كَاتَب علماء الرِّياض وأميرها دهام بن دواس، كَاتَب علماء الخرج وأمراءها، وعلماء بلاد الجنوب والقصيم وحائل والوشم وسدير وغير ذلك، ولم يزل يكاتبهم ويكاتب علماءهم وأمراءهم، وهكذا علماء الأحساء وعلماء الحَرَمين الشَّريفين، وهكذا علماء الخارج في مصر، والشَّام، والعراق، والهند، واليمن وغير ذلك.

ولم يزل يكاتب النَّاس ويُقِيم الحُجَج، ويُذكِّر النَّاس ما وقع فيه أكثر الخَلْق من الشِّرك والبدع، وليس معنىٰ هذا أنَّه ليس هناك أنصارٌ للدِّين، بل هناك أنصارٌ، والله -جل وعلا- قَدْ ضمن لهذا الدِّين أنَّ لا بدَّ له من ناصرٍ، ولا تزال طائفةٌ في هذه الأُمَّة علىٰ الحقِّ منصورةً كما قال النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام، فهناك أنصارٌ للحقِّ في أقطارٍ كثيرةٍ.

ولكنَّ الحديث الآن عن نجد، فكان فيها من الشَّرِّ والفساد والشِّرك والخرافات ما لا يحصيه إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، مع أنَّ فيها علماء فيهم خيرٌ، ولكن لم يُقدَّر لهم أن ينشطوا في الدَّعوة وأن يقوموا بها كما ينبغي، وهناك أيضًا في اليمن وغير اليمن دعاةٌ إلىٰ الحقِّ وأنصارٌ قَدْ عرفوا هذا الشِّرك وهذه الخرافات، ولكن لم يُقدِّر الله لدعوتهم من النجَّاح ما قَدَّر لدعوة الشَّيخ مُحمَّدٍ لأسبابٍ كثيرةٍ:

منها: عدم تَيسُّر النَّاصر المساعد لهم.

ومنها: عدم الصَّبر لكثيرٍ من الدُّعاة، وتَحمُّل الأذىٰ في سبيل الله.

ومنها: قلَّة علوم بعض الدُّعاة الَّتي يستطيع بها أن يُوجِّه النَّاس بالأساليب

المناسبة، والعبارات اللَّائقة، والحكمة والموعظة الحسنة.

ومنها: أسبابٌ أخرىٰ غير هذه الأسباب، وبسبب هذه المكاتبات الكثيرة والرَّسائل والجهاد اشتهر أمر الشَّيخ، وظهر أمر الدَّعوة، واتَّصَلتْ رسائله بالعلماء في داخل الجزيرة، وفي خارجها.

وتأثَّر بدعوته جمعٌ غفيرٌ من النَّاس في الهند وفي إندونيسيا، وفي أفغانستان، وفي إفريقيا وفي المغرب، وهكذا في مصر، والشَّام، والعراق، وكان هناك دعاةٌ كثيرون عندهم معرفةٌ بالحقِّ والدَّعوة إليه، فلمَّا بَلغَتْهم دعوة الشَّيخ، زاد نشاطهم، وزادت قُوَّتهم، واشتهروا بالدَّعوة.

ولم تزل دعوة الشَّيخ تشتهر وتظهر بين العالم الإسلاميِّ وغيره، ثمَّ في هذا العصر الأخير طُبِعَتْ كُتُبه، ورسائله، وكُتُب أبنائه، وأحفاده، وأنصاره، وأعوانه من علماء المسلمين في الجزيرة وخارجها.

وكذلك طُبِعَتِ الكُتُب المُؤلَّفة في دعوته، وترجمته، وأحواله، وأحوال أنصاره، حتَّىٰ اشتهرت بين النَّاس في غالب الأقطار والأمصار، ومن المعلوم أنَّ لكلِّ نعمةٍ حاسدًا، وأنَّ لكلِّ داعٍ أعداءً كثيرين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢].

فلمَّا اشتهر الشَّيخ بالدَّعوة وكتب الكتابات الكثيرة، وألَّف المُؤلَّفات القيِّمة، ونَشَرها في النَّاس، وكاتبه العلماء، ظهر جماعةٌ كثيرون من حُسَّاده، ومن مخالفيه، وظهر أيضًا أعداءٌ آخرون، وصار أعداؤه وخصومه قسمين:

قسم: عَادَوْه باسم العلم والدِّين.

وقسم: عَادَوْه باسم السِّياسة، ولكن تَستَّروا بالعلم، وتَستَّروا باسم الدِّين، وَاسْتَغلُّوا عداوة مَنْ عاداه من العلماء الَّذين أظهروا عداوته، وقالوا إنَّه علىٰ غير الحقِّ، وإنَّه كَيت وكَيت.

والشَّيخ -رحمة الله عليه- مُستمرٌّ في الدَّعوة، يُزِيل الشُّبَه، ويُوضِّح الدَّليل، ويرشد النَّاس إلىٰ الحقائق علىٰ ما هي عليه من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

وطورًا يقولون: إنَّه من الخوارج، وتارةً يقولون: يخرق الإجماع، ويَدَّعي الاجتهاد المطلق، ولا يبالي بمَنْ قبله من العلماء والفقهاء، وتارةً يَرْمونه بأشياء أخرىٰ، وما ذاك إلَّا من قِلَّة العلم من طائفةٍ منهم، وطائفةٌ أخرىٰ قَلَّدت غيرها واعتمدت عليها، وطائفةٌ أخرىٰ خافت علىٰ مراكزها، فَعادَتْه سياسةً، وتَستَّرت باسم الإسلام والدِّين، واعتمدت علىٰ أقوال المُخرِّفين والمُضلِّلين.

❐ **والخصومُ في الحقيقةِ ثلاثةُ أقسامٍ:**

۞ **علماء مُخرِّفون** يَرَوْن الحقَّ باطلًا، والباطل حقًّا، ويعتقدون أنَّ البناء علىٰ القبور، واتِّخاذ المساجد عليها، ودعاءها من دون الله والاستغاثة بها وما أشبه ذلك دينٌ وهدًىٰ.

ويعتقدون أنَّ مَنْ أنكر ذلك فَقَدْ أبغض الصَّالحين، وأبغض الأولياء، وهو عدوٌّ يجب جهاده.

۞ **وقسم آخر:** من المنسوبين للعلم جهلوا حقيقة هذا الرَّجل، ولم يعرفوا عنه الحقَّ الَّذي دعا إليه، بل قَلَّدوا غيرهم، وصَدَّقوا ما قيل فيه من الخُرافيِّين المُضلِّلين، وظَنُّوا أنَّهم علىٰ هدًىٰ فيما نسبوه إليه من بغض الأولياء والأنبياء، ومن معاداتهم، وإنكار كراماتهم، فَذمُّوا الشَّيخ، وعابوا دعوته ونفروا عنه.

۞ **وقسم آخر:** خافوا علىٰ المناصب والمراتب، فَعادَوْه لِئلَّا تَمتدَّ أيدي أنصار الدَّعوة الإسلامية إليهم فتنزلهم عن مراكزهم، وتستولي علىٰ بلادهم، وَاسْتَمرَّت الحرب الكلاميَّة، والمجادلات والمساجلات بين الشَّيخ وخصومه، يكاتبهم ويكاتبونه، ويجادلهم ويردُّ عليهم، ويَردُّون عليه.

وهكذا جرىٰ بين أبنائه وأحفاده وأنصاره، وبين خصوم الدَّعوة، حتَّىٰ اجتمع من ذلك رسائلُ كثيرةٌ، وردودٌ جَمَّةٌ.

وقَدْ جُمعَتْ هذه الرَّسائل والفتاوىٰ والرُّدود فبلغت مُجلَّداتٍ، وقَدْ طبع أكثرها، والحمد لله.

واستمرَّ الشَّيخ في الدَّعوة والجهاد، وساعده الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية، وجد الأسرة السَّعوديَّة علىٰ ذلك، ورفعت راية الجهاد، وبدأ الجهاد من عام ١١٥٨ هـ.

بدأ الجهاد بالسَّيْف، وبالكلام والبيان، والحُجَّة والبرهان، ثمَّ اسْتَمرَّت الدَّعوة مع الجهاد بالسَّيف، ومعلومٌ أنَّ الدَّاعي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إذا لم يكن لديه قُوَّةٌ تنصر الحقَّ وتنفذه، فسرعان ما تَخْبُو دعوته، وتنطفئ شهرتُه، ثمَّ يقلُّ أنصارُه.

ومعلومٌ ما للسِّلاح والقُوَّة من الأثر العظيم في نَشْر الدَّعوة، وقَمْع المعارضين، ونصر الحقِّ، وقمع الباطل، ولقَدْ صدق الله العظيم في قوله عَزَّوَجَلَّ وهو الصَّادق سبحانه في كلِّ ما يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥].

فبَيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّه أرسل الرُّسل بالبَيِّنات، وهي الحُجَج والبراهين السَّاطعة الَّتي يُوضِّح الله بها الحقَّ، ويدفع بها الباطل، وأنزل مع الرُّسُل الكتاب الَّذي فيه البيان، والهدىٰ والإيضاح، وأنزل معهم الميزان، وهو العدل الَّذي ينصف به المظلوم من الظَّالم، ويُقَام به الحقُّ، ويُنشَر به الهدىٰ، ويعامل النَّاس علىٰ ضوئه بالحقِّ والقسط، وأنزل الحديد فيه بأسٌ شديدٌ، فيه قُوَّةٌ ورَدْعٌ وزجرٌ لمَنْ خالف الحقَّ، فالحديد لمَنْ لم تنفع فيه الحُجَّة وتُؤثِّر فيه البَيِّنة، فهو الملزم بالحقِّ، وهو القامع للباطل.

ولقَدْ أحسن مَنْ قال في مثل هذا:

وما هو إلَّا الوحي أو حَدُّ مُرهَفٍ ... تُمِيلُ ظُبَاه أَخْدَعَيْ كُلِّ مائلِ
فهذا دواءُ الدَّاءِ من كلِّ عَالم ... وهذا دواءُ الدَّاء من كلِّ جَاهِلِ(١)

فالعاقل ذو الفطرة السَّليمة، ينتفع بالبَيِّنة، ويقبل الحقَّ بدليله، أمَّا الظَّالم التَّابع لهواه فلا يردعه إلَّا السَّيف، فجَدَّ الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدَّعوة والجهاد،

(١) البيتان لأبي تَمَّام. انظر «ديوانه».

وساعده أنصاره من آل سعودٍ -طَيَّب الله ثراهم علىٰ ذلك- واسْتَمرُّوا في الجهاد والدَّعوة من عام ١١٥٨ هـ إلىٰ أن تُوفِّي الشَّيخ في عام ١٢٠٦هـ.

فَاسْتمرَّ في الجهاد والدَّعوة قريبًا من خمسين عامًا، جهادًا، ودعوةً، ونضالًا، وجدالًا في الحقِّ وإيضاحًا لما قاله الله ورسوله، ودعوة إلىٰ دين الله، وإرشادٌ إلىٰ ما شرعه رسول الله ﷺ.

حتَّىٰ التزم النَّاس بالطَّاعة، ودخلوا في دين الله، وهدموا ما عندهم من القباب، وأزالوا ما لديهم من المساجد المَبنيَّة علىٰ القبور، وحَكَّموا الشَّريعة، ودانوا بها، وتركوا ما كانوا عليه من تحكيم سوالف الآباء والأجداد، وقوانينهم، ورجعوا إلىٰ الحقِّ.

وعَمُرَتِ المساجد بالصَّلوات، وحلقات العلم، وأُدِّيَتِ الزَّكوات، وصام النَّاس رمضان، كما شرع الله عَزَّوَجَلَّ وأُمِرَ بالمعروف، ونُهِي عن المنكر، وساد الأمن في الأمصار، والقرىٰ، والطُّرُق، والبوادي، ووقف البادية عند حَدِّهم، ودخلوا في دين الله، وقَبِلوا الحقَّ، ونشر الشَّيخ فيهم الدَّعوة.

وأرسل الشَّيخ إليهم المرشدين والدُّعاة في الصَّحَراء والبوادي، كما أرسل المُعلِّمين والمرشدين والقضاة إلىٰ البلدان والقرىٰ، وعمَّ هذا الخير العظيم والهدىٰ المستبين نجدًا كلَّها، وانتشر فيها الحقُّ، وظهر فيها دين الله عَزَّوَجَلَّ.

ثمَّ بعد وفاة الشَّيخ -رحمة الله عليه- استمرَّ أبناؤه وأحفاده وتلاميذه وأنصاره في الدَّعوة والجهاد.

وعلى رأس أبنائه: الشَّيخ الإمام عبد الله بن محمد، والشَّيخ حسين بن محمد، والشَّيخ علي بن محمد، والشَّيخ إبراهيم بن محمد.

ومن أحفاده: الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن، والشَّيخ علي بن حسين، والشَّيخ سليمان بن عبد الله بن محمد، وجماعةٌ آخرون.

ومن تلاميذه أيضًا: الشَّيخ حمد بن ناصر بن معمر، وجمعٌ غفيرٌ من علماء الدرعية، وغيرهم اسْتَمرُّوا في الدَّعوة والجهاد، ونشر دين الله تعالىٰ، وكتابة الرَّسائل، وتأليف المُؤلَّفات، وجهاد أعداء الدِّين، وليس بين هؤلاء الدُّعَاة وخصومهم شيءٌ إلَّا أنَّ هؤلاء دَعَوْا إلىٰ توحيد الله وإخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ والاستقامة علىٰ ذلك، وهدم المساجد والقباب الَّتي علىٰ القبور، ودَعَوْا إلىٰ تحكيم الشَّريعة والاستقامة عليها، وَدَعَوْا إلىٰ الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وإقامة الحدود الشَّرعيَّة.

هذه أسباب النِّزاع بينهم وبين النَّاس.

❐ **والخلاصة:** أنَّهم أرشدوا النَّاس إلىٰ توحيد الله، وأمروهم بذلك، وحَذَّروا النَّاس من الشِّرك بالله ومن وسائله وذرائعه، وألزموا النَّاس بالشَّريعة الإسلاميَّة، ومَنْ أَبَىٰ واستمرَّ علىٰ الشِّرك بعد الدَّعوة والبيان، والإيضاح والحُجَّة، جاهدوه في الله عَزَّوَجَلَّ وقصدوه في بلاده حتَّىٰ يخضع للحقِّ، وينيب إليه أو يلزموه به بالقُوَّة والسَّيْف، حتَّىٰ يخضع هو وأهل بلده إلىٰ ذلك.

وكذلك حَذَّروا النَّاس من البدع والخرافات الَّتي ما أنزل الله بها من سلطانٍ، كالبناء علىٰ القبور، واتِّخاذ القباب عليها، والتَّحاكم إلىٰ الطَّواغيت،

وسؤال السَّحَرة والكَهَنة، وتصديقهم، وغير ذلك، فأزال الله ذلك علىٰ يدي الشَّيخ وأنصاره، رحمة الله عليهم جميعًا.

وعَمُرَتِ المساجدُ بتدريس الكتاب العظيم والسُّنَّة المُطهَّرة، والتَّاريخ الإسلاميِّ، والعلوم العربيَّة النَّافعة، وصار النَّاس في مذاكرةٍ، وعلمٍ، وهدىٰ، ودعوةٍ، وإرشادٍ، وآخرون منهم فيما يَتعلَّق بدنياهم من الزِّراعة والصِّناعة وغير ذلك، علمٌ وعملٌ، ودعوةٌ وإرشادٌ، ودنيا ودينٌ، فهو يَتعلَّم ويذاكر، ومع ذلك يعمل في حقله الزِّراعيِّ، أو في صناعته أو تجارته، وغير ذلك، فتارةً لدينه، وتارةً لدنياه؛ دعاةٌ إلىٰ الله ومُوَجِّهُون إلىٰ سبيله، ومع ذلك يشتغلون بأنواع الصِّناعة الرَّائجة في بلادهم، ويحصلون من ذلك علىٰ ما يغنيهم عن خارج بلادهم.

وبعد فراغ الدُّعاة وآل سعود من نجدٍ، امتدَّت دعوتهم إلىٰ الحَرَمين، وجنوب الجزيرة، كَاتَبُوا علماء الحَرَمين سابقًا ولاحقًا.

فَلَمَّا لَمْ تُجْدِ الدَّعوة، وَاسْتمرَّ أهل الحَرَمين علىٰ ما هم عليه من تعظيم القباب، واتِّخاذها علىٰ القبور، ووجود الشِّرك عندها، والسُّؤال لأربابها؛ سار الإمام سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد بعد وفاة الشَّيخ بإحدىٰ عشرة سنةً مُتوجِّهًا إلىٰ الحجاز، ونَازَل أهل الطَّائف، ثمَّ قصد أهل مكَّة، وكان أهل الطَّائف قَدْ تَوجَّه إليهم قبل سعود الأمير عثمان بن عبد الرحمن المضايفي، ونَازَلهم بقُوَّةٍ أرسلها إليه الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد أمير الدرعية (قوة عظيمة من أهل نجد وغيرهم)، ساعدوه حتَّىٰ اسْتَولىٰ علىٰ الطَّائف،

وأخرج منها أمراء الشَّريف، وأظهر فيه الدَّعوة إلىٰ الله، وأرشد إلىٰ الحقِّ، ونهىٰ فيها عن الشِّرك، وعبادة ابن عَبَّاسٍ، وغيره مِمَّا كان يعبده هناك الجُهَّال والسُّفَهاء من أهل الطَّائف.

ثمَّ تَوجَّه الأمير سعود عن أمر أبيه عبد العزيز إلىٰ جهة الحجاز، وَجُمِعَتِ الجيوش حول مَكَّة.

فلمَّا عرف شريفها أنَّه لا بدَّ من التَّسليم أو الفرار، فَرَّ إلىٰ جدة، ودخل سعود ومَنْ معه من المسلمين البلاد من غير قتالٍ، وَاسْتَوْلَوا علىٰ مكَّة فجرًا من شهر مُحرَّمٍ من عام ١٢١٨هـ، وأظهروا فيها الدَّعوة إلىٰ دين الله، وهدموا ما فيها من القباب الَّتي بُنِيَتْ علىٰ قبر خديجة وغيره، فأزالوا القباب كلَّها، وأظهروا فيها الدَّعوة إلىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وعَيَّنوا فيها العلماء والمُدرِّسين، والمُوجِّهين والمرشدين، والقضاة الحاكمين بالشَّريعة.

ثمَّ بعد مُدَّةٍ وجيزةٍ فُتحت المدينة، واستولىٰ آلُ سعود علىٰ المدينة في عام ١٢٢٠هـ بعد مكَّة بنحو سنتين، واستمرَّ الحَرَمان في ولاية آل سعود، وعَيَّنوا فيها المُوجِّهين والمُرْشِدين، وأظهروا في البلاد العدل وتحكيم الشَّريعة، والإحسان إلىٰ أهلها، ولا سيَّما فقراؤهم ومَحَاويجهم، فأحسنوا إليهم بالأموال، وَوَاسَوْهم، وعَلَّموهم كتاب الله، وأرشدوهم إلىٰ الخير، وعَظَّموا العلماء، وشَجَّعوهم علىٰ التَّعليم، والإرشاد، ولم يزل الحَرَمان الشَّريفان تحت ولاية آل سعود إلىٰ عام ١٢٢٦هـ.

ثمَّ بدأت الجيوش المصريَّة والتُّركيَّة تَتوجَّه إلىٰ الحجاز لقتال آل سعود، وإخراجهم من الحَرَمين لأسبابٍ كثيرةٍ تَقدَّم بعضُها.

وهذه الأسباب كما تَقدَّم هي أنَّ أعداءهم، وحُسَّادهم، والمُخرِّفين الَّذين ليس لهم بصيرةٌ، وبعض السِّياسيِّين الَّذين أرادوا إخماد هذه الدَّعوة وخافوا منها أن تُزيل مراكزهم، وأن تقضي علىٰ أطماعهم- كذبوا علىٰ الشَّيخ وأتباعه وأنصاره، وقالوا: إنَّهم يُبغضون الرَّسول ﷺ، وإنَّهم يُبغضون الأولياء، وينكرون كراماتهم، وقالوا: إنَّهم أيضًا يقولون كَيت وكَيت مِمَّا يزعمون أنَّهم ينتقصون به الرُّسُل عليهم الصَّلاة والسَّلام، وصدَّق هذا بعض الجُهَّال، وبعض المُغْرضين، وجعلوه سُلَّمًا للنَّيْل منهم والقتال لهم، وتشجيع الأتراك والمصريِّين علىٰ حَرْبهم، فجرىٰ ما جرىٰ من الفتن والقتال.

وصار القتالُ بين الجنود المصريَّة والتُّركيَّة ومَنْ معهم، وبين آل سعودٍ في نجد والحجاز سجالًا مُدَّةً طويلةً من عام ١٢٢٦ هـ إلىٰ عام ١٢٣٣هـ، سبع سنين كلُّها قتالٌ ونضالٌ بين قُوىٰ الحقِّ وقُوىٰ الباطل.

❑ **والخلاصة**: أنَّ هذا الإمام الَّذي هو الشَّيخ محمد بن عبد الوَهَّاب -رحمة الله عليه- إنَّما قام لإظهار دين الله، وإرشاد النَّاس إلىٰ توحيد الله، وإنكار ما أَدْخَل النَّاس فيه من البدع والخرافات، وقام أيضًا لإلزام النَّاس بالحقِّ، وزجرهم عن الباطل، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.

هذه خلاصة دعوته رحمة الله تعالى عليه، وهو في العقيدة علىٰ طريقة السَّلَف الصَّالح يؤمن بالله وبأسمائه، وصفاته، ويؤمن بملائكته، ورُسُله وكُتُبه، وباليوم الآخر، وبالقَدَر خيرِهِ وشَرِّهِ، وهو علىٰ طريقة أئمَّة الإسلام في توحيد الله، وإخلاص العبادة له جلَّ وعلا.

في الإيمان بأسماء الله وصفاته علىٰ الوجه اللَّائق بالله سبحانه، لا يُعطِّل صفات الله، ولا يُشبِّه اللهَ بخَلْقه، وفي الإيمان بالبعث والنُّشور، والجزاء والحساب، والجنَّة والنَّار، وغير ذلك.

ويقول في الإيمان ما قاله السَّلَف: إنَّه قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص، يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعصية، كلُّ هذا من عقيدته رَحِمَهُ اللهُ، فهو علىٰ طريقتهم وعلىٰ عقيدتهم، قولًا وعملًا، لم يخرج عن طريقتهم ألبتة، وليس له في ذلك مذهبٌ خاصٌّ، ولا طريقةٌ خَاصَّةٌ، بل هو علىٰ طريق السَّلَف الصَّالح من الصَّحَابة وأتباعهم بإحسانٍ، رضي الله عن الجميع.

وإنَّما أظهر ذلك في نجد، وما حولها، ودعا إلىٰ ذلك، ثمَّ جاهد عليه مَنْ أباه وعانده، وقاتلهم، حتَّىٰ ظهر دين الله وانتصر الحقُّ.

وكذلك هو علىٰ ما عليه المسلمون من الدَّعوة إلىٰ الله، وإنكار الباطل، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، ولكن الشَّيخ وأنصاره يدعون النَّاس إلىٰ الحقِّ، ويلزمونهم به، وينهونهم عن الباطل، وينكرونه عليهم، ويزجرونهم عنه حتَّىٰ يتركوه، وكذلك جدَّ في إنكار البدع والخرافات حتَّىٰ أزالها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بسبب دعوته.

❐ **فالأسباب الثَّلاثة المُتقدِّمة آنفًا هي أسباب العداوة والنِّزاع بينه وبين النَّاس، وهي:**

- **أوَّلاً:** إنكار الشِّرك والدَّعوة إلىٰ التَّوحيد الخالص.
- **ثانيًا:** إنكار البدع، والخرافات، كالبناء علىٰ القبور واتِّخاذها

مساجد، ونحو ذلك؛ كالموالد والطرق الَّتي أحدثتها طوائفُ المُتصوِّفة.

❁ **ثالثًا:** أنَّه يأمر النَّاس بالمعروف، ويلزمهم به بالقُوَّة، فمَنْ أَبَىٰ المعروف الَّذي أوجبه الله عليه، أُلْزِمَ به وعُزِّر عليه إذا تركه، وينهىٰ النَّاس عن المنكرات، ويزجرهم عنها، ويقيم حدودها، ويلزم النَّاس بالحقِّ، ويزجرهم عن الباطل.

وبذلك ظهر الحقُّ وانتشر، وكبت الباطل وانقمع، وصار النَّاس في سيرةٍ حسنةٍ، ومنهجٍ قويمٍ في أسواقهم، وفي مساجدهم، وفي سائر أحوالهم، لا تُعْرَف البدع بينهم، ولا يوجد في بلادهم الشِّرك، ولا تظهر المنكرات بينهم، بل مَنْ شاهد بلادهم وشاهد أحوالهم وما هم عليه، ذَكَر حالَ السَّلف الصَّالح وما كانوا عليه زمن النَّبيِّ ﷺ، وزمن أصحابه، وزمن أتباعه بإحسانٍ في القرون المُفضَّلة، رحمة الله عليهم.

فالقوم ساروا سيرتهم، ونهجوا منهجهم، وصبروا علىٰ ذلك، وَجَدُّوا فيه، وجاهدوا عليه، فلمَّا حصل بعض التَّغْيير في آخر الزَّمان بعد وفاة الشَّيخ مُحمَّد بمُدَّةٍ طويلةٍ، ووفاةِ كثيرٍ من أبنائه -رحمة الله عليهم- وكثيرٍ من أنصاره، حصل بعض التَّغْيير، جاء الابتلاء والامتحان بالدَّولة التُّركيَّة، والدَّولة المصريَّة، مصداق قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل ما أصابهم تكفيرًا وتمحيصًا من الذُّنُوب، ورفعةً وشهادةً لمَنْ قُتِل منهم، رضي الله عنهم ورحمهم.

ولم تزل دعوتُهم -بحمد الله- قائمةً منتشرةً إلىٰ يومنا هذا، فإنَّ الجنود المصريَّة لَمَّا عاثت في نجدٍ، وقَتَلتْ مَنْ قَتَلتْ، وخرَّبت ما خرَّبت، لم يمضِ علىٰ ذلك إلَّا سنواتٌ قليلةٌ، ثمَّ قامت الدَّعوة بعد ذلك وانتشرت، ونهض بالدَّعوة بعد ذلك بنحو خمس سنين الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود -رحمة الله عليه- فنشر الدَّعوة في نجد وما حولها، وانتشر العلماء في نجد، وأخرج مَنْ كان هناك من الأتراك والمِصْريِّين، أخرجهم من نجد وقراها وبلدانها، وانتشرت الدَّعوة بعد ذلك في نجد في عام ١٢٤٠هـ.

وكان تخريب الدرعية والقضاء علىٰ دولة آل سعود في عام ١٢٣٣هـ، فمكث النَّاس في نجد في فوضىٰ وقتالٍ وفتنٍ بنحو خمس سنين من (١٢٣٤هـ- ١٢٣٩ هـ).

ثمَّ في عام أربعين بعد المئتين وألفٍ، اجتمع شمل المسلمين في نجد علىٰ الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، وظهر الحقُّ، وكتب العلماء الرَّسائل إلىٰ القرىٰ والبلدان، وشَجَّعوا النَّاس ودَعَوْهم إلىٰ دين الله، وانطفأت الفتن الَّتي بينهم بعد الحروب الطَّويلة الَّتي حصلت علىٰ أيدي المِصْريِّين وأعوانهم، وهكذا انطفأت الحروب والفتن الَّتي وقعت بينهم علىٰ أثر تلك الحروب، وخمدت نارها، وظهر دين الله، واشتغل النَّاس بعد ذلك بالتَّعْليم، والإرشاد، والدَّعوة، والتَّوجيه، حتَّىٰ عادت المياه إلىٰ مجاريها، وعاد النَّاس إلىٰ أحوالهم، وما كانوا عليه في عهد الشَّيخ، وعهد تلامذته، وأبنائه، وأنصاره، رضي الله عن الجميع ورحمهم.

وَاسْتَمرَّت الدَّعوة من عام ١٢٤٠هـ إلىٰ يومنا هذا بحمد الله، ولم يزل يخلف آل سعود بعضهم بعضًا، وآل الشَّيخ وعلماء نجد بعضهم بعضًا، فآل سعود يخلف بعضهم بعضًا في الإمامة والدَّعوة إلىٰ الله والجهاد في سبيل الله.

وهكذا العلماء يخلف بعضهم بعضًا في الدَّعوة إلىٰ الله، والإرشاد إليه، والتَّوجيه إلىٰ الحقِّ.

إلَّا أنَّ الحَرَمين بَقِيَا مفصولين عن الدَّولة السَّعوديَّة دهرًا طويلًا، ثمَّ عادَا إليهم في عام ١٣٤٣هـ، واستولىٰ علىٰ الحَرَمين الشَّريفين الإمام عبد العزيز بن عبد الرَّحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن مُحمَّد بن سعود -رحمة الله عليه- ولم يزالا -بحمد الله- تحت ولاية هذه الدَّولة إلىٰ يومنا هذا، فلله الحمد.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُصلح البقيَّةَ الباقيَة من آل سعودٍ، ومن آل الشَّيخ، ومن علماء المسلمين جميعًا في هذه البلاد، وغيرها، وأَنْ يُوفِّقهم جميعًا لما يرضيه، وأن يصلح علماء المسلمين أينما كانوا، وأن ينصر بالجميع الحقَّ، ويخذل بهم الباطل، وأَنْ يُوفِّق دعاة الهدىٰ أينما كانوا للقيام بما أوجب الله عليهم، وأَنْ يَهْدينا وإيَّاهم صراطه المستقيم، وأن يعمر الحَرَمين الشَّريفين، وملحقاتهما، وسائر بلاد المسلمين بالهدىٰ، ودين الحقِّ، وبتعظيم كتاب الله وسُنَّة نَبيِّه ﷺ، وأن يَمُنَّ علىٰ الجميع بالفقه فيهما، والتَّمسُّكِ بهما، والصَّبرِ

علىٰ ذلك، والثَّبات عليه، والتَّحاكم إليهما، حتَّىٰ يَلْقَوا رَبَّهم عَزَّوَجَلَّ؛ إنَّه علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ.

وهذا آخر ما تَيسَّر بيانه، والتَّعريف به من حال الشَّيخ، ودعوته، وأنصاره، وخصومه، والله المستعان، وعليه الاتِّكَال، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

وصلَّىٰ الله وَسَلَّم وبارك علىٰ عبده ورسوله، نَبيِّنا وإمامنا مُحمَّد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ سلك سبيلَه، واهتدىٰ بِهُداه، والحمد لله ربِّ العالمين.

ترجمة فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

❐ اسمه ونسبه:

هُوَ شَيْخُنا العَلَّامة، السلفي، الفَقِيه، المُسْند، المُحَدِّث، حاملُ لِوَاء السُّنَّة ونَاصِرُها، وقَاهِر البِدْعةِ ومُبْطلها، العَالِم الرَّبَّانيُّ الحَبْر، صَاحِبُ الأَخْلاقِ العَلِيَّة، والمَنَاقبِ الرَّضيَّة، ذُو التَّصانِيفِ النَّافعة، والمُصنَّفاتِ الجَلِيلة الرَّائعة، كَانَ مَنَارًا عَظِيمًا مِنْ مَنارَاتِ العِلْمِ، مُتَّفقًا علىٰ عِلْمِهِ وإمامتِهِ وجلالتِهِ وزُهْدِهِ ووَرَعِهِ وعبادتِهِ وصيانتِهِ، مُفْتيًا لمِنْطقة جَازَان في عصرِهِ:

«أَحْمد بْن يَحْيىٰ بْن مُحمَّد بْن شُبير النَّجْمي»:

❐ ولادته ونشأته:

وُلِدَ الشيخُ أحمدُ بن يَحْيَىٰ النجمي في ٢٢/ ١٠/ ١٣٤٦هـ بقَرْية النجامية، وكَانَ وحيدًا لأَبَويْنِ صَالِحَين لم يُرْزقَا سِوَاه؛ ولِذَلِكَ نَذَرا أَلَّا يُكلِّفانه شيئًا من أُمُور الدُّنيا، بَلْ نَذَرا به لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في تَعْليمِهِ، وتَرْبيتِهِ تَرْبيةً سَلِيمةً صَحِيحةً.

❑ **نشأته العلمية:**

مَنَّ اللهُ ﷻ علىٰ منطقة جازان بقُدُومِ شيخٍ كبيرٍ، وعالمٍ جليلٍ قادمٍ من بلاد نجد؛ إنَّه الشَّيخ العَلَّامة/ عبد الله بْن مُحمَّد القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ، وكَانَ قُدُومُه لمنطقة جازان عام ١٣٥٨هـ بأَمْرٍ من مُفْتي الدِّيار السَّعوديَّة آنَذَاك، سماحة الشَّيخ العَلَّامة/ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ، وقَدِ اسْتَقرَّ المقامُ بالشَّيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ في صامطة داعيًا، ومُرْشدًا، ومُعلِّمًا، ثمَّ أَنْشَأ بَعْد ذَلِكَ المدرسةَ السَّلفيَّة بصامطة، وذَلِكَ في عام ١٣٥٩هـ.

وكان المُتَرجم له الشَّيخُ أحمدُ بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللهُ يَتردَّد علىٰ الشَّيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ كثيرًا بصُحْبة عَمَّيه (الشَّيخ حسين بن محمد النَّجمي، والشَّيخ حسن بن محمد النَّجمي رحمهما الله)، وكَانُوا يَأْخُذون عنه جميعًا العلمَ الشَّرعيَّ، وفي شهر صفر من عام ١٣٦٠هـ سَارَع الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ مع أبناءِ قَريتِهِ النجامية بِالالْتِحَاقِ بالمَدْرسَة السَّلفيَّة بصامطة، وانْتَظمُوا في حَلْقة الشَّيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ، وَاسْتَمعُوا لدُرُوسِهِ، وتَزوَّدُوا من علمِهِ.

فأَخَذ الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ عن الشَّيخ القرعاويِّ رَحِمَهُ اللهُ الأُصُولَ الثَّلاثةَ، والتَّجْويدَ، والتَّفْسيرَ وأُصُولَه، وتَابَع معه في عُلُوم القرآنِ، والتَّاريخ الإسلاميِّ، واللُّغة العربيَّة، وغيرها.

كما قرأ الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ علىٰ الشيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ كتابَ «التَّوْحيد»، و«العقيدة الطَّحاويَّة» بشَرْح الشَّيخ القرعاوي، وقَرَأ عليه «بُلُوغ المرام» و«البَيْقونيَّة»، و«نُخْبة الفِكَر»، وشرحها «نزهة النَّظر»، و«الدُّرر البهيَّة» مع شَرْحها «الدَّراري المضيَّة» في الفقه.

أعماله:

عُيِّنَ من قِبَلِ شَيْخِهِ مُدرِّسًا في مدرسة النجامية التَّابعة لمَدَارِسِ الشَّيخ القرعاويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ احْتِسَابًا، وذَلِكَ في ١/ ٢/ ١٣٦٧هـ.

وفي عام ١٣٧٢هـ، عُيِّنَ بأمرِ شَيْخه عبد الله القرعاوي إمامًا، وواعظًا، وخطيبًا في قَرْية (أبو سبيلة) بالحرث حتَّىٰ نهاية عام ١٣٧٣هـ.

وَفِي بِدَايَة عام ١٣٧٤هـ، تمَّ افتتاحُ المعهدِ العِلْميِّ في صامطة؛ فعُيِّنَ فِيهِ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعلِّمًا، وكَانَ ذَلِكَ في ١/ ١/ ١٣٧٤هـ.

وبَقِيَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مُدرِّسًا بالمَعْهدِ العلميِّ في صامطة حتَّىٰ ١١/ ٣/ ١٣٨٤هـ، حيث اسْتقَالَ من التَّدْريسِ علىٰ أملِ أَنْ يُواصِل تدريسه في الجَامِعَةِ الإِسْلاميَّة بالمدينَةِ النَّبويَّةِ، وبعدها عَمِل في سِلْك الدعوة إلىٰ الله ثلاث سنوات.

ولمَّا تَعِبَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ من التَّنقُّل بَيْن المُدُنِ والقُرَىٰ- رَغِبَ أن يَعُودَ إلىٰ حَقْل التَّعْليمِ في المَعَاهِدِ العِلْميَّة؛ فنُقِلَتْ خِدْماتُهُ إلىٰ المعهدِ العلميِّ مَرَّةً أُخْرىٰ بجازان، فعُيِّنَ فيه في ١/ ١/ ١٣٨٧هـ، ثمَّ انْتقَل بَعْد ذَلِكَ إِلَىٰ مَعْهدِ صامطة العلميِّ إلىٰ أَنْ أُحِيلَ للتَّقاعُدِ في ١/ ٧/ ١٤١٠هـ؛ لبُلُوغِه السِّنَّ النِّظاميَّة.

ثُمَّ عادَ رَحِمَهُ اللَّهُ واستقرَّ به المقامُ في مَسْقط رأسِهِ بقَرْيتِهِ النجاميَّة إمامًا وخطيبًا بجَامِعِها، ومُعلِّمًا ومُفتيًا فيها.

❐ شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم، وهم بالترتيب الزمني:

١- الشَّيخ عبده بن عقيل النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- الشَّيخ يحيىٰ فقيه عبسي رَحِمَهُ اللَّهُ من أَهْلِ اليَمَن.

٣- الشَّيخ الإمام العَلَّامة الدَّاعية المُجدِّد في جَنُوب المملكة: عبد الله بن مُحمَّد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- الشَّيخ عثمان بن عثمان حملي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- الشَّيخ إبراهيم بن مُحمَّد العمودي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- الشَّيخ علي بن الشَّيخ عثمان زياد الصُّومالي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧- الشَّيخ حافظ بن أحمد حَكَمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨- الشَّيخ الإمام العَلَّامة مُفْتي البلاد السَّعوديَّة السَّابق مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩- الشَّيخ الإمام العَلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

❐ تلاميذه:

وقَدْ تَخرَّج عَلَى يَدَي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ آلافُ الطُّلاب والحَمْدُ لله، نذكر منهم:

١ـ العَلَّامة المُحدِّث الدُّكتور ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله.

٢ـ العَلَّامة الفقيه زيد بن محمد بن هادي المدخلي حفظه الله.

٣ـ العَلَّامة الدُّكتور علي بن ناصر فقيهي حفظه الله.

٤- الشَّيخ الدُّكتور مُحمَّد بن هادي المَدْخلي حفظه الله.

وهُنَاك الكَثِيرُ والكَثِيرُ من طُلَّاب العِلْمِ الَّذين تَخرَّجوا علىٰ يدي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من شَتَّىٰ البُلْدان من المَمْلكةِ العَربيَّة السَّعوديَّة وَخَارِجها.

❑ مؤلفاته:

لفضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلفات كُثُرٌ، نذكر منها:

١- إتمام المِنَّة بشرح أصول السُنَّة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- فتح الربِّ الغَني بتوضيح شرح السُّنَّة للمُزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- فتح الرَّحيم الودود في التعليق علىٰ كتاب السُّنَّة من سُنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤- إرشاد السَّاري إلىٰ شرح السُّنَّة للإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- بُلوغ الأَمَاني بشرح عقيدة ابن أبي زَيْد القَيْرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- الفوائد الجِيَاد مِن لمعة الاعتقاد.

٧- التعليقات الأثرية علىٰ العقيدة الواسطية.

٨- التعليقات البهية علىٰ الرَّسائل العقدية.

٩- الشرح المُوجز المُمهَّد لتوحيد الخالق المُمجَّد الذي أَلَّفه شيخ الإسلام مُحمَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠- الأمالي النَّجمية علىٰ مسائل الجاهلية.

١١- فتح الربِّ الغفور ذي الرَّحمة في شرح الواجبات المُتحتمات المَعْرِفة علىٰ كل مُسلمٍ ومُسلمة.

١٢- الفوائد المنثورة بالتعليق علىٰ أعلام السُّنَّة المَنْشورة للحَكَمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣- أوضح الإشارة في الردِّ علىٰ مَنْ أباح المَمنوع من الزيارة.

١٤- تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة.

١٥- رسالة الإرشاد إلىٰ بيان الحقِّ في حكم الجهاد.

١٦- المَوْردِ العَذْب الزُّلال فيما انْتُقِد علىٰ بعض المناهج الدَّعوية من العقائد والأعمال.

١٧- ردُّ الجواب علىٰ مَنْ طلب مِنِّي عدم طبع الكتاب.

١٨- فتح الربِّ الودود في الفتاوىٰ والرسائل والردود (٤ مجلدات).

١٩- الفتاوىٰ الجَليَّة عن المناهج الدَّعوية (مجلدان).

❑ **صفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

تميَّز شيخُنا أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصفات كثيرة جليلة، نذكر منها:

❁ **أوَّلاً: حسْنُ تَعَامل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع طُلابِه، وتشجيعه لهم:**

كان شَيْخُنا أحمدُ النَّجْمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رُبَّما يَسأل سؤالًا؛ فيقول لأحدِ طُلَّابه: «أَخْبِر السَّائل بالجواب»- إذا عَلِمَ أنَّ الطَّالبَ يُتْقِنُ الجوابَ.

و قال الشَّيخُ مُحمَّد بن مُحمَّد صغير عَكُّور:

«سألني سائلٌ سؤالًا؛ فقلتُ له: أذهبُ أسألُ الشَّيخَ أحمدَ النَّجميَّ، ثمَّ أُبْلِغك الجوابَ! فلمَّا ذهبتُ إلىٰ الشَّيخِ، وقلتُ له: سألني سائلٌ سؤالًا؛ فقلت له: أسألُكَ، ثمَّ أُعْطِيه الجوابَ. فقال لي الشَّيخُ: لماذا ما أفتيتَهُ؟ فقلتُ: يا شيخُ، كيف أُفْتِي وأَنْتَ هنا (أو كلامًا نحوه)، فقال الشَّيخُ: إلىٰ مَتَىٰ تَبقون عالَةً علىٰ النَّاس؟!».

و قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كان الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ رُبَّما يَأتي المُسْتفتِي؛ فيَسأل شيخَنَا عن مسألةٍ؛ فيسألُ شَيْخُنا بعضَ الطُّلَّابِ، فيقول لهم: «ما رأيُكم في هذه المسألة؟» حتَّىٰ إنَّه في مرة من المَرَّاتِ قلتُ له: يا شيخَنا، الفَتْوىٰ لكم! فقال شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِن باب المُذَاكرة!».

رُبَّما يُفتي شَيْخُنا في مسألةٍ من المسائل، فيَعْرِض عليه بعضُ الطَّلَبة وِجْهة رأيه في المسألة بأُسْلُوبٍ مُؤدَّبٍ، مُؤيِّدًا ذلك بالأدلَّة؛ فيُغيِّر شَيْخُنا فَتْواه في المسألة.

ممَّا يُلَاحظ أنَّ شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ كان إذا قَدَّمَ لرسالةٍ أو بحثٍ لأحدِ طُلَّابه، شَجَّعَه بما يكون حافزًا له علىٰ مُوَاصلةِ الجدِّ والبحثِ.

أَلْقَىٰ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ محاضرةً، وحَصَل وَهْمٌ في بعضِ المسائلِ في المُحَاضرةِ، فأَمَر شَيْخُنا بالشَّريط الَّذي سُجِّلَتْ فيه المحاضرةُ، وصَوَّبَ ما حَصَل من وَهْمٍ فيها، وأعادَ تَسْجِيلَها؛ فرحمةُ الله عليه رحمة الأبرار.

نَقَل شَيْخُنا في بعضِ كُتُبِهِ فوائدَ من بعضِ طُلَّابِهِ، وهذا في غاية التَّواضُعِ.

وقَالَ الشَّيخُ زيد بن مُحمَّد المدخلي -حفظه الله- كلمةً مختصرةً في شَيْخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكنَّها عظيمةٌ في مَدْلولها:

«الشَّيخ أحمد مُرَبٍّ، وحقًّا إنَّه لمُرَبٍّ بأخلاقِهِ، مُرَبٍّ في تَعامُلِهِ مع طُلَّابِهِ وزُمَلائِهِ، ومُجْتمعِهِ».

❁ ثانيًا: عبادة الشَّيخ وزُهده:

عُرِفَ شَيْخُنا العَلَّامةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ واشْتُهِرَ بحِرْصِهِ علىٰ العبادة، ومنها قيامُ اللَّيل، فلا يتركُهُ في حِلِّه وترحالِهِ، وفي سفرِهِ وإقامتِهِ؛ فكان لا يدعُ قيامَ اللَّيل عليه رحمة الله، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا ينام في اللَّيل إلَّا أربع ساعاتٍ فقط؛ كما أخبرَ بذلك بعضُ طُلَّابِهِ.

❁ ثالثًا: تواضع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

لقَدْ قدَّمَ شَيْخُنا أحمد بن يحيىٰ النَّجمي أَرْوَعَ الأَمْثلة في التَّواضُع، فَمَا رَأَتْ عَيْناي مِثْلَه في التَّواضُع.

وإِلَيْك بَعْض مَواقِفِ شَيْخنا الَّتي تدلُّ على تَواضُعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كَثِيرًا ما كُنَّا نَرَىٰ شَيْخنا يَقُومُ مِنْ مَجْلسِهِ ليَغْسلَ الأَكْواسَ لضُيُوفِهِ، أو يُقَرِّبَ ثلاجاتِ الشَّاي والقَهْوة إِلَيْهم.

حَصَل لي قَبْل سَنَواتٍ كسرٌ في التُّرْقُوةِ، فَما إِنْ وَصَلْتُ من المستشفىٰ، ودخلتُ غُرْفةَ النَّوم في بَيْتي إلَّا وشَيْخنا أَحْمد النَّجمي دَاخلٌ عليَّ، وقَدْ وَصَله الخبرُ، وجَاءَ مُسْرعًا؛ ليَطْمئنَّ عليَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تتبَّعتُ مَنْ زَارَنِي في ذَلِك المرَضِ؛ فرأيتُ أكثرَ مَنْ زَارَنِي هُو شَيْخنا أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

كُنْتُ إذَا غِبْتُ عن شَيْخنا النَّجميِّ يومًا لظُرُوفٍ أو لشُغْلٍ مَا؛ اتَّصلَ بِي مباشرةً، وسَأَلَ عنِّي، وقال: «مَا رَأيْنَاكَ بالأَمْسِ، عَسَىٰ ما خلاف!»، ثمَّ أُبْدِي له سببَ غِيَابِي.

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في سنةٍ قديمةٍ يَذْهبُ بسَيَّارتِهِ إلىٰ قريةٍ مجاورةٍ؛ ليَأْخُذَ أَحَدَ طَلَبة العِلْم الفُقَراء المُغْترِبين ليأكلَ معه طعامَ الإفْطارِ شِبْهَ يوميٍّ.

أُثْنِي عَلَىٰ شَيْخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ في إِحْدَىٰ المُحَاضراتِ ثناءً كبيرًا، فعَقَّبَ شَيْخُنا علىٰ ذَلِكَ الثَّناء، وَانْتقَدَه، وقالَ: «إنَّما أنَا طُوَيْلبُ عِلْمٍ صغيرٌ».اهـ.

۞ رابعًا: حرص الشيخ على العلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان الشيخ أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ عجيبًا في حرصه علىٰ العلم، تعلُّمًا وتعليمًا، وإليك بعض المواقف التي ذكرها الشيخ عبد الله بن محمد النجمي تؤيد ذلك:

قالَ الشَّيخُ زيد بن مُحمَّد المدخلي حفظه الله تعالى: «ما عرفتُ الشَّيخَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ إلَّا وَهُو يُعلِّم، ويَنْشر، ويَدْعو إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ».اهـ.

قَبْلَ سنواتٍ حَصَل حادثُ سَيَّارةٍ لشَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، فتَعِبَ علىٰ إِثْرِهِ، فكَتَب أبناءُ الشَّيخ لوحةً علىٰ بابِ بَيْتِهِ يُحدَّد فيها مَوَاعيدُ الاسْتِفْتاءِ، والزِّيارة؛

حِرْصًا مِنْهم علىٰ راحةِ الشَّيخ، فطَلَب مِنْهم إِبْعَادَ اللَّوحةِ، وإِزَالَتها، وبالفِعْل حَصَل ذَلِكَ؛ فلله دَرُّه من شيخٍ نَذَر حَياتَه لله عَزَّوَجَلَّ!

ممَّا يتميز به شَيْخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صَبْرُهُ علىٰ التَّدْريس، فقَلَّ أن تجدَ له نظيرًا في هَذَا البَابِ، فرُبَّما كانَ للشَّيخ في اليومِ الواحدِ سبعةُ دُروس؛ إضافة إلىٰ المُستفتين الذين يأتون للشيخ في اليوم الواحد مِنْ دَاخِل المِنْطقَةِ وخَارِجها، والزُّوَّار الَّذين يَأْتُونَ لزيارة الشَّيخ، وكأَنَّه لا يَرْتاحُ، ولَا يَطمئنُّ إِلَّا مع الدُّرُوس (التَّدْريس)، بَلْ يَكُونُ علىٰ فِرَاشِ المَرَضِ في البَيْتِ أو في المُسْتَشفىٰ؛ وَهُو يُقْرأ عليه، ويُجِيبُ السَّائلين؛ بَلْ ذَكَر لنا الشَّيخُ الدُّكتور/ مُحمَّد بن هادي المدخلي -حفظه الله- وكانَ مِمَّنْ يحبُّه شَيْخنا، ويُجلُّه «أنَّه قَرأَ علىٰ الشَّيخ، والجبسُ عَلَىٰ قَدَمِ الشَّيخ، وأثرُ الدَّمِ باقٍ في قَدمِهِ من حادثِ سَيَّارةٍ».اهـ.

۞ خامسًا: كرم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبذله، وعطاؤه:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

أمَّا عَنْ كَرَم شَيْخنا، فَسَائِلْ عَنْه كلَّ مَنْ عَرَف شَيْخنا، أَوْ زَارَه فستَجِد عَجَبًا:

كَانَ شَيْخُنا إِذَا زَارَه أحدٌ مِنْ مُحبِّيه من طَلَبة العِلْمِ أو المَشَائِخ لا يَتردَّد في دَعْوتِهِ للإفطارِ، أو الغداءِ، أو العشاءِ، وكَانَ كثيرًا ما يَتَّصلُ بي، ويَطْلبُ منِّي أَنْ أتَّصل بالمندي؛ لِكَيْ يعدُّوا ذبيحةً، أو نصفَ ذبيحةٍ علىٰ حِسَابِ شَيْخنا؛ بل رُبَّما يَكُونُ شَيْخُنا صائمًا، ومَعَ ذَلِكَ يُكْرِمُ ضُيُوفَه وطُلَّابَه.

مِمَّا عَرفتُهُ من شَيْخنا مِنْ خِلَالِ مُلَازمتِي له: كُنَّا نَذْهَبُ إِلَىٰ أَحَدِ المسارحة يَوْم السَّبت لدرسٍ في «صحيح مسلم»، وعِنْد العَوْدة يَطْلُبُ الشَّيخُ

منِّي صرفًا لخمس مئةِ ريالٍ، ثمَّ يَصْرفها دائمًا لطَلَبة العِلْمِ المُحْتاجِين، ويَتعَاهد بها الفُقَراءَ والمَسَاكِينَ.

۞ **سادسًا: تعفف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحبَ تعفُّفٍ عجيبٍ، وأَذْكُر أنَّه في مَرَّةٍ مِنَ المَرَّاتِ مَرَرْتُ أنا وإيَّاه بمَخْبزٍ، وقال شَيْخُنا: أُرِيدُ بريالٍ خبزًا، فذَهَب، وأخذتُهُ من المَخْبزِ، وقَالَ لي عاملُ المَخْبزِ: لَا تَأْخُذْ من الشَّيخِ الرِّيالَ، وقُلْ لَهُ: الأمرُ سهلٌ، فقَالَ شَيْخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قُلْ لهم: إمَّا أن يَأْخُذُوا الرِّيالَ، وإمَّا أَنْ أُعِيدَ الخبزَ، فأَخَذُوا الرِّيالَ.

بَعْدَ عِيدِ فِطْر عام ١٤٢٨هـ، جاءَ أحدُ التجَّار لِزِيَارةِ شَيْخِنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثمَّ لمَّا أرادَ الخُرُوجَ من بَيْتِ شَيْخِنا، طَلَب التَّاجرُ منِّي أَنْ أَخرجَ مَعَه خارجَ المَجْلسِ، فخرجتُ مَعَه، وقالَ لِي: «عِنْدِي خمسةُ آلافِ ريالٍ أُرِيدُكَ أَنْ تُعْطي الشَّيخَ مُسَاعدةً منِّي؛ لأنَّ الشَّيخَ يأتي إليه أُنَاسٌ كثيرٌ!»، فقلتُ له: أنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْتلمَها مِنْك، ولَكِنْ أَعْرض الأمرَ علَىٰ شَيْخِنا فكَلَّمتُهُ، فقالَ: «إِنْ كَانَ يُرِيدُها لي فأنا -والحَمْدُ لله- بخيرٍ»، ولَمْ يَقْبَلها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ **سابعًا: حرص الشيخ على اتِّباع السُّنَّة:**

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غَايَة الحِرْصِ عَلَىٰ اتِّباعِ السُّنَّة؛ ففِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، وَفِي صَلَاةِ الظُّهرِ، دَخَل شَيْخُنا الجامعَ القديمَ، وكَانَ لابسًا حِذَاءَه، وتَقدَّمَ المحرابَ؛ وَهُوَ لابسٌ الحِذَاءَ، فقالَ بعضُ النَّاسِ: يَا شيخ، نَسِيتَ الحذاءَ!

فقَالَ شَيْخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عَمْدًا فعلتُ هَذَا»، فرحمةُ اللهِ عَلَىٰ شَيْخِنا رحمةَ الأَبْرارِ، ما أشدَّ حِرْصَه علىٰ اتِّباعِ السُّنَّة.

كان شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصًا عَلَىٰ تَشْيِيعِ الجنَائِزِ، وعَلَىٰ التَّعزية، وواللهِ، لقَدْ رأيتُ مِنْ شَيْخِنا مِنْ ذَلِكَ عجبًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولَقَدْ سافرتُ مَعَ شَيْخِنا إلىٰ مَكَّة؛ لتَشْيِيعِ جِنَازةِ الشَّيخ الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتَعْزية أَهْلِهِ، وكَانَ شَيْخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِذَا ذَهَب إلىٰ التَّعزيةِ لا يُطِيلُ الجُلُوسَ.

قَالَ الشَّيخُ الدُّكتور مُحمَّد بن هادي حفظه الله:

«كُنْتُ آتِي إِلَىٰ شَيْخِنا أحمد النجمي في الضُّحىٰ؛ فكنتُ دائمًا أَدْخُلُ عليه في بيتِهِ القَدِيمِ في صامطة في وَقْتِ الضُّحىٰ، وهُوَ يُصلِّي الضُّحَىٰ».

مَا عرفتُ شَيْخَنا إلَّا وَهُو يخضبُ لِحْيته بالحنَّاء؛ عملًا بالسُّنَّة، وما رأيتُ لحيتَه بيضاءَ إلَّا بَعْد أن دخلَ المُسْتَشفىٰ، ودَخَل في غَيْبوبةٍ.

كثيرًا ما كَانَ يَقْرأ شَيْخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فَجْر الجُمُعةِ بـ(السَّجْدة والإنسانِ).

۞ ثامنًا: دفاع الشيخ المرير عن السُّنَّة، ووقوفه الصامد في وجه أهل البدع:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

يَتَّضحُ ذلك جليًّا من خِلَالِ كُتُبِ شَيْخنا، ورُدُودِه، ومُحاضَراتِهِ، ودُرُوسِهِ؛ فكلُّها بيانٌ للعَقِيدةِ الصَّحيحة، وتحذيرٌ ممَّا يُضادُّها، وبيانٌ للسُّنَّة، وتحذيرٌ مِنَ البِدَعِ وأَهْلِها بشَتَّىٰ طَوَائِفهم، ومَنَاهِجهم، فهذِهِ كُتُبهُ شاهدةٌ، ومُحاضَراتُهُ ناطقةٌ، فقَدْ عُرِفَ شَيْخُنا بشَجَاعتِهِ في بيانِ الحقِّ؛ فكانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يخافُ في اللهِ لَوْمةَ لائمٍ، ويُبيِّن الحقَّ، ويردُّ علىٰ أَهْلِ الباطلِ بَاطِلَهم؛ رَضِيَ مَنْ رَضِيَ، وغَضِبَ مَنْ غَضِبَ.

❏ **وفاته** رَحِمَهُ اللَّهُ:

لقَدْ تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ بمَدِينَةِ المَلِك فَهْد الطِّبِّيَّة بالرِّياض في يَوْم الأَرْبعاء ٢٠/ ٧/ ١٤٢٩هـ في تَمامِ السَّاعة العاشرةِ والنِّصْفِ صباحًا تقريبًا، وذلك بَعْد مُعانَاةٍ طويلةٍ مَعَ المَرَض، وقَدْ أُجْرِيَتْ له عَمليَّاتٌ جراحيَّةٌ في رأْسِهِ وبطنِهِ، وَاسْتمرَّتْ مُعاناتُهُ ثمانيةَ أشهرٍ، جَعَل اللهُ ذلك كَفَّارةً لسَيِّئاتِهِ، ورِفْعةً لدَرجاتِهِ في جَنَّاتِ الفِرْدوسِ نُزُلًا.

نُقِلَ جُثْمانُ وَالِدِنا رَحِمَهُ اللَّهُ بطَائرةٍ خاصَّةٍ إلىٰ منطقة جازان بأَمْرٍ من نائب خَادِمِ الحَرمَين الشَّريفين الأمير/ سلطان بن عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، وصُلِّي عليه، ووُوري جُثْمانه عصرَ يوم الخميس الموافق ٢١/ ٧/ ١٤٢٩هـ في مَسْقط رأسِهِ بقرية النجاميَّة.

وقَدْ شَيَّعَ جنازتَه خَلْقٌ كثيرٌ من أبنائِهِ، وأقربائِهِ، ومعارفِهِ، وطُلَّابِهِ؛ الَّذين جَاؤُوا مِنْ كلِّ مكانٍ؛ من دَاخِلِ بِلَادِنا السَّعوديَّة وَخَارِجها، وكَانَ مَشْهدُ التَّشييع مَهِيبًا؛ حَضَره عددٌ كبيرٌ من المُشيِّعين؛ لم تَشْهد المنطقةُ مثلَه من قَبْل، فكانَ خبرُ وفاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فاجعةً، وأَسىٰ، وحُزْنًا في نُفُوسِ جميعِ مُحبِّيهِ؛ مَنْ عَرَفه أو نَهَل مِنْ عِلْمِهِ الصَّافي.

نَسْأل اللهَ أن يتغمَّدَه بواسعِ رَحْمتِهِ، وأَنْ يُسْكنَه فسيحَ جَنَّاتِهِ، اللَّهمَّ آمين.

وقَدْ رَثَاه مجموعةٌ من الشُّعراء والأُدبَاء شعرًا ونثرًا؛ من الدَّاخل أو الخَارِجِ.

❑ **الخاتمة:**

وفي ختام هذه الترجمة أودُّ أُن أُشير إلىٰ أنها شيءٌ يسيرٌ ممَّا دَوَّنَه بعضُ أبناءِ الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتلاميذه، وَمُحبِّيه من طُلَّاب العِلْمِ من داخلِ المملكة العربيَّة السَّعوديَّة وخارجها، وفاءً بحقِّ شيخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ما قَدَّمه للإسلام والمسلمين.

وقد أردنا بهذه الترجمة المُختصرة التَّعْريفَ بهذا العَالِم الجليلِ لمَنْ لا يعرفُهُ من خلال فقرات هذه الترجمة، نَفَع اللهُ بها الجميعَ دنيا وأخرىٰ.

وجَزَىٰ اللهُ خيرًا كلَّ مَنْ شَارَكَ في جَمْعِ وإعدادِ فَقَراتِ هذه السِّيرة المختصرةِ، وجَعَلها في مَوَازينِ أَعْمالِهم.

وصلَّى الله وسلَّم وبَارَك على نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلى آله وَسلَّم

التعليقات البهية

على الرسائل العقدية

تعليقات على

الأصول الثلاثة | الأصول الستة

القواعد الأربع | نواقض الإسلام

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

متن

الأصول الثلاثة

تأليف

شيخ الإسلام المجدد

محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

المتن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

المَسْأَلَةُ الأُوْلَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البخاري: بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُه تَعَالَى:

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلاثِ هَذِهِ المَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

المَسْأَلَةُ الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥، ١٦] .

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

المسألة الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا تَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ- أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَمَعْنَىٰ يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْه الشِّركُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا.

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّىٰ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِتِهِ وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

وَكُلُّ مَنْ سِوَىٰ اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ: هُوَ الْمَعْبُودُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ.

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، كُلُّهَا للهِ تَعَالَىٰ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْ ذلك شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوكلِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] **الآية.**

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥].

وَفِي الْحَدِيثِ: «... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١].

وَقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٩] الآية.

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].
وَمِنَ السُّنَّةِ قَوْلَهُ ﷺ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧].

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْخلوصِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

وَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الإِثْبَاتِ: لا اله، نَافِي جَمِيعَ

مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، إلا اللهُ: مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكٌ لَهُ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَدليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحمدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَىٰ شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.

وَدليلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتفسِيرُ التَّوْحِيد: قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وَدليلُ الصيام: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدليلُ الْحج: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ

سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إِلا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، والْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

أركانه: وله رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَرَاكَ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]، **وقوله تعالىٰ:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] **الآية.**

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرائيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حتىٰ جَلَس إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، فَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ أَخبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَال: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ». قَالَ: صَدَقْت. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَاعلم أَنَّهُ يَرَاكَ» قال: صدقت. قَالَ: أَخبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْؤول عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: أَخبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». فَمَضَىٰ فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ ﷺ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرَائِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم».

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلام، وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون فِي النبوة.

نُبِّئَ بِـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وَأُرْسِلَ بِـ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَ يَدعو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [المدثر: ١-٧].

وَمَعْنَىٰ: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَهِيَ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩ ﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبَغَوِيُّ: سبب نزول هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثْلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ وَالأَذَانِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ وَتُوُفِّيَ ﷺ وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا عَنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ عَنْهُ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ اللهُ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥]، وقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لئلا يكون للناس على الله حُجَّة بعد الرُّسل.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّين لا نبي بعده، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولا مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ عز وجل وَحْدَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّم: مَعْنَىٰ الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ، فهو طاغوت.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ لا إله إلا الله، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

التعليق
على الأصول الثلاثة

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

ما يجب على المسلم تعلمه

المسـألة الأولى
العلم

❐ اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَىٰ: العِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

التعليق

۞ **قَولُه**: «**اعلم رحمك الله**»: أَوَّلًا كلمة: «اعلم» هو استثارةٌ لانتباه الشَّخْص.

۞ **قَولُه**: «**رحمك الله**»، هذه دعوةٌ مِنَ المُؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ.

۞ **قَولُه**: «**أنّه يجب علينا**»؛ أي: نحن المُكلَّفين.

❁ **قَوْلُه: «تَعَلَّم أربع مسائل»** هذه المسائل هي المُلَخَّصة من سورة العصر، وهي:

❑ **أولا: العلم:**

والعلم: هو مَعْرِفَةُ الله، ومعرفة نَبِيِّه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلَّة؛ لأنَّ الله ﷻ يقول مُقْسِمًا علىٰ ذلك: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:١، ٢].

أَقْسَم اللهُ علىٰ أنَّ كلَّ إنسانٍ خاسرٌ، ولا يُستثنىٰ من ذلك إلَّا مَنِ اسْتَثْناهُمُ الله ﷯ بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

الإيمان: هو التَّصْديق(١).

والتَّصْدِيق لا بُدَّ من أن يكون بشيءٍ سَبَق العلمُ به؛ أي: أنَّ الإيمان يقتضي شيئًا يصدق به، وهو التَّصْديق بشيءٍ معلومٍ، وهو ما علمته، فالعلم لا بدَّ أن يكون قبل القول والعمل، إذًا، آمنوا بأيِّ شيءٍ؟ آمنوا بالله.

---

(١) انظر لزامًا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ١٢٢ فما بعد)؛ ففيه ذِكْر من قال من أهل السُّنَّة: «إن الإيمان في اللغة: التصديق»، وفيه ترجيح شيخ الإسلام.
قال الشيخ أحمد النجمي ﵀: «بمراجعة «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ١٢٢) وُجِدَ أن شيخ الإسلام يَرُدُّ علىٰ من يزعم أن الإيمان هو مجرد التصديق، وأنا لم أقصد هذا، والحمد لله، وإنما لمَّا كان التعليق مختصرًا ويُقصد به ما يفهمه العوام قصدتُ هذا، والآن كتبت تعريف الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة، وأنه لابد فيه من اجتماع تصديق القلب، وإقرار اللسان، وعمل الجوارح، وأنه ما لم تجتمع فيه هذه الثلاث وإلَّا فلا يكون إيمانًا عند أهل السُّنَّة والجماعة».اهـ.

أمَّا التَّعريف الشَّرعيُّ للإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة: فهو اعتقادٌ بالقلب، ونطقٌ باللِّسَان، وعملٌ بالجوارح.

❑ **والإيمان بالله يتضمن ثلاثة أمور:**

۞ **أوَّلاً:** الإيمان بوجوده ورُبُوبيَّته.

۞ **ثانيًا:** الإيمان بأُلُوهيَّته.

۞ **ثالثًا:** الإيمان بأسمائه وصفاته، وكونه هو المنفرد بسياسة هذا الكون.

فالعلم فَسَّره المُؤلِّف بقوله: الأولىٰ: العلم.

العلم: يُقَال له: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ يعني: عَلِموا وصَدَّقوا.

استنبط الشَّيخ من ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ العلم؛ يعني: أنَّهم عملوا وصَدَّقوا بذلك العلم؛ فالإيمان مستلزمٌ للعلم؛ لأنَّ الإيمان الَّذي هو التَّصْديق لا يكون إلَّا بمعلومٍ.

۞ **قَوْلُه:** «**وهو مَعْرِفَةُ الله**»، كيف تَعْرِفُ اللهَ؟

الجواب: معرفة الله عَزَّوَجَلَّ من النَّاحية الإجماليَّة تثبت بالفطرة، فكلُّ مخلوقٍ يعلم أنَّ الله خَلَقه، ومَنْ أنكر ذلك كالمُلحدين، فإنَّه ينكر في الظَّاهر، وهو في باطنه مُستيقنٌ بأنَّ الله هو الَّذي خَلَقَه.

أمَّا معرفة الله بالتَّفصيل، فهذا لا يمكن إلَّا من طُرُق الرُّسُل الَّذين أرسلهم الله إلىٰ بني آدم.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف:٣٥].

إذًا؛ معرفة الله بالتَّفصيل لا يمكن لأحدٍ إلَّا من طريق الرُّسُل صلوات الله عليهم، وفي شريعتنا من كتابٍ وسُنَّةٍ قَدْ جاء ما يكفي ويشفي.

بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الَّذي أنزله علىٰ رسوله -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم- وهو القرآن، بَيَّنَ فيه كلَّ شيءٍ، ومن ضمن ذلك، وأعظم شيءٍ فيه وأهمُّ المهمات: معرفة الله، عَرَّفنا اللهُ بنفسه من خلال آياتِهِ الكونيَّة، وآياتِهِ القرآنيَّة.

قال تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر:٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، إلىٰ غير ذلك من الآيات الَّتي عَرَّفنا الله فيها بنفسه.

قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

إذًا؛ فقَدْ عَرَّفنا الله بنفسه بأنَّ له ذاتًا وصفاتٍ، وأنَّه هو الإله الحقُّ الَّذي ينبغي أن يُفرَد في العبادة دون ما سواه.

ومن خلال ذلك: عَرَفْنَا وُجود الله بأنَّه مستوٍ علىٰ عرشه، بائنٌ من خَلْقه، وعِلْمُهُ بكلِّ مكانٍ.

وعرفنا وحدانيته وانفراده بالخَلْق والرِّزْق؛ قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:٢١].

وعرفنا بما عرَّفنا به عن نفسه أنَّ له أسماء حُسْنَىٰ، وأنَّ له صفاتٍ عُليا، عُلو ذاتٍ، وعُلو قَدْرٍ، وعلو قَهْرٍ، فهذه هي معرفة الله، نتيجتها إفراده بالعبادة من دعوةٍ وخوفٍ ورجاءٍ وغير ذلك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

❑ **ثانيًا: «معرفة نبيه»:**

أي: معرفة النَّبيِّ ﷺ بأنَّه رسول الله، أرسله إلىٰ النَّاس جميعًا ليخرجهم من الظُّلُمات إلىٰ النُّور، هذه هي مقتضيات الإيمان الَّتي يُؤمن بها المُسْلِم.

❑ **ثالثًا: «معرفة دين الإسلام بالأدلة»:**

أي: بأن تعرف بأنَّ هذا حُكْمُهُ واجبٌ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُه مُحرَّمٌ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُهُ مُستحَبٌّ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُهُ مكروهٌ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُهُ مباحٌ، ودليلُهُ كذا، ولهذا قالوا في أصول الفقه حينما عرَّفوا الفقه: هو معرفة الأحكام الشَّرعيَّة من أدلَّتها التَّفصيليَّة.

المسألة الثانية
العمل بهذا العلم

❑ **الثَّانِيةُ: العَمَلُ بِهِ.**

التعليق

الثَّانية: «**العَمَل به**»: أي: العَمَل بهذا الإيمان، وبهذه المعرفة عرفتَ أنَّ هذا حُكْمُهُ الفرضيَّة ففعلتَه، وهذا حكمُهُ التَّحريم فتركتَهُ واجْتَنبتَهُ، إلىٰ آخر ما يُقَال.

المسـألة الثالثة
الدعوة إلى هذا العلم

❐ الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

التعليق

الثَّالثة: «**الدَّعوة إليه**»: أي إذا توفَّر فيك الإيمان والعمل، انتقلت إلىٰ الدَّعوة، فأنت تدعو النَّاس إلىٰ ما آمنت به وعلمته لكي يُحرزوا النَّجاة، ولمَّا كانت الدَّعوة تحتاج أوَّلًا إلىٰ حكمةٍ، وثانيًا إلىٰ صبرٍ، قال: «الصَّبر علىٰ الأذىٰ فيه».

المسألة الرابعة
الصَّبر على الأذى في هذا العلم

❐ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الأَذَىٰ فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:١-٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «باب: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ».

التعليق

الرَّابعة: «**الصَّبر على الأذى فيه**»: الأذى في الله لا بدَّ أن يحصل، ولكن قَدْ

يكون الأذىٰ خفيفًا، وقَدْ يكون الأذىٰ شديدًا، لكن يجب عليك أن تواجه ذلك بالصَّبر، ولا تَتضجَّر.

ولهذا أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن قوم تَضجَّروا من الأذىٰ وانتكسوا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:١٠].

هذا الدرس هو مُقتضىٰ سورة العصر ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:١-٣].

فلا تكون النَّجَاةُ من الخَسَارة مَضمونةً، والفلاحُ مضمونًا إلَّا لمَنِ اتَّصفَ بهذه الصِّفات الأربع.

ولهذا قال الشَّافعيُّ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ الله حُجَّةً علىٰ خَلْقه إلَّا هذه السُّورة لكَفَتْهم»(١).

وقال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «باب العلم قبل القول والعمل.

والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]»(٢)، وبالله التَّوفيق.

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٠٣) حيث ذكر عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «لو تدبَّر الناس هذه السورة لكفتهم».

(٢) انظر «صحيح البخاري» (١/ ٢٤، ٢٥).

الثلاث المسائل التي بها نعرف حقيقة التوحيد

المسألة الأولى
الغاية من الخلق

❐ اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلَاثِ المَسَائِلِ، وَالعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل:١٥، ١٦].

التعليق

❑ **وأقول: إنَّ هذه الثَّلاث المَسَائل نَعرف بها حَقِيقةَ التَّوحيد:**

❁ **فالمسألة الأولى**: أنَّ اللهَ خَلَقَنَا ورَزَقَنَا، ولم يَتركنا هَمَلًا؛ أي: لا نُؤمَر ولا نُنْهَىٰ، بل أرسل إلينا رسولًا دعانا إلىٰ التَّوحيد، وحَذَّرنا من العِصْيان والمخالفة، وحَذَّرنا قبل ذلك أن نشرك مع الله أحدًا، فقَدْ مَكَث رسولُ الله ﷺ عشر سنواتٍ لا يأمر أحدًا بشيءٍ غير التَّوْحيد.

فعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال عمرو بن عَبَسة السلمي رضي الله عنه: «كنتُ وأنا في الجاهليَّة أظنُّ أنَّ النَّاس علىٰ ضلالةٍ، وأنَّهم ليسوا علىٰ شيءٍ، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجلٍ بمكَّة يخبر أخبارًا، فقعدت علىٰ راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا، جُرَءاءُ عليه قومُه، فتلطَّفت حتَّىٰ دخلتُ عليه بمكَّة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «**أنا نبيٌّ**». فقلت: وما نبيٌّ؟ قال: «**أرسلني الله**». فقلت: وبأيِّ شيءٍ أرسلك؟ قال: «**أَرسَلَنِي بِصِلَةِ الأرحام، وكَسْر الأوثان، وأن يُوحَّد اللهُ لا يُشْرَك به شيءٌ**»[(١)].

وعلىٰ هذا، فيجب أن نعلم: أنَّ الله لم يخلقنا ويرزقنا لغير حكمةٍ، ولغير غايةٍ منشودةٍ ومطلوبةٍ، إذ إنَّ العاقل من المخلوقين يَتنزَّه أن يعمل عملًا لغير حكمةٍ منشودةٍ في ذلك العمل، فكيف بجبَّارِ السَّماوات والأرض؟!

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢).

إنَّ اللهَ خَلَقَ هذا الكون؛ سماءه وأرضه وجباله وبحاره، وما فيه من شمسٍ وقمرٍ وليلٍ ونهارٍ، وخَلَق العَوالِمَ الثَّلاثة، كلُّ ذلك خَلَقه لحكمةٍ أرادها، فجعل الملائكة عالمًا كلُّه خيرٌ، يأمرهم بما أراد من سياسة هذا الكون.

وقَدْ جعل لكلِّ شيءٍ في هذا الكون ملائكةً، ملائكةً للبحار، وملائكةً للرِّيح وخزنها وإرسالها، وملائكةً للسَّحَاب، وملائكةً للجَنَّة، وملائكةً للنَّار، وملائكةً للأرحام، وملائكة الموت، إلىٰ غير ذلك.

وجعل الجِنَّ والإنس مُؤَهَّلين للخير والشَّرِّ، والطَّاعة والمعصية، ابتلاهم بذلك حكمةً منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَلَقهم للعبادة، وسَلَّط عليهم الشَّيَاطين، وزَيَّن لهم الدُّنيا، فمنهم مَنْ أطاعه، ومنهم مَنْ عصاه، والطَّاعة لا تكون طاعةً إلَّا إذا كانت خالصةً لله، وتابعةً لما بَيَّنه الله في كتابه، وعلَّمه الرَّسول ﷺ أُمَّتَه.

فالأمم الَّتي مَضَتْ كلُّ أُمَّةٍ لها رسولٌ أرسل إليها، وختَم الرُّسُل بمُحمَّدٍ ﷺ، أرسله الله إلىٰ هذه الأُمَّة يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، ويُحذِّرهم من عبادة غيره؛ فمَنْ أطاع هذا الرَّسُول ﷺ فاز بخيري الدُّنيا والآخرة، ومَنْ عصاه لقي العذاب الأليم.

ولنتأمَّل ما هو السَّبَب في إهلاك الأمم الَّتي هلكت؟ أليس عصيانهم لرسلهم؟

نقول: بلىٰ، هو عصيانهم لرسلهم، فما أهلك اللهُ قومَ نوحٍ إلَّا بسبب عصيانهم رسولهم نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما أهلك الله قوم عاد إلَّا بذلك، وكذلك قوم

ثمود؛ أي: قوم صالح، ومن بعدهم من الأمم، فرعون وقومه، ومَدْيَن الَّذين أُرسل إليهم شعيبٌ، وقَومَ لوطٍ، وكم من أممٍ هلكت ولم نعلم عنها، وما أخبرنا الله إلَّا عن عددٍ قليلٍ من الرُّسُل.

إذا علمنا أنَّ سبب هلاك الأمم هو عصيانهم لرُسُلهم؛ فإنَّ الواجب علينا أن نطيع رسولنا فيما أمرنا به من عبادة الله وحده.

ولنعلم عِلْمَ اليقين أنَّ اللهَ ما خَلَقَنا ورَزَقَنا إلَّا لِنَعْبَده وحده لا شريك له، فمَنْ عبد غيره، فقَدْ أتىٰ بالذَّنب الَّذي لا يغفر، واستوجب الخلود في النَّار، وتحريم الجنَّة عليه.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال علىٰ لسان عيسىٰ عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

المسألة الثانية
خطورة الشرك

□ **الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ؛ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.**

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

التعليق

الثَّانية: يجبُ أن نَعْلَمَ أنَّ الله لا يَرْضَىٰ أن يُشْرَك معه في عبادته أحدٌ، لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نَبيٌّ مُرْسلٌ، فلا يَجوز لأحدٍ من النَّاس أن يدعو أحدًا من دون الله مهما ارتفع مقامه عند ربِّه، وعَلَتْ مرتبته عنده، وإنَّ أعظم المخلوقين مرتبةً عند الله هما:

١- جبريل من الملائكة عليه الصَّلاة والسَّلام.

٢- ومُحمَّد من بني آدم عليه الصَّلاة والسَّلام.

فمَنْ دعا واحدًا منهما، أو دعا غيره، فإنَّه يُعتبَر قَدْ أشرك بالله شركًا أكبر مُوجِبًا للخلود في النَّار.

ولهذا قال المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الثَّانية: أنَّ الله لا يَرْضىٰ أن يُشْرَكَ معه في عبادته أحدٌ؛ لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ**».

وقَدْ مثَّلْنا لك للمَلَك المُقرَّب بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنَّبيِّ المُرسَل بمُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يرضىٰ أن يُدعىٰ أحدٌ من هؤلاء ولا غيرهم.

والأدلَّة علىٰ ذلك من كتاب الله وسُنَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُحصَىٰ.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

يصحُّ أن نقول: إنَّ المَسَاجد هي أعضاء السُّجُود السَّبعة، وأوَّلها الجَبْهَة، وكذلك اليَدَان والرُّكْبتان وأطراف القَدَمين.

ويصحُّ أن نقول: إنَّ المساجد هي المساجد المَبْنيَّة الَّتي بُنِيَتْ لعبادة الله، هذه المساجد مَبنيَّة علىٰ الأرض، مَنِ الَّذي خلق الأرض الَّتي تَسْجد عليها؟

لا شكَّ أنَّه الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلا يَجوز لك أن تسجد عليها لغيره؛ لأنَّك إذا فعلتَ، استعملتَ مُلكه في عبادة غيره.

ويصحُّ أن تُفسَّر بالأعضاء الَّتي خَلَقها الله فيك.

فتبيَّن أنَّ المساجدَ يَصِحُّ أن تُفسَّر بالأعضاء، واللهُ هو الَّذي خَلَقَها فيك، فلا يجوز لك أن تَسْجُدَ بها لغيره؛ لأنَّك إذا فعلت ذلك تكون قَدِ استعملت خَلْقَه في عبادة غيره، ويصحُّ أن تُفسَّر بالمساجد المعروفة؛ فلا يجوز لك أن تَسجدَ فيها لغير الله.

المسألة الثالثة
الولاء والبراء

□ **الثَّالِثَةُ:** أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

التعليق

الثَّالثة: «أنَّ مَنْ أطاع الرَّسول ووَحَّد الله، فلا يجوز له موالاة مَنْ حادَّ الله ورسوله، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢]».

فمَنْ أشرك بالله فقَدْ حَادَّ الله ورسوله، ومَنْ أقرَّ الشِّرك وأجازه، فَقَدْ حادَّ الله ورسوله.

ولنتذكَّر هنا أنَّ بعض مُؤسِّسي المناهج الدَّعويَّة عَمِل الشِّرك بنفسه، وأقرَّه، وأجازه من غيره، ولنضرب مثلًا: «حسن البنا» كان يقول في حفل المَوْلد في اللَّيالي الأولىٰ من ربيعٍ الأوَّل:

هذا الْحَبيبُ مع الأحبابِ قَدْ حَضَرَا   وسَامَحَ الكلَّ فيما قَدْ مَضَى وجرى

نقل هذا أخوه عبدُ الرَّحمن البنا في كتاب جابر رزق «حسن البَنَّا بأقلام تلاميذه ومُعَاصِريه» (ص٧٠، ٧١).

إذًا؛ فلا يجوز لنا أن نَتَّخذه إمامًا؛ لأنَّه زَعَمَ أنَّ رسولَ الله يحضر حَفْلَهم، ويغفر ذنوبَهم.

وهكذا غيره من أهل منهجه الَّذين وقع منهم الشِّرك، أو أقرُّوا غيرهم عليه، مع أنَّه قَدْ حاضر في وَكْرٍ من أكبر أوكار الشِّرك وهو مشهد السَّيِّدة زينب، ولـم ينطق بكلمةٍ ولا حرفٍ في النَّهْي عن الشِّرك بالله.

وعمر التلمساني يقول: في كتابه «شهيد المحراب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (ص٢٣٢): «ولَئنْ كان هَوَاي مع أولياء الله وحُبِّهم، والتعلُّق بهم، ولَئنْ كان شُعوري الغامر بالأنس والبهجة في زياراتهم ومقاماتهم بما لا يُخِلُّ بعقيدة التوحيد؛ فإني لا أُرَوِّج لاتِّجاه بذاته؛ فالأمر كلُّه من أَوَّله إلىٰ آخره أَمْرُ تَذَوُّق، وأقولُ للمُتشدِّدين في الإنكار: هَوْنًا ما، فما في الأمر من شِرك، ولا وَثَنِيَّة، ولا إِلْحَاد».

وكذلك مُؤسِّس منهج التَّبليغ: كان يَدين بأربعِ طرقٍ من الطُّرُق الصُّوفيَّة، وكان يُرابِط عند بعض القبور راجيًا للفُيوضات الَّتي تَنزل عليه من أهلها(١).

أمَّا السُّروريَّة والقُطبيَّة(٢): فهم يُحِبُّون المشركين، ويُبْغضون الموحِّدين،

---

(١) **قال الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب «المورد العذب الزلال فيما انتقد علىٰ بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال» في الباب العاشر: فيما انتقد علىٰ جماعة التبليغ:**
«جماعة التَّبليغ هِيَ واحدةٌ من الجماعاتِ الدَّعويَّة المَوْجودة عَلَىٰ السَّاحةِ، وقَدْ تَأسَّستْ في مُنْتصف القرن الرَّابع عشر الهجري (أي: القرن الماضي) عَلَىٰ يد المُؤسِّس لها، وهو الشَّيخ محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي.
ترجمة المُؤسِّس: وُلِد مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة وهو مُحمَّد إلياس عام ١٣٠٢هـ، وحَفِظ القرآن، وقرأ الكُتُبَ السِّتَّة في الحديث عَلَىٰ المَنْهج الديوبندي الحنفيِّ مَذْهبًا، الأشعريِّ الماتريديِّ عقيدةً، الصُّوفيِّ طريقةً.
والطُّرق الَّتي عندهم أربعُ طرقٍ، وهي:
١ـ الطَّريقة النَّقشبنديَّة.
٢ـ الطَّريقة السَّهْروردِيَّة.
٣ـ الطَّريقة القادريَّة.
٤ـ الطَّريقة الجشتية.
وقَدْ أَخذ الشَّيخُ محمد إلياس المذكور البيعةَ الصُّوفيَّةَ عَلَىٰ يد الشَّيخ رشيد أحمد الكنكوهي، ثمَّ جدَّدها بعد مَوْت الشَّيخ رشيد عَلَىٰ يد الشَّيخ أحمد السهارنفوري الَّذي أَجازَه في المُبايَعة عَلَىٰ النَّهجِ الصُّوفيِّ المعروف، وكانَ يجلس في الخَلْوة عند قبر الشَّيخ نور محمد البدايوني، وفي المُرَاقَبة الجشتية كانَ يجلس عند قَبْر عبد القدوس الكنكوهي الَّذي كانت تُسَيطر عليه فكرةُ وحدة الوُجُود، أقامَ ودَرَس ودرَّس وماتَ في دلهي سنة ١٣٦٣هـ.اهـ.
من كتاب: «حقيقة الدَّعوة إِلَىٰ الله» للشَّيخ سعد بن عبد الرَّحمن الحصين، بتَصرُّفٍ».

(٢) **قال الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب «المورد العذب الزلال» (ص ١٨٨):** «وَمِنْ وَلائِدِ الإِخْوانيَّةِ: السُّروريَّة والقُطبيُّون، وهُمَا فِرْقتانِ أو حِزْبانِ انْفَصلتا من الإِخْوانيِّينَ، فالسُّروريَّةُ تُنسَب إِلَىٰ مُحمَّد سرور بن نايف زين العَابِدِين الَّذي هو الآن مُقِيمٌ في مدينة لندن...».
=

علمًا بأنَّ سَيِّد قطب قَدْ حصل منه فواقر؛ فقَدْ كفَّر أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ وهو يعلم علم اليقين عن الدَّولة السَّعوديَّة أنَّها دولةٌ موحدةٌ، وأهلها كلُّهم سُنيُّون، فنجده يقول في مُقدِّمة سورة الحِجْر من «الظِّلال»: «إنَّه لا يُوجد اليوم علىٰ وجه الأرض مجتمعٌ مُسلمٌ، ولا دولةٌ مُسلمةٌ قاعدةُ التَّعامل فيها علىٰ مُقتضىٰ شريعة الله».اهـ.

فهل يجوز لنا أن نَتولَّىٰ هؤلاء القوم أو أن نَسير في رِكابهم ونأخذ بما هم عليه من الحِزْبيَّات؟

حاشا لله، والله ﷻ يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

=

إلىٰ أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ في (ص ١٩٨): «أمَّا القُطبيُّون: فهُمْ قومٌ دَرَسوا كُتُبَ سيد قطب، وتَابَعوه في كلِّ ما قاله واعْتَقده، بل وَعظَّموه كلَّ التَّعظيم مِمَّا جَعَلهم يَتَّخذون كلَّ ما قالَه في كُتُبِهِ حقًّا وَصَوابًا وإِنْ خالفَ الأدلَّةَ، وبَايَنَ منهجَ السَّلَف، ويَتَّضح ذَلِكَ من الثَّورة الكلاميَّة، والإشاعاتِ الإعلاميَّةِ الَّتي أَشَاعوها ضدَّ الشَّيخ ربيع بن هادي المدخلي حين ردَّ عَلَىٰ سَيِّد قطب في بَعْض الأخطاءِ الاعتقاديَّة الفَظِيعة، وَجَعَلوه مُتجنِّيًا عليه، وظالمًا له، ولم يَحْملهم الإنصافُ أَنْ يعودوا إِلَىٰ تِلْك الأماكنِ والأَرْقامِ الَّتي أشارَ «ربيع» في كتابِهِ إليها كالنَّيْل من نبيِّ الله مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتَّحامل عَلَىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإِسْقاط خِلَافتِهِ من بَيْن خلافة الخُلَفاء الرَّاشدين، وجعلها فجوةً بَيْنها، ونَيْله من باقي الصَّحابة، وجَهْله بتَوْحيد الأُلُوهيَّة، وسُلُوكه مَذْهب الأشاعرة في تَأْويل الصِّفاتِ، وتَمْييعه لكثيرٍ من المَسَائل العَقَديَّة، وغير ذَلِكَ، فاللهُ المُسْتعانُ».

فهذه دعوة الأنبياء الَّتي أَرْسَلَ اللهُ بها مُحمَّدًا ﷺ، وأُرسلت بها جميع الرُّسُل كما يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

وقَدْ فُسِّر الطَّاغُوت: بأنَّه ما تَجَاوَزَ به العبدُ حَدَّه مِن مَعْبودٍ أو مَتبوعٍ أو مُطاعٍ، وإذا فكَّرت في حال أولئك المتبوعين، وجدتَ أنَّهم أُطيعوا في معصية الله، وأَبَاحوا الشِّرك والبدع فتُوبعوا عليها[1].

---

(١) علمًا بأن المحادة التي عندهم ليست محادة كلية، بل هي محادة جزئية غالبًا، وقد تُوجد المحادة الكلية عند من أشرك بالله شركًا أكبر أو رضي بالشرك الأكبر وأقرَّ عليه، وعلىٰ هذا فالمحادة الكلية تُوجب الكفر المُخرج من المِلَّة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، ولما ذكر الله الأنبياء في سورة الأنعام قال: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، أما من كان منهم محادته بالبدع وترك السُّنَّة فإن محادته جزئية مُوجبة للفسق فقط وهو باق علىٰ السلامة، وبالله التوفيق.

معنى الحنيفية

❑ اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ- أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَمَعْنَىٰ «يَعْبُدُونِ» أَيْ: يُوحِّدُونِ.

التعليق

❁ **قَوْلُه**: «**اعلم أرشدك الله لطاعته**»، كلمة «اعلم» للتَّنبيه، ثمَّ دعا لك بالرُّشد أن يُرشدك الله لطاعته ويُوفِّقك لها.

❁ **قَوْلُه**: «أنَّ الحَنيفيَّة مِلَّة إبراهيم»، **الحَنيفيَّة هي**: دين الحقِّ، وهو التَّوحيد؛ قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

ومعنىٰ حنيفًا: أي: مَائلًا عن الشِّرك إلىٰ التَّوحيد، وعن المعصية إلىٰ الطَّاعة، وعن الفجور إلىٰ البرِّ، وعن البدعة إلىٰ السُّنَّة.

ويقول جلَّ مِن قائل: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣] -صلوات الله وسلامه علىٰ نَبيِّهِ وخَلِيلَيْه إبراهيم ومُحمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهما- لقَدْ سلكا سبيل الحقِّ والرُّشد، وهو إفراد الله بالعبادة، ودَعَوْا إلىٰ ذلك أُمَّتيهما، وقَدْ أُمِرْنا باتِّباعهما في ذلك؛ لأنَّ ذلك هو الأمر الَّذي خُلِقت الجنُّ والإنس من أجله.

وقَدْ أخبرنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّه ما خَلَق الجنَّ والإنس إلَّا للعبادة، لم يخلقهما للهوٍ ولا للعبٍ، ولَكِن كثيرًا من الجنِّ والإنس عملوا بغير ما أُمروا به، فسلكوا غير طريق الحقِّ الَّذي رُسِم لهم، واستحقُّوا بذلك غضب الله ومقته وعقوبته.

أمَّا مَنِ اتَّبع مِلَّة إبراهيم ومُحمَّدٍ -صلىٰ الله عليهما وسلم- فوحَّد الله بعبادته؛ فإنَّه ولَوْ أذنب، ولو قارف المعاصي الكبائر، فإنَّه يَرجو من الله الخلاص إلىٰ الجنَّة، وقَدْ دلَّت النُّصُوصُ علىٰ أنَّ أقوامًا من المُوحِّدين يَخرجون من النَّار وقَدْ صاروا حُممًا، فيُوضَعون علىٰ نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبَّة في حَمِيل السَّيْلِ(١).

(١) يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ما أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخلَ أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حَبَّة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتُحِشُوا وعادوا حُمَمًا، فيُلقون في نهر الحياة، فيَنبتون كما تنبتُ الحِبَّة في حَمِيل السَّيْلِ**». «**امتحشوا**» احترقوا. «**حُممًا**»: فحمًا. «**الحبة**» بذور البقول والعشب تَنبت في البراري وجوانب السيول. «**حميل السيل**»: غُثاؤه، وهو ما جاء به من طين وغيره؛ فإذا كان فيه حبة واستقرت علىٰ شط الوادي تنبت بسرعة.

أعظم ما أمر الله به وأعظم ما نهى عنه

❐ وَأَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.
وَأَعْظَمَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

التعليق

فالشِّرك الأكبر: مُحبطٌ للعمل، موجبٌ للخلود في النَّار، قال تعالىٰ على لسان عيسىٰ ابن مريم: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨]، وقال جلَّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

وقَدِ اهْتَمَّ أصحابُ رسول الله ﷺ لهذه الآية، فقالوا: يا رسول الله، أيُّنا لم يَظْلِم نَفْسَه؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّه ليس الَّذي تذهبون إليه، وإنَّما المراد

بالظُّلْم الشِّرك، ألم تسمعوا إلىٰ قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾» [لقمان:١٣](١).

وفي روايةٍ: «ليس هو كما تَظُنُّون إنَّما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾»(٢).

ومعنى يعبدون: يُوحِّدون؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يَقبل العبادة إلَّا بالتَّوحيد، كما أنَّ الصَّلاة لا تكون صلاةً إلَّا بطهارةٍ، فكذلك العبادة لا تكون عبادةً إلَّا بالتَّوحيد، وقَدْ جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه أنَّه قال: «**أنا أغنىٰ الشُّركاء عن الشِّرْك؛ مَنْ عمل عملًا أشركَ مَعي فيه غيري تركتُه وشركَه**»(٣).

فالشِّرْكُ: نجاسةٌ للقلوب، ينجسها ويحبط العبادة جميعًا؛ سواء جاءت من القلب، أو من اللِّسان، أو من الجوارح؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر:٤، ٥].

ومن هنا نعلم أنَّ المشرك مهما تَقرَّب إلىٰ الله من عبادةٍ فهي باطلةٌ وحابطةٌ، لا يقبل الله منها شيئًا ما دامت ممزوجةً بالشِّرك.

وبالله التَّوْفيق.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (١٢٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك

❐ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦].

التعليق

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦]، فهذه الآية: اشتملت علىٰ أعظم أمرٍ، وعلىٰ أعظم نَهْيٍ، فأعظم الأمر هو التَّوحيد، وأعظم النَّهي هو الشِّرك الأكبر المُخرج من المِلَّة.

الثلاثة الأصول التي يجب معرفتها

❐ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

التعليق

لقَدْ أجمل المُؤلِّف الأصول الثَّلاثة في هذه الكلمات: «معرفة العبد ربَّه» بأن يعرفه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، وكمالاته الَّتي لا يعتريها نقصٌ، ودوامه الَّذي لم يطرأ عليه حُدُوثٌ، وبقائه الَّذي لا يَطرأ عليه فَنَاءٌ.

قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧].

وسيُلمُّ المُؤلِّف بتفاصيل هذه الثَّلاثة الأصول: «معرفة العبد ربَّه، ومعرفته دينه، ومعرفته نَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ».

وهذه الثَّلاثة الأصول هي الَّتي يُبنَىٰ عليها الدِّين كلُّه، فلا يدخل العبد إلىٰ

الإسلام إلَّا بالشَّهادتين: «شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله»، ولا يُقبَل له أذانٌ إلَّا بهاتين الشَّهادتين، ولا تصحُّ له صلاةٌ إلَّا بهاتين الشَّهادتين، ولا يُسأل في قبره إلَّا عن ربِّه ودينه ونبيِّه، ولا يُسأل يوم القيامة عند البعث والنُّشُور إلَّا عن هذه الأصول، ولا يُقبَل عمله إلَّا بها، ولا يَثْقُل ميزانه إلَّا بها، ولا يمرُّ علىٰ الصِّراط وينجو من النَّار، ولا يدخل الجنَّة إلَّا بها؛ ولهذا فإنَّه ينبغي الاعتناء بهذه الأصول الثَّلاثة، وإتقان معرفتها؛ ليكون العبد من النَّاجين يوم القيامة.

وبالله التَّوفيق.

الأصل الأول
معـرفة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

❐ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّىٰ جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].

وَكُلُّ مَا سِوَىٰ اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ.

التعليق

۞ **قَوله**: «**إذا قيل لك: مَنْ رَبُّك؟ فقل: ربِّي الله**»: هذا تعليمٌ من الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنَّه رُبَّما سُئل، ورُبَّما حَاكَ هذا السُّؤال في القلب؛ لأنَّ هذا ليس بالأمر اليسير، بل هو الأصل الَّذي عليه مدار الحياة الأولىٰ والأخرىٰ، فلا بدَّ أن تعرف مَنْ هو ربُّك؟ وإذا كنت لا تعرف، فهذا شيخ الإسلام يُلقِّنك بأنَّك إذا سُئلت: مَنْ ربُّك؟

أي: سئلت هذا السؤال، تجيبه بقولك: «ربِّي الله الَّذي ربَّاني وربَّىٰ جميع العالمين بنِعَمِهِ».

«**العَالَمُون**»: جمعٌ، وكلُّ جنسٍ من المخلوقات عالمٌ، فعالم الإنسان، وعالم الجنِّ، وعالم الإبل، وعالم الطُّيُور، وحتَّىٰ عالم الذَّرِّ والنَّمل والذُّباب، فكلٌّ منها عالم، وأنت واحدٌ -يا عبد الله- من أحد تلك العوالم، وكلُّ هذه العوالم الموجودة علىٰ وجه الأرض كلها تسترزق الله عَزَّوَجَلَّ فهو الَّذي خَلَقها، وهو الَّذي يرزقها بأن يوصل إليها أرزاقها.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وكلُّ ما سوىٰ الله من المخلوقات عوالم، كما بيَّنَّا سابقًا، وكلُّ جنسٍ من المخلوقات عالمٌ.

بمَ نعرف الرب؟

❐ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

التعليق

❐ **وأقول: الآيات تنقسم إلى قسمين:**

- **آياتٌ كونيَّة**، وهي ما ذكره المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- **وآياتٌ قرآنيَّة**، وهي آيات القرآن.

الآيات الكونية الدالة على الرب

❐ وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

التعليق

فأمَّا الآيات الكونيَّة: فهي اللَّيل والنَّهار، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢]، وكذلك الشَّمس والقمر، هما آيتان -أيضًا- من آيات الله عَزَّوَجَلَّ الكونيَّة.

وقَدْ عرَّف المُعَافَى النَّهْرَوَاني في كتابه «الجليس» (الآيَةَ) بقوله: «هي العَلَامَةُ الفَاصِلَة، وهي الأُعْجُوبة الحَاصِلَةُ، وهي البليَّةُ النَّازِلَةُ»، هذا من حيث تعريف الآية.

فمثال العلامة الفاصلة قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾ [مريم:١٠].

وأمَّا كونها الأعجوبة الحاصلة، فهي الأمرُ العجيب الَّذي فيه العبرة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ [الشعراء:٨].

❁ **قَوله** «وهي البليَّة النَّازلة»: أي: العقوبة المفاجئة، قال ﷺ: «**وأعوذ بك من زوال نِعْمتك، وتَحوُّل عافيتك، وفُجَاءة نِقْمتك، وجميع سخطك**»[1]؛ لأنَّها تدلُّ علىٰ قُوَّة المُنتقم، ومن ذلك قوله: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَآ ءَايَةً ﴾ [القمر:١٥].

والآية من القرآن جمعت المعاني الثَّلاثة لدلالتها وفصلها وإبانتها.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٩) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان من دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك...**»».

المخلوقات دالة على ربوبية الله

❐ وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَالأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

التعليق

ومن مخلوقاته ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ إلىٰ الآية قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

الرب: هو المعبود بحق

❐ وَالرَّبُّ: هُوَ المَعْبُودُ.

التعليق

«**والرَّبُّ هو المعبود**»؛ أي: هو المستحقُّ للعبادة؛ لأنَّه هو الَّذي خلق، ورزق، وأعطىٰ كلَّ مخلوقٍ ما يصلح له.

وكان ينبغي أن يقول الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والربُّ هو المعبود بحقٍّ)؛ لأنَّ المعبودات بغير حقٍّ كثيرةٌ، ولست مُستدركًا علىٰ الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولكن يَتبيَّن من هذا أنَّ أعمال العباد مهما جلَّت وكثرت فإنَّ النَّقص يلازمها؛ لأنَّ كلمة: «الرَّب هو المعبود» يمكن أن يقع علىٰ المعبود بحقٍّ، والمعبود بغير حقٍّ، وإذا احترز القائل وقال: «الرَّبُّ هو المعبود بحقٍّ»، فإنَّه يسدُّ الباب علىٰ الخُرَافيِّين.

الدليل على عبودية الله وحده

□ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١، ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»(١).

التعليق

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]؛ أي: خلقكم وخلق الَّذين من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، و«لعلَّ» من الله واجبة الوقوع، كما يُقَال، فمَنْ عَبَدَ الله عَزَّ وَجَلَّ عبادةً مَبنيَّةً علىٰ الإيمان به، أحدثَ له ذلك في نفسه التَّقوىٰ والخوف من الله عَزَّ وَجَلَّ.

(١) يشير إلىٰ قول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (١/ ١٩٧): «وهذه الآيةُ دالَّةٌ علىٰ توحيده تعالىٰ بالعبادة وحده لا شريك له».

۞ **قوله**: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]؛ أي: أنَّه هو الَّذي استقلَّ بخَلْق ما ترون؛ خلق الأرض الَّتي تَحْتكم، وجعلها الله فراشًا لكم، والسَّمَاء الَّتي فوقكم بناها وسَوَّاها بغير عَمَدٍ، وأنزل من السَّماء ماءً فأخرج به أزواجًا من نباتٍ شَتَّىٰ؛ أشجارٌ لا ثمر فيها هي رزقٌ للبهائم، وأشجارٌ فيها ثمرٌ هي رزقٌ للبهائم وبني آدم، كلُّها تنبت في أرضٍ واحدةٍ، وتُسقَىٰ من ماءٍ واحدٍ، وتختلف ثمراتها، وذلك يدلُّ علىٰ قدرة الصَّانع جل وعلا.

أنواع العبادة التي أمر الله بها

❐ وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا؛ مِثْلُ: الإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ.

التعليق

أمَّا الدُّعاء؛ فهو جائزٌ للمخلوق الحيِّ فيما يقدر عليه، وغير جائزٍ فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، فلو قلنا: يا فلان، أنزل لنا مطرًا، لكان هذا الدُّعاء مُحرَّمًا وكُفرًا مُخرِجًا من المِلَّة.

وفي الحديث: «**الدُّعاء مخُّ العبادة**»(١).

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «ضعيف الجامع» (٣٠٠٣).
قال الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللهُ: «والحديث قد صحَّ من حديث النعمان بن بشير بلفظ: «**الدعاء هو العبادة**» مع أن هذا الحديث (حديث أنس) والذي جاء من طريق ابن لهيعة لا يخالف الحديث الصحيح؛ لأن كلمة «**هو العبادة**»، أي: خُلاصتها، كما أن المُخَّ هو الخلاصة، فلا تَنَافي بين الحديثين، وبالله التوفيق».اهـ.

والدَّليل: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].

أمَّا لو قلت: يا فلان، أعطني المِسْحاة(١) أو القِدْر أو الفأس لأَنْتفعَ بهذه الحاجة وأردَّها، فإنَّ هذا جائزٌ لا شيء فيه.

إذًا؛ فقَدْ عرَّفنا من خلال هذا أنَّ الدُّعاء ينقسم إلى قسمين:

١- دعاءٌ للمخلوق فيما يقدر عليه، فهذا جائزٌ.

٢- دعاءٌ للمخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، فهذا ممنوعٌ(٢).

---

(١) **المسحاة**: المجرفة من الحديد، وهي تُستخدم لقطع الأشجار، وسقي المزارع، وحفر القبور، وغيرها.

(٢) يقصد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالدعاء هنا: دعاء المسألة والطلب، لا دعاءَ العبادة.

من أنواع العبادة: الخوف

❐ وَالْخَوْفُ.

التعليق

❐ **كما أنَّ الخوف ينقسم إلى قسمين:**

١- خوفٌ طبيعيٌّ، كخوفِ الإنسان من الحَيَّة، وخوفِهِ من العدوِّ، فهذا لا شيء عليه فيه، ولا يكون من العبادة.

٢- والخوفُ من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، كمخافة بعض النَّاس مِمَّنْ يزعمون أنَّ لهم الولاية، ويزعمون أنَّهم يَطَّلعون علىٰ الغيب، وأنَّهم يقدرون علىٰ أن ينزلوا بك كارثةً، فهذا الخوف شركٌ مُخرجٌ من المِلَّة، وهو الَّذي يُسمَّىٰ خوف السِّرِّ(١).

---

(١) **معنىٰ خوف السر:** «أن يخاف العبد من غير الله تعالىٰ أن يُصيبه مكروه بمشيئته وقدرته، وإن لم يُباشره؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنَّه اعتقاد للنفع والضر في غير الله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٥١﴾ [النحل:٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[المائدة:٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧﴾ [يونس:١٠٧]». انظر «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٤).

من أنواع العبادة: الرجاء

❐ وَالرَّجَاءُ.

التعليق

وهكذا الرَّجاء، كأَنْ ترجو من المخلوق أن يقرضك مالًا، أو ينفعك فيما يستطيع عليه، فهذا جائزٌ، أمَّا أن ترجوه في أمرٍ من الأمور الَّتي لا يقدر عليها إلَّا الله؛ كشفاءِ المرض، وصرف العاهة، وإنزال الغيث، والنَّصر علىٰ الأعداء، فهذا الرَّجاء للمخلوق مُحَرَّمٌ، بل شركٌ أكبر؛ لأنَّ هذا من صفات الأُلوهيَّة الَّتي لا يتَّصف بها أحدٌ غير الله ﷻ، وهكذا يُقَال في جميع هذه الأشياء من التَّوكُّل، والرَّغبة، والرَّهبة، وغيرها، ويُستثنَىٰ من ذلك الخشوع.

أنواع أخرى من العبادة

□ وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلُّها للهِ تَعَالَىٰ.

التعليق

والذَّبح والنَّذر، فإنَّهما لا يجوز للمخلوق بحالٍ، والمقصود بالذَّبح: العبادة.

أمَّا الذَّبح للمأكل، وإكرام الضَّيف، وللتَّكسُّب كالجزَّار، فهذا جائزٌ، والحمد لله.

والذَّبح لغير الله: هو إراقة الدَّم لغير مَنْ خَلَقه، كأن تُريقَ الدَّمَ في الدَّابَّة لغير خالقها وهو الله، تريد من هذا المخلوق ما لا يَقْدر عليه إلَّا الله؛ كإعطاء الولد، وإنزال المطر، وغير ذلك.

أمَّا النَّذْر: فلا يجوز لأحدٍ أن ينذر لغير الله تعالىٰ.

وقد استدلَّ علىٰ ذلك كلِّه بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، فمَنْ صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشركٌ كافرٌ.

والمراد به: الأشياء الممنوعة على حسب التَّقْسيم الَّذي سَبَرْناهُ سابقًا.

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

ثمَّ أتىٰ بالأدلَّة علىٰ ذلك.

وبالله التَّوفيق.

الأدلة على وجوب هذه العبادات لله وحده

□ **والدَّليلُ: قَوْلُهُ تَعالَىٰ:** ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّليلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وَدَلِيلُ الخوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق:٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وَدَلِيلُ الخشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ﴾ [المائدة:٣].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»(١).

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق:١]، وَ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(٢).

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان:٧].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «المشكاة» (٥٣٠٢).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التعليق

الله ﷻ قَدْ أخبرنا بأنَّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزٌ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥].

أمَّا الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله فهي حرامٌ، بل وشركٌ أكبر؛ قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] وما أشبه ذلك.

❁ **قَوْلُه**: «ودليل الخوف قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]».

سبق أن قلنا: إنَّ الخوف منه طبيعيٌّ، ومنه خوفُ عبادةٍ، فالطَّبيعيُّ كأن يخاف الإنسان الحيَّة، أو يخاف الأسد، أو يخاف العدوَّ، أو ما أشبه ذلك، فهذا خوفٌ طبيعيٌّ ليس له دَخْلٌ في العبادة إلَّا أنَّه إذا أسرف فيه[1] رُبَّما أنَّه يحصل منه ضررٌ عليه، أمَّا كونه يكون شركًا فلا.

والخوف الَّذي هو من العبادة: أن تخاف من مخلوقٍ بأن يفعل فيك شيئًا لا يقدر عليه إلَّا الله؛ كالتَّأثير في الرِّزْق، وما أشبه ذلك، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلَا

(١) أي: أكثر منه.

﴿تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]؛ أي: لا تخافوا العدوَّ، فأنا أنصركم عليهم، وذلك أنَّ بعض النَّاس يعتقد في الشَّخص الفلانيِّ أنَّ له سلطانًا غيبيًّا يدرك به الَّذين يَتكلَّمون فيه، ويعمل بهم ما يعمله من الإيذاء.

❑ **وقَدْ علمنا أنَّ الخوف ينقسم إلى قسمين:**

١- خوفُ عبادةٍ.

٢- خوفٌ طبيعيٌّ من العدوِّ الظَّاهر، وأنَّ المُحرَّم هو خوف العبادة.

أمَّا قوله: ودليل الرَّجاء قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

❑ **الرَّجاء ينقسم إلى قسمين:**

١- **مُبَاحٌ:** وهو أن ترجو من المخلوق أن يعطيك قرضًا -مثلًا- لتتغلَّب به علىٰ أزمةٍ مَاليَّةٍ عندك، هذا لا شيء فيه.

٢- **الرَّجاء الممنوع:** وهو أن ترجوه فيما لا يقدر عليه إلَّا الله من شفاء المرض، وإنزال المطر، ورفع العاهة، وإعطاء الولد، وما أشبه ذلك.

أمَّا معنىٰ الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: أن يؤمن بلقائه بعد الموت ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ومعنىٰ كونه صالحًا: أن يكون خالصًا لله، وصوابًا علىٰ ما شرعه رسول الله ﷺ.

وهكذا يُقال في التَّوكُّل؛ فإذا قلت للإنسان: أنا مُتوكِّلٌ علىٰ الله، ثمَّ عليك في هذا الأمر، وكان ذلك الأمر مِمَّا يقدر عليه البشر؛ فإنَّ ذلك جائزٌ.

أمَّا التَّوكُّل: وهو الاعتماد القلبيُّ علىٰ المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، فهذا لا يجوز إلَّا لله، فإنْ حصل مِنَ العبد في أمورٍ يقدر عليها العباد، فليقل: إنِّي مُتوكِّلٌ علىٰ الله ثمَّ عليك في قضاء هذه الحاجة، بأن تجعله مرتبًا بعد الله بـ: «ثمَّ»، وبدون ذلك لا يجوز؛ لأنَّه تشريكٌ في التَّوكُّل، فالتَّوكُّل علىٰ المخلوق لا بدَّ أن يكون مُقيَّدًا بما يستطيعه العبد وفي حاجةٍ بعينها، أمَّا إطلاق التَّوكُّل فلا يجوز، ولا ينبغي أن يحصل إلَّا لله عَزَّوَجَلَّ.

ودليل الرَّغبة والرَّهبة والخشوع: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

فهذه الأمور منها ما هو جائزٌ، كأن تقول: أنا راغبٌ إليك أن تُزوِّجني ابنتك، أو راغبٌ إليك أن تعطيني كذا مِمَّا يقدر عليه، فهذا جائزٌ، لكنَّ الرَّغبة إلىٰ المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الخالق، وكذلك الرَّهبة منه فيما لا يقدر علىٰ فِعْله إلَّا الخالق، فهذا هو المُحرَّم.

وكذلك الخشوع: وهو الخضوع للمخلوق، خضوع يشعر بأنَّك تخاف منه أن يفعل بك ما لا يقدر عليه إلَّا الله، ويتنافىٰ مع حُرِّيَّة المسلم واستعلائه علىٰ الأسباب المَادِّيَّة، فهذا لا يجوز إلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحتَّىٰ في الصُّورة.

فلو قَبَّلْتَ ركبة شخصٍ أو يده إذا كان ذلك مِمَّا يُشْعر بتباين الطَّبقات فإنَّ هذا لا يجوز، أمَّا إذا كان من ابنٍ إلىٰ أبيه أو عَمِّه أو خاله أو جَدِّه فهذا ليس فيه شيءٌ؛ لأنَّه لا يشعر بِرِفْعَة طبقةٍ علىٰ طبقةٍ.

وكذلك يُقَال في الاستعانة: فهي تجوز فيما يقدر عليه الإنسان، وتمنع الاستعانة فيما يكون من خصائص الله مع أنَّ الاستعانة بغير الله (أي: بالمخلوق) فيما يقدر عليه، هذه ينبغي أن تكون مُقيَّدةً بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ ومُرتَّبةً بأن تقول: أستعين بالله ثمَّ بك في الحاجة الفلانية.

كذلك الخشية أيضًا: فالخشية من المخلوق الَّذي له سلطةٌ ويخاف منه ومِمَّنْ تحت يده من أن يؤذيه بأذىٰ، هذا لا يكون شِرْكًا، ولكن الخشية من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله سبحانه، هذه هي الَّتي تكون من الشِّرك المُخْرِج من المِلَّة، والله سُبْحَانَهُ يقول: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ [المائدة:٣]، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران:١٧٥].

أمَّا الإنابة: فلا تجوز إلَّا لله عَزَّوَجَلَّ، ومعنىٰ الإنابة: الرُّجُوع، والتَّوبة من الذُّنُوب.

أمَّا الذَّبْح: فكلُّ ذبحٍ يقصد به التَّقرُّب إلىٰ مَنْ سَفَك له الدَّمَ؛ فهذا يُعتبَر شِرْكًا أكبر، ومن ذلك ما يجري بين القبائل أو الأشخاص، فإذا حصل بينهم شيءٌ قالوا: نذهب إلىٰ فلانٍ، وتكون معنا ذبائح نرضي بها القوم، فيصلون إلىٰ فِنَاء الدَّار، ويذبحون تلك الذَّبائح إرضاءً لأولئك القوم، ويجلسون عليها حتَّىٰ يأتي أولئك القوم الَّذين ذبح من أجلهم، فيقولون: عفونا أو تجاوزنا، فهذا يدخل في الشِّرْك، ويُسمَّىٰ عند أهل اليمن: (عقير)، ويُسمَّىٰ عند بعضهم: (مراضي)؛ يعني: يرضون بها الخصم الَّذي صار عليه الغلط.

أمَّا الذَّبح عند القبور، والأولياء، والنذر لهم: فهذا الأمر واضحٌ -والحمد لله- أنَّه من الشِّرك الأكبر المُخْرِج من المِلَّة.

لكن إِنْ ذُبِحَت الذَّبيحة للضَّيْف إكرامًا له، فهذا أمرٌ مباحٌ، ومعلومٌ أنَّ الذَّبْح له أحكامٌ متباينةٌ؛ فمنه شِرْكٌ أكبر مُخْرِجٌ من المِلَّة كما سبق أن مَثَّلنا له بالذَّبح علىٰ القُبُور، الذَّبح للوليِّ أو الجنِّ، فيشترطون إذا كان للجنِّ أن يكون علىٰ شعرةٍ سوداء، هكذا يقولون.

والذَّبح منه ما يكون حرامًا، لكنَّه غير شركٍ، كالذَّبْح علىٰ المآتم، وكذلك الإسراف، ومنه ما هو مباحٌ كالذَّبح للأكل، يذبح الإنسان لنفسه ليأكل، أو الذَّبْح للتِّجارة كذبح الجَزَّار، وذبح أصحاب المَنَادي(١)، هذا كلُّه جائزٌ، ومن الذَّبْح ما يكون واجبًا أو مسنونًا كذبح الهدي ودم الجزاء، والذَّبْح المذموم الَّذي يكون من الشِّرك والَّذي يقع علىٰ صاحبه اللَّعنة هو ما ذُبِحَ لغير الله بقَصْد التَّعبُّد.

وكذلك النَّذْر: لا يجوز النَّذر إلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمَنْ نَذَر لمخلوقٍ بشيءٍ ثمَّ تاب قبل أن ينفذه فلا يَلْزمه تنفيذُهُ؛ لقول النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نذر أن يُطيع الله فليُطِعه، ومَنْ نَذَرَ أن يَعصي الله فلا يَعْصه**»(٢).

وبالله التَّوفيق.

(١) أي: المطاعم التي تبيع اللحم المطبوخ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

الأصل الثاني
معرفة دين الإسلام

❐ **الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ، هُوَ الاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادِ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.**

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلَامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

التعليق

أقول: هذا يلزم طَلَبة العلم، أمَّا العوام فإنَّه يكفيه أن يعلم أنَّ هذا مباحٌ، وهذا مُحرَّمٌ، وهذا واجبٌ، ولو لم يعرف الأدلَّة.

وقد عرف العلماء الفقه في كتب أصول الفقه: بأنَّه معرفة الأحكام الشَّرعيَّة من أدلَّتها التَّفصيليَّة، فيُقَال: هذا الحكم حرامٌ لهذا الدَّليل، وذلك الحكم فرضٌ أو واجبٌ بالدَّليل الفلانيِّ، وذلك الحُكْم مستحبٌّ أو مكروهٌ أو مباحٌ بحسب الأدلَّة.

۞ **قَولُه**: «هو الاستسلام»: أي تعريف الإسلام هو: الاستسلام لله بالتَّوحيد، والانقياد له بالطَّاعة، والخلوص من الشِّرْك... هذا تعريفٌ بكلمة الإسلام.

ومعنىٰ «الاستسلام لله بالتَّوحيد»: بأن تكون مُستسلمًا مُنقادًا لأوامره ونواهيه، مطيعًا لها.

ومعنىٰ قوله: «والخلوص من الشرك»؛ أي: بأن تصفي عقيدتك وأعمالك من الشِّرك علىٰ حدِّ قوله تعالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، هذا التَّعريف هنا مناسبٌ، والتَّعريف الآخر الَّذي فيه الولاء والبراء (البراءة من الشرك وأهله)، فهذا التَّعريف شيءٌ وذاك شيء آخر، وكلُّها تدلُّ علىٰ معنىٰ واحدٍ؛ فالخلوص من الشِّرك هو تصفية التَّوحيد، ولا يكون التَّوحيد صافيًا إلَّا بالبراءة من الشِّرك وأهله علىٰ حدِّ قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].

قال: «وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكلُّ مرتبةٍ لها أركانٌ».

أقول: هذه ثلاث مراتب قَدْ جمعها حديث جبريل الَّذي رواه عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١).

فأمَّا الإسلام: فهو يَتعلَّق بأمور الدِّين الظَّاهرة، وأركانه خمسة:

الأولىٰ: التَّلفُّظ بالشَّهادتين: شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

أركان الإسلام

❑ **فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ:** شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، «لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، «إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.

❑ وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

التعليق

الركن الأول: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

ومعناها: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله.

«لا إله» نافيًا جميع ما يُعبَد من دون الله، «إلَّا الله» مُثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما لا شريك له في مُلْكِه.

الثَّاني: إقامة الصَّلاة: وهو فِعْلها بشرائطها، وأركانها، وواجباتها.

الثَّالث: إيتاء الزَّكاة: وهو الحقُّ في المال، وقَدْ قال أبو بكرٍ: «والله، لو منعوني عِقَالًا[(١)] كانوا يؤدُّونه إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتُهُم علىٰ مَنْعه»[(٢)].

وفي روايةٍ: «واللهِ، لأقاتلنَّ مَنْ فرَّق بين الصَّلاة والزَّكاة، فإنَّ الزَّكاة حقُّ المال، واللهِ، لو منعوني عَنَاقًا[(٣)] كانوا يُؤدُّونها إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتُهُم علىٰ مَنْعها»[(٤)].

الرَّابع: صوم رمضان؛ أي: صوم شهر رمضان.

الخامس: حجُّ بيت الله الحرام؛ فهذه الأفعال الظَّاهرة هي أركان الإسلام، وقَدْ أورد عليها المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلَّة واحدًا واحدًا.

فأورد الدَّليل علىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله: قوله تعالىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

---

(١) **العقال:** هو الحبل الذي تُشدُّ به يد البعير مع ذراعه حتىٰ لا يَشرد.
(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).
(٣) **العناق:** الأنثىٰ من أولاد المعز ما لم يتم لها سَنة.
(٤) أخرجه البخاري (٦٩٢٤).

ومعنىٰ «لا إله إلَّا الله»؛ أي: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله وحده، وكلمة «لا إله إلَّا الله» تتكوَّن من نفي، وإثباتٍ؛ فـ «لا إله» تنفي جميع الآلهة، و«إلَّا الله» تثبت العبادة لله وحده لا شريك له.

وإنَّ ممَّا يَتعلَّق بذلك: البراءة من الشِّرك وأهله الَّتي قرَّرها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقَدْ كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أَسْلَمَ أحدُهم، انفصل من أهله وقَرَابته انفصالًا كلِّيًّا، فحقَّقوا بذلك معنىٰ الولاء والبراء، وقَدْ جاء في الحديث عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يُقِيم بين أَظْهُر المشركين**». قالوا: يا رسول الله، ولِمَ؟! قال: «**لا تَرَاءىٰ ناراهما**»(١).

وبالله التَّوفيق.

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح أبي داود» (٢٣٧٧).

دليل الشهادة بالرسالة لمحمد ﷺ

❐ **وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

التعليق

❁ **قوله:** ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: من بني جنسكم، لسانه لسانكم، وأحاسيسه أحاسيسكم، وهو منكم قلبًا وقالبًا، إلَّا أن الله فضَّلَهُ بالرِّسالة، واختاره لتحمُّلها، وهذا الخطاب للعرب خاصَّةً، وللنَّاس عامَّةً.

أمَّا كونه للعرب: فلأنَّه من أَنْفَس العرب، لسانه لسان العرب، وهم يعرفونه ويفهمونه، كان قبل أن ينزل عليه القرآن أصدقهم لهجةً، وأعظمهم أمانةً مع فقره وقلَّة ذات يده، عُرِفَ بالأمانة العظيمة، حتَّىٰ أنَّ مَنْ يريد أن يُودِع شيئًا يأتي به إليه، وكانوا يقولون: مُحمَّد بن عبد الله الأمين.

فلمَّا جاءهم بهذه الدَّعوة كَذَّبوه وعَادَوْه وأَلْصَقوا به التُّهم؛ فتارةً يقولون: كذابٌ. وتارةً يقولون: ساحرٌ. وتارةً يقولون: كاهنٌ.

فصَبَر وصَابرَ حتَّىٰ نَصَره الله عليهم، ودَخَل مَنْ بقي منهم في دينه، وبالأخصِّ بعد أن فتحت عليه مكَّة، فجعل العرب ترسل كلُّ قبيلةٍ منهم وفدًا بإيمانهم، ولم يَتوفَّه الله حتَّىٰ أوعبت جزيرة العرب علىٰ اعتناق دينه صلوات الله وسلامه عليه.

ومعنىٰ قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾؛ أي: عزيز عليه ما أَعْنتكم، أي: ما يشقُّ عليكم، فهو يهمُّه ويعزُّ عليه.

قال تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

وقال جلَّ من قائل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ومعنىٰ كونه حريصًا علىٰ أُمَّته؛ أي:حريص علىٰ إيمانهم ومتابعتهم لما جاء به، حتَّىٰ أنَّ الله عاتبه في شِدَّة حرصه بقوله جلَّ من قائل: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦].

والمهمُّ: أنَّ شهادة أنَّ مُحمَّدًا رسول الله هي الجزء الثَّاني من الشَّهَادتين المُكمِّلة للَّتي قبلها، فشهادة أَنْ لا إله إلَّا الله: شهادةٌ لله بالوحدانيَّة، وحدانيَّة الخَلْق؛ فهو مُتوحِّدٌ بخَلْق هذا الكون، ورزق مَنْ فيه، وتدبيرهم، ومن ثَمَّ فإنَّ الواجب تَوحُّده بالأُلُوهيَّة.

معنى شهادة الرسالة لمحمد ﷺ

❐ وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

التعليق

وأمَّا شهادة أنَّ مُحمَّدًا رسول الله فمعناها: الشَّهادة للرَّسول ﷺ أنَّه رسولٌ من عند الله، مُكلَّفٌ بنَشْر الشَّريعة الَّتي حَمَلها، وأُمَّته مُكلَّفةٌ باعتقاد رسالته، وأنَّه لا يشرع إلَّا ما أمره الله بشرعه، ولا يقول إلَّا ما أمره الله بتبليغه.

ومن ثَمَّ فإنَّه تجب طاعته فيما أمرَ، واجتناب ما نهىٰ عنه، ولا تُقبَل من عبدٍ عبادةٌ إلَّا أن تكون علىٰ شرعه ﷺ، وهاتان الشَّهادتان هما القطبان الأساسان للإسلام، وهما الشَّرْطان لقَبُول الأعمال؛ فلا يُقبَل عملُ أيِّ عبدٍ إلَّا باعتقاد رسالة النَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ ووجوب متابعته وطاعته؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [النساء:٦٤].

دليل مشروعية الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد

❐ **وَدَلِيلُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

التعليق

وأعظم ما أمر الله به من العبادات: الصَّلَوات الخمس، وهي حقُّ الله في البدن، وعلىٰ كلِّ عبدٍ أن يأتي بها، ومَنْ لَمْ يفعل فإنَّه لا دينَ له.

وقَدْ دلَّت الأدلَّة علىٰ كُفْر تارك الصَّلاة، وأنَّه يقتل إذا دُعِيَ إليها ولم يفعلها، فإنَّه يُقتَل كفرًا علىٰ قولِ كثيرٍ من أهل الأثر.

وبه قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (من أئمَّة المذاهب).

ويُقتَل حدًّا علىٰ قول الجمهور أيضًا، وهو مذهب الشَّافعيَّة والمالكيَّة، ورواية في المذهب الحنبلي.

فالصَّلاة: حقُّ الله في البدن. **والزَّكاة:** حقُّ الله في المال.

والدَّليل على ذلك: قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

دليل مشروعية الصيام والحج

□ **وَدَلِيلُ الصِّيَامِ:** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

التعليق

ودليل الصِّيام: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

ودليل الحجِّ: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

والصِّيام والحجُّ: هما الرُّكْنان المُكمِّلان لأركان الإسلام.

وبالله التَّوفيق.

المرتبة الثانية: الإيمان

❐ **الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ.**

التعليق

«**المرتبة الثَّانية: الإيمان**»: أي المرتبة الثَّانية من مراتب الدِّين الثَّلاث.

والإيمان أخصُّ من الإسلام؛ فإذا جمعا، وَقَع اسم الإسلام علىٰ الأعمال الظَّاهرة، واسم الإيمان علىٰ العقائد الباطنة، وإذا ذُكِرَ واحدٌ منهما شمل الآخر، إلَّا أنَّ الإيمان أخصُّ من الإسلام، والإسلام أعمُّ من الإيمان.

قال الله تعالىٰ مُخاطبًا الأعراب الَّذين قالوا آمنا، فعاتبهم الله في ذلك، وقال: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات:١٤].

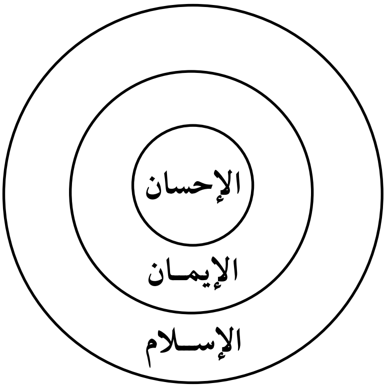

هذه مراتب الإسلام والإيمان والإحسان؛ أي: هذه الدَّوائر هي مراتب الدِّين.

بيان شعب الإيمان

□ وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

التعليق

قال: «وهو» أي: الإيمان «بضعٌ وسبعون شعبةً».

وَرَدَ: «**بضعٌ وسبعون**»، وورد: «**بضعٌ وسِتُّون**».

«**فأعلاها: قول لا إله إلَّا الله**»، فأعلىٰ هذه الشُّعَب: قول لا إله إلَّا الله؛ لأنَّها هي الكلمة الَّتي يدخل بها العبد في الإسلام، وهي الكلمة الَّتي تعصم دم العبد وماله، وهذه الشُّعَب مُتردِّدةٌ بين أعلاها وأدناها(١).

ومنها: ما هو أعظم من غيره في الأجر، وقَدْ ذكر النَّبيُّ ﷺ مَنِيحة الشَّاة(٢).

---

(١) أخرج البخاري (٩) ومسلم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»، وأخرج مسلم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون** -أو: **بضع وستون شعبة- فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

(٢) أخرج البخاري (٢٦٣١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعون خَصْلة أعلاهن مَنيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها- إلا أدخله الله بها الجنة**». **ومنيحة العنز:** هي أنثىٰ العنز تُعطىٰ ليُنتفع بلبنها ثم تُردُّ.

وورد أيضًا في الصَّدَقة بالماء أنَّه أعظم أجرًا من غيره؛ فعن سعيدٍ: أنَّ سَعْدًا أتىٰ النَّبيَّ ﷺ فقال: أيُّ الصَّدقةِ أعجبُ إليك؟ قال: «**الماءُ**»(١).

وعن سعد بن عبادة أنَّه قال: «يا رسول الله، إنَّ أمَّ سعدٍ ماتت، فأيُّ الصَّدقةِ أفضلُ؟ قال: «**الماءُ**». قال: فحفرَ بئرًا، وقال: هذه لأمِّ سعدٍ»(٢).

أمَّا إماطة الأذىٰ عن الطَّريق، فهي مِنْ أدنىٰ الحسنات إلَّا أنَّ الحسنات لا يُستَهان بشيءٍ منها.

وقَدْ ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجلٌ يمشي في الطَّريق، وجدَ غُصنَ شوكٍ علىٰ الطَّريق فأَخَّره، فشكر الله له، فغَفَرَ له**»(٣).

وورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**بينما كلبٌ يُطيف برَكِيَّةٍ**(٤) **قَدْ كاد يقتله العطش، إذ رأته بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت مُوقَها**(٥)**، فاسْتَقَتْ له به، فسَقَتْه إيَّاه، فغُفر لها به**»(٦).

والمُهِمّ: أنَّ هذه الشُّعب مَنْ عَمِلَ بشيءٍ منها مخلصًا لله فيه، فهو قَدْ أرضىٰ الله عز وجل، ولعلَّ الله عز وجل أن يغفر له بشيءٍ من ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٩)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (١٤٧٤): وإسناده مرسل صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٨١)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (١٤٧٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

(٤) **الركية:** البئر.

(٥) **الموق:** ما يُلبس فوق الخُفِّ.

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

أركان الإيمان

❑ وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

وَدَلِيلُ القَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

التعليق

قال: «وأركانه سِتَّةٌ»؛ أي: أركان الإيمان سِتَّةٌ كما ورد في حديث جبريل وغيره[1]:

١- أن تؤمن بالله.
٢- وملائكته.
٣- وكتبه.
٤- ورسله.
٥- واليوم الآخر.
٦- وتؤمن بالقدر خيرِه وشرِّه.

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

❑ **أمَّا الإيمان بالله، فهو يشمل:**

۞ **أوَّلاً:** الإيمان بوجوده ﷻ، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [إبراهيم:١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ [فاطر:٤١].

۞ **ثانيًا:** الإيمان بتوحُّده بالأُلُوهيَّة، وأنَّه لا إله غيره، ولا مستحقَّ للعبادة سواه، جَلَّ ربًّا، وتقدَّس إلهًا، هو الَّذي خلق هذا الكون، وهو المُتصرِّف فيه، وهو المُدبِّر له، يُسعد ويُشقِي، ويَمنع ويُعطي، ويُفقر ويُغني، ويُمرض ويُصِحُّ، ويُحيي ويُميت، كلُّ الأمور بيده، ومَصير كلِّ العباد إليه، لا إله إلَّا هو، ولا يَستحقُّ العبادة أحدٌ سواه.

۞ **ثالثًا:** الإيمان بأسمائه وصفاته، فله القدرة الكامِلة، والحكمة الشامِلة، هو السَّميع البصير، وهو الحكيم الَّذي أعجزت حكمتُهُ العقول، اللَّطيف بعباده، يجب أن نصفه بالصِّفات العليا، ونُسمِّيه بالأسماء الحسنىٰ إلَّا أن أسماءه وصفاته تَوْقيفيَّةٌ، لا تُؤخَذ إلَّا عن الله أو عن رسوله ﷺ.

نؤمن بأنَّه علىٰ العرش استوىٰ، بائنٌ من خَلْقِهِ، وعلمه شاملٌ لهم.

ونؤمن بأنَّه ينزل كلَّ ليلةٍ في الثُّلُث الأخير إلىٰ السَّماء الدُّنيا، فيقول: «**مَنْ يدعوني فأستجيبَ له، مَنْ يَسألني فأُعْطيَه، مَنْ يستغفرُني فأغفرَ له**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ونؤمن بأنَّ له وجهًا لا كالوجوه، وأنَّ له يدًا لا كالأيدي، صفاته كامِلة كذاته، يجب أن نؤمن بها، ونعتقد معناها، ونُفوِّض كَيفيَّتها.

قال مالكٌ لمَنْ قال له: كيف استوىٰ؟

قال: «الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والجحود به كفرٌ»(١).

والمُهِمُّ: أنَّ الإيمان به يشمل الإيمان بوجوده، والإيمان بتوحُّده بالأُلُوهيَّة، والإيمان بأسمائه وصفاته.

❑ **ثانيًا: أمَّا الإيمان بالملائكة:** فيجب أن نؤمن بجميع أجناسهم، وأنَّ منهم حَمَلة العرش، ومنهم الملائكة الكَرُوبيِّين الَّذين حول العرش، وأقربهم إليه جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت وخازن النَّار وخازن الجنَّة.

خازن النَّار: مَالك.

وخازن الجنَّة: رَضوان(٢).

---

(١) **قال الشيخ الإمام الحافظ تقي الدين، أبو محمد، عبد الغني المقدسي في كتابه البديع «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص٨٦): «أمَّا قولُ مالك فثابتٌ عنه».**
أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٥١٦) من طريقين، وذكره الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧)، وحكم بأن إسناده جيد، ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» رقم (٦٤٤)، (٢/ ٣٩٨)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» ضمن «الرسائل المنيرية» (١/ ١١١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (ص٢٧)، والذهبي في «العلو» (ص١٠٣) وقال: وهذا ثابت عن مالك».اهـ.

(٢) سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: هل ورد أن اسم خازن الجنة رضوان؟

=

وخُزَّان النَّار خَلَقهم الله لغضبه، فهم لا يَضحكون ولا يرحمون.

وخُزَّان الجنَّة بخلاف ذلك.

ومِمَّا يدلُّ على كثرة الملائكة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ زار ليلة أُسري به البيت المعمور، فأخبره جبريلُ بأنَّه: «**يُصلِّي فيه كلَّ يومٍ سبعون ألف مَلَكٍ إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم**»[١].

فإذا كانوا منذ خلق اللهُ السَّماوات والأرض هذا دَأْبُهم، فمن الَّذي يَقْدر علىٰ إحصائهم؟! قال ﷺ: «**إنِّي أرىٰ ما لا تَرَون، وأسمع ما لا تسمعون، أَطَّت السَّماء وحُقَّ لها أن تَئِطَّ[٢]؛ ما فيها موضع أربع أصابع إلَّا ومَلَكٌ واضعٌ جبهته ساجدًا لله، واللهِ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تَلَذَّذتم بالنِّساء علىٰ الفُرُش، ولخرجتم إلىٰ الصُّعُدات تَجْأرون إلىٰ الله، لوددت أنِّي كنت شجرةً تُعْضَدُ**»[٣].

=

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «اشتهرت به الآثار أن اسمه رضوان؛ لكنني لا أعرف فيه حديثًا صحيحًا عن الرسول عليه الصلاة والسلام». راجع «لقاء الباب المفتوح» (٩٩) في يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأول عام ١٤١٦هـ.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **الأطيط**: صوت الرَّحْل وشبهه، ومعناه: أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتىٰ أطَّت.

(٣) أخرجه ابن ماجة (٤١٩٠)، والترمذي (٢٣١٢) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «حسن غريب، ويروىٰ من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال: «لوددت أني كنت شجرة تعضد»، ويروىٰ عن أبي ذر موقوفًا، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: في «صحيح ابن ماجة» (٤١٨٠)، دون قوله: «لوددت...»».

فيجب علينا أن نؤمن بالملائكة، وأنَّهم موجودون معنا، ولكن لا نراهم كما أنَّ الجنَّ موجودون معنا، ونحن لا نراهم.

❑ **ثالثًا: ونؤمن بالكتب المنزلة:** منها ما سُمِّي، ومنها ما لم يسمَّ؛ فالمُسمَّىٰ: توراة موسىٰ، وإنجيل عيسىٰ، وزبور داود، وصُحُف إبراهيم، وقرآن مُحمَّدٍ ﷺ.

وأنَّ كلَّ رسولٍ قَدْ أُعْطِي كتابًا.

وأنَّ كلَّ رسولٍ قَدْ أُمِرَ بالتَّوحيد.

وأنَّ كلَّ رسولٍ قَدْ حذَّر من الشِّرْك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

يجب أن نؤمن بالكتب المنزلة علىٰ الرُّسُل إجمالًا فيما أجمل، وتفصيلًا فيما فصل، أمَّا كتابنا القرآن، فيجب أن نؤمن به إيمانًا مُفصَّلًا.

❑ **رابعًا: الإيمان بالرُّسُل:** وهو أن نؤمن برسل الله، مَنْ ذُكِر منهم نؤمن به علىٰ التَّعْيين، ونؤمن برسالته علىٰ الإجمال، ومَنْ لم يُذْكَر منهم فنحن نؤمن بأنَّ الله قَدْ أرسل رسلًا لهداية البشريَّة، أوَّلهم نوحٌ، وآخرهم مُحمَّدٌ ﷺ.

❑ **خامسًا: الإيمان باليوم الآخر:** وهو اليوم الَّذي لا يوم بعده.

اليوم الَّذي يُقدَّر بخمسين ألف سنةٍ.

اليوم الَّذي تأتي فيه كلُّ نفسٍ تجادل عن نفسها.

وأنَّ ذلك اليوم يقع فيه الجزاء علىٰ الأعمال؛ فالمؤمنون لهم الجنَّة، والكافرون دارهم النَّار، نعوذ بالله منها.

ونؤمن بالجنَّة والنَّار، وأنَّ إحداهما مأوىٰ المحسنين، والأخرىٰ مأوىٰ المسيئين.

❐ **سادسًا وأخيرًا: الإيمان بالقَدَر** خيرِهِ وشرِّه، حلوِهِ ومُرِّهِ.

وأنَّ كلَّ ذلك من الله ﷻ بقَدَرٍ منه، وأنَّه كتبَ في اللَّوْح المحفوظ كلَّ ذلك، وعَلِم الشقيَّ منهم والسَّعيد، وأنَّهم صائرون إلىٰ ما كتب عليهم، غير أنَّ ذلك سيكون باختيارٍ منهم، وأنَّ الله ﷻ يُعاقبهم علىٰ ذلك؛ لأنَّهم استحبُّوا الضَّلالة علىٰ الهدىٰ، والغيَّ علىٰ الرُّشد.

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلنا من الرَّاشدين المَهْديِّين.

ثمَّ أورد الأدلَّة؛ فآية البقرة(١) دليلٌ علىٰ أركان الإيمان ما عدا القَدَر.

أمَّا دليل القَدَر، فهو قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

---

(١) أي: قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الآية [البقرة:١٧٧].

المرتبة الثالثة: الإحسان

❐ **المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ.**

رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس:٦١].

التعليق

سبق لنا أَنْ شرحنا مرتبة الإسلام بأركانه، ومرتبة الإيمان بأركانه، وقلنا: إنَّ مرتبة الإسلام أعمُّ، ومرتبة الإيمان أخصُّ، وأنَّه إذا ذكر الإسلام والإيمان

معًا فإنَّ الإسلام يكون مقصودًا به الأعمال الظَّاهرة، والإيمان مقصودًا به العقائد الباطنة.

أمَّا الإحسان: فهو أعلىٰ مراتب الدِّين وأفضلها.

❐ **والإحسان في اللُّغة يقع على معنيين:**

۞ **المعنى الأول:** يقع علىٰ معنىٰ الإتقان: بأَنْ يتقن العبد عبادةَ ربِّه، مُخلصًا فيها حتَّىٰ يكون الإيمان بالغيب كالشَّهادة.

وقَدْ فُسِّر الإحسان: بـ: «**أن تعبد الله كأَنَّك تَرَاه، فإِنْ لم تكن تراه فإنَّه يَرَاك**».

فقوله: «**تعبد الله كأَنَّك تراه**» أعلىٰ المرتبتين، بمعنىٰ: أنَّه يكون الإيمان بالغيب كالشَّهَادة، وهذا معنىٰ قوله: «**كَأَنَّكَ تَرَاه**».

والدليل من السُّنَّة: حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوسٌ عند النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجلٌ...»، الحديث[1].

والمرتبة الثَّانية في الإحسان، وهي أقلُّ من المرتبة الأولىٰ: «فإِنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك» أن تؤمن وتعتقد بأنَّ الله يراك في عبادتك فتُحسنها.

۞ **أمَّا المعنى الثَّاني:** فهو الإحسان إلىٰ المخلوقين بِبَذْل المعروف لهم وإيصاله إليهم، وكلُّ معروفٍ داخلٌ في ذلك، فالصَّدَقة علىٰ الفقراء

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، وفيه تعريف الإسلام، والإيمان، والإحسان.

والمساكين بقَدْر الاستطاعة، وتعليم الجاهل، وإنقاذ الواقع في الورطة ولم يكن مُحدثًا فيها حدثًا، فسعيت في إنقاذه، أو خَفَّفت هذه الورطة عنه، أو أَعَنْته بنوعٍ من الإعانة، إمَّا بجاهك أو بمالك، والأمر بالمعروف والنَّهْي عن المنكر، والكلمة الطَّيِّبة، والإحسان إلىٰ الجار، هذا من المعروف... إلىٰ غير ذلك من المعروف الَّذي تَتعدَّد أنواعه، وتَكثُر جِهاته.

إلَّا أنَّ حديث جبريل فَسَّر الإحسان بالمعنىٰ الأوَّل، والمعنىٰ الثَّاني يدخل فيه، فإذا تَصدَّقتَ مُوقنًا بالخُلف، دَخَل في ذلك، وإذا صبرتَ علىٰ الأذىٰ مُوقنًا بالأجر، دخلَ في ذلك.

❑ **وقَدْ تَبيَّن أنَّ الإحسان له معنيان:**

- **أحدهما:** هو الإتقان للعمل.
- **والثَّاني:** بذل المعروف للخَلْق عبوديَّةً للحقِّ.

الأصـل الثالث
معـرفة النـبي ﷺ

❑ **الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.**

هذا إِلْمامٌ بِنَسَبِهِ صلوات الله وسلامه عليه؛ فهو من ذُرِّيَّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصَّلاة والسَّلام.

❑ **والعرب تنقسم إلى قسمين:**

١- **عرب عاربة:** وهي الأصل في العرب، وهم القَحْطانيُّون.

٢- **وعرب مستعربة:** وهم العَدْنانيُّون الَّذين ينتهي نَسَبهم إلىٰ إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما الصَّلاة والسَّلام.

والنَّبيُّ ﷺ من العرب المستعربة الَّذين يعود نَسَبهم إلىٰ إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه.

وهو دعوة إبراهيم -عليه الصَّلاة والسَّلام- في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة:١٢٩].

ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنِّي عبدُ الله في أمِّ الكتاب لخاتم النَّبيِّين، وإنَّ آدم لمُنجدِلٌ في طينتِهِ، وسَأُنبِّئكم بتأويل ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسىٰ قومه**[١]**، ورؤيا أُمِّي الَّتي رَأَتْ أنَّه خرج منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشَّام، وكذلك ترىٰ أُمَّهات النَّبيِّين صلوات الله عليهم**»[٢].

---

(١) قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٨) (١٧٢٠٣) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وضعفه الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٢٠٨٥).

طرف من سيرته ﷺ المشرقة

❑ وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

«نُبِّئَ بِـ: «اقْرَأْ»، وَأُرْسِلَ بِـ: «المُدَّثِّر».

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر:١-٧].

وَمَعْنَىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْ أَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ.

وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ المَدِينَةِ، وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ»(١).

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي المَدِينَةِ، أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، مثل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ؛ أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

ثُمَّ تُوُفِّي -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ٢٧٢).

بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ (الجِنِّ والإِنْسِ).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣٠، ٣١].

التعليق

تُوفِّي النَّبيُّ ﷺ وله من العُمُر ثلاثٌ وسِتُّون سنةً؛ أربعون قبل النُّبوَّة، وثلاثٌ وعشرون نبيًّا ورسولًا.

قال: «نُبِّئ بـ: «اقرأ»، وأُرسل بـ: «المدثِّر»»: أوَّل سورة: «اقرأ» هي أوَّل ما بدأ به من الوحي، أمَّا سورة «المُدثِّر» فهي بعد فترة الوحي، وهي الَّتي أمر فيها بالإنذار.

قال: «وبلده مَكَّة»؛ أي: بلده الَّتي وُلد فيها وعاش فيها: حتَّىٰ هاجر إلىٰ المدينة «بعثه الله بالنذارة عن الشِّرك، وبالدَّعوة إلىٰ التَّوحيد».

لا شكَّ أنَّ الله ﷻ أَمَرَه وأَمَرَ كلَّ نبيٍّ بالدَّعوة إلىٰ التَّوحيد؛ فيكون التَّوحيد هو الأساس الَّذي يُبنىٰ عليه الدِّين.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر:١-٣].

معنىٰ ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾: المُتلفِّف بثيابه.

﴿قُمۡ﴾: أمرٌ له بالإنذار، بالإنذار عن الشِّرك، والدَّعوة إلىٰ التَّوحيد.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾: عَظِّمْهُ بالتَّوحيد.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾: طَهِّرْ أعمالك من الشِّرْك.

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾: الرُّجز: المراد به الأصنام، كما قاله العلماء.

﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾: لا تهدي الهَدِيَّة تريد أفضل منها.

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾: اصبر لربِّك فيما قَدَّره عليك من حاجةٍ أو مرضٍ أو غيرهما.

يقول الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخذ علىٰ هذا عشر سنين»؛ أي: أخذ علىٰ الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد عشر سنين، لم يأمر أحدًا بصلاةٍ، ولا صومٍ، ولا زكاةٍ، ولا شيءٍ، إذ إنَّ هذه الأشياء إنَّما فُرِضت بعد الهجرة، إلَّا الصَّلاة، فإنَّها فُرِضَتْ قبل الهجرة بثلاث سنواتٍ.

قال: «وبعد العشر عُرِج به إلىٰ السَّماء، وفُرِضَت عليه الصَّلوات الخمس، وصلَّىٰ في مكَّة ثلاث سنين»، وقبل فرض الصَّلاة كان النَّبيُّ ﷺ يُصلِّي ركعتين في الصَّباح، وركعتين في المساء، ويقوم اللَّيل.

قال: «وصلَّىٰ في مكَّة ثلاث سنين، وبعدها أُمِر بالهجرة إلىٰ المدينة» وهي يثرب.

ومعنى الهجرة: أن تهجر بلد الشِّرْك؛ أي: تتركها وتجيء إلىٰ بلد الإسلام؛ لأنَّ الهجرة مأخوذةٌ من الهَجْر وهو التَّرْك، وقَدْ أُمِرَ المسلمون بتَرْك بلاد الشِّرك والقدوم إلىٰ بلد الإسلام.

وحكمها: الوجوب علىٰ مَنْ قدر عليها.

ولهذا أخبر الله عن أقوامٍ بأنَّهم تتوفَّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم بسبب تَرْكهم الهجرة وإيثارهم لبلاد الشِّرْك.

❑ **يُؤخذ من هذه الآيات:**

وجوب الهجرة علىٰ مَنْ قَدَر عليها؛ أن ينتقل من بلد الكفر إلىٰ بلد الإسلام، ذلك لأنَّ بلد الكفر يتعرَّض فيها المؤمن للإيذاء، وتكون السُّلْطة عليه لا معه، وإِنْ سَلِمَ من الإيذاء فإنَّه لا يَسْلم من التَّحَاكم إلىٰ غير حكم الله من القوانين الَّتي قَنَّنها البشر، وحَكَموا بها عباد الله، ولكن الهجرة لا بدَّ أن تكون في زمننا الحاضر بإذنٍ من الدَّولة المُهاجَر إليها، فإذا منعت الدَّولة أن تقبل هذا المهاجر، فإنَّه لا حول له ولا قُوَّة إلَّا بالله.

لقد كانت الأمور مُيسَّرةً، أمَّا الآن ففي الهجرة صعوبةٌ، إمَّا أن يكون من

ناحية البلد المُهاجَر منها، وإمَّا أن يكون من ناحية البلد المُهاجَر إليها، فمَنْ تيسَّرت له الهجرة إلىٰ بلدٍ إسلاميٍّ، فإنَّه يجب عليه أن يفعل ذلك، وأنَّ بعض بلدان المسلمين الآن تُشدِّد علىٰ مَنِ التزم دينَ الله في كلِّ ما يأتي ويَذَر.

❐ **والخلاصة:** أنَّ أيَّ مسلمٍ في بلدٍ يحكمها الكُفَّار بالقوانين الكُفْريَّة يجب عليه أن يهاجر منها إِنْ تيسَّر له، فإِنْ لم يتيسَّر له، فإنَّه فيما يظهر أنَّه يكون معذورًا؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وبالله التَّوفيق.

قال: والدَّليل علىٰ الهجرة من السُّنَّة: قوله ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتَّىٰ تنقطع التَّوبة، ولا تنقطع التَّوبة حتَّىٰ تطلع الشَّمس من مغربها**»(١).

هذا دليل علىٰ استمرار الهجرة، وأنَّها باقيةٌ ما بقيت الدُّنيا.

أقول: وفاة النَّبيِّ ﷺ في الثَّاني عشر من ربيعٍ الأوَّل، وفي العام العاشر من الهجرة؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ثمَّ تولَّىٰ الخلافة بعده أبو بكرٍ، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ علي بن أبي طالبٍ بعد مقتل عثمان من قِبَل الخوارج سنة ٣٦ هـ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٧٩)، من حديث معاوية رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله: في «صحيح أبي داود» (٢٢٤١).

ودينُهُ باقٍ ما بقي القرآن بين أظهرنا، وما بقيت السُّنَّة في بُطُون الكُتُب.

لا خير إلَّا دلَّ الأُمَّة عليه، ولا شرَّ إلَّا حذَّرها منه. والخير الَّذي دلَّها عليه: التَّوحيد وجميع ما يحبُّه ويرضاه. والشَّرُّ الَّذي حذَّرها منه: الشِّرك وجميع ما يكرهه ويأباه.

أقول: إنَّ الأوامر والنَّواهي باقيةٌ في مصادرها الشَّرعيَّة من كتابٍ وسُنَّةٍ، ويجب علىٰ النَّاس أن يلتمسوها من مَظانِّها، ويعملوا بها؛ لأنَّ الله كَلَّفهم بذلك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ۝٤٧ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورىٰ:٤٧، ٤٨].

وأشدُّ وأفظعُ ما يجب اجتنابه: هو الشِّرك الأكبر المُخرج من المِلَّة.

إنَّ طاعة رسول الله ﷺ واجبةٌ في كلِّ ما أَمر به، وكلِّ ما نَهىٰ عنه بشرط الاستطاعة؛ لأنَّ الله ﷻ يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦].

وكان النَّبيُّ ﷺ يبايع المؤمنين ويقول للمبايع: «**عليك السَّمعَ والطَّاعةَ**

فيما استطعتَ»(١)، حتَّىٰ قالت امرأةٌ من المؤمنات: «لَلهُ ورسولُهُ أرحمُ بنا من أنفسنا»(٢).

إنَّ وجوب طاعته ﷺ، واعتقاد عموم رسالته واجبٌ علىٰ كلِّ مُكلَّفٍ؛ كقوله جل وعلا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال ﷺ في حديث جابر في الخمس الخصائص: «وكان النَّبيُّ يُبعَث إلىٰ قومه خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلىٰ النَّاس عَامَّةً»(٣).

لم يَمُتْ حتَّىٰ أكمل الله به الدِّين؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، أخبره الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣٠، ٣١].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٠٤)، ومسلم (٥٦) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤٥٥٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٥٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم بنحوه (٥٢١)، والحديث بتمامه عند البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحدٌ قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلَّت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس عامة**».

البعث بعد الموت

❐ وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:١٧، ١٨].

وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ، وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١].

التعليق

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبعد البعث مُحاسبون ومَجْزيُّون عن أعمالهم»، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

قال جلَّ من قائل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١].

فالله سيجزي كلَّ عبدٍ بما عمل؛ المحسنون يجزيهم بإحسانهم، والمسيئون يجزيهم بإساءتهم، وأهل الإحسان هم أتباع الرُّسُل، وأهل الإساءة هم مخالفوهم.

وقَدْ أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ بهلاك الأمم المُكذِّبة، وفي ضمن ذلك الأخبار؛ إنذارٌ لمَنْ يقرؤه ويسمعه من العواقب السَّيِّئة الَّتي لا بدَّ أن تحصل لمَنْ كَذَّب الرُّسُل، وكَفَر بما جاؤوا به؛ وذلك بأن يجمع الله عَزَّوَجَلَّ عليهم عذاب الدُّنْيا وعذاب الآخرة، أو يعافيهم من عذاب الدُّنيا، ثمَّ يجمع الله عليهم العذاب يوم القيامة في النَّار.

وبالله التَّوفيق.

التكذيب بالبعث كفر

❐ ومَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧].

التعليق

الإيمان بالبعث بعد الموت ركنٌ من أركان الإيمان، لا يتمُّ إيمان العبد إلَّا به.

ولذلك فإنَّ مَنْ كذَّب بالبعث بعد الموت كَفَر كفرًا يُخرجه من الإسلام إنْ كان مسلمًا، ويُوجب عليه الخُلود في النَّار؛ قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧].

❐ **لقَدْ ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن نماذج تدلُّ على البعث بعد الموت:**

❁ **النُّمُوذج الأوَّل منها:** إحياء القتيل الَّذي قُتِل من بني إسرائيل وَاشْتَجروا في قتلِهِ، وكان الَّذي قتله قريبٌ له، فاحتكموا إلىٰ موسىٰ، فأمرهم الله عَزَّوَجَلَّ أن يضربوه بعضوٍ من أعضاء بقرةٍ تُذْبَح، وبعد الحوار بين موسىٰ وقومه تَوصَّلوا

إلىٰ البقرة وذبحوها، فأمرهم الله عَزَّوَجَلَّ أن يضربوه ببعضها، فضربوه ببعضها، فعادت إليه الحياة، فقام وجلس، ثمَّ قال: قتلني فلانٌ، ثمَّ عاد ميتًا(١).

۞ **والنُّموذج الثَّاني:** الَّذي مَرَّ علىٰ القرية بعد أن خربت وخرج منها أهلها، فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾، كيف يحيي الله هذه بعد موتها ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾ [البقرة:٢٥٩] بعد ذلك، كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ذلك في سورة البقرة، وأحيا حماره وهو ينظر، وأُتِيَ له بطعامه وشرابه لم يَتسنَّه؛ أي: لم يَتعفَّنْ من تلك المُدَّة الطَّويلة.

۞ **النُّموذج الثَّالث:** الَّذي ذكره الله أيضًا في سورة البقرة أنَّ جماعةً خرجوا من ديارهم وهم أُلُوفٌ حَذَرَ الموت؛ أي: حاذرين مِنْ وقوعه بهم، فقال لهم الله: موتوا، ثمَّ أحياهم بعد ذلك، وماتوا بآجالهم.

وهذه النَّمَاذج كلُّها في سورة البقرة.

۞ **النُّموذج الرَّابع:** في سورة الكهف، وهم أصحاب الكهف.

وهذه النَّماذج جَعَلها الله لعباده في الحياة الدُّنيا ليستدلُّوا بها علىٰ الحياة بعد الموت، وإلَّا فإنَّ الحياة بعد الموت ثابتةٌ بخبر الله عنها.

❐ **والمُهِمُّ:** أنَّ الحياة بعد الموت يوم القيامة، والإيمان بها يحصل للنَّاس في عَرَصات القيامة، والجنَّة والنَّار الَّتي يَؤولون إليها كلُّ ذلك داخلٌ في الرُّكْن الخامس، وهو الإيمان باليوم الآخر.

---

(١) أخرج القصةَ ابنُ جرير في «تفسيره» (٢/ ١٨٥، ١٨٦).

وقَدْ ردَّ الله علىٰ المُكذِّبين بهذا اليوم في آياتٍ عِدَّةٍ، ودلَّ إحياء الأرض بعد موتها علىٰ ذلك، نسأل الله أن يصبغ قلوبنا بصِبْغة الإيمان.

قوله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾، الزَّعْم: هو مَطيَّة الكذب كما يقولون! وهو القول بلا دليلٍ.

❁ **قَولُه**: ﴿أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾؛ أي: أن لن يحيوا بعد الموت. قال الله عَزَّوَجَلَّ: قل يا مُحمَّد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧].

قال تعالىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة:١-٤].

مهمة الرسل: البشارة والنذارة

❑ **وَأَرْسَلَ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.**

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣].

التعليق

ثُمَّ قال: «**وأرسل الله جميع الرُّسُل**» ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

الرُّسُل: هم الأَدِلَّاء علىٰ الله، وهم القادة إلىٰ مرضاته وجِنَانه، فبهم يُعرَف الله عَزَّ وَجَلَّ، وتُعرَف مرضاته والطُّرُق الموصلة إليها، فلا سبيل إليه إلَّا من طريقهم.

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف:٣٥، ٣٦].

❑ **فالعبادة فيها شرطان:**

❁ **أوَّلاً:** شرط الإخلاص.

❁ **وثانيًا:** شرط المتابعة بأن تكون مُتَّبِعًا لرسولٍ من الرُّسُل.

وأخبرنا الله عَزَّ وَجَلَّ أنَّ أوَّل الرُّسل: نوح عليه الصلاة والسلام.

وآخرهم: مُحمَّد ﷺ، وهذه الحقائق مقطوعٌ بها لا تقبل الجدل، قال جلَّ من قائل: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء:١٦٣].

وخاتمهم مُحمَّدٌ ﷺ؛ لقوله جل وعلا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب:٤٠].

دعوة الرسل واحدة
وهي: عبادة الله واجتناب الطاغوت

❐ وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «مَعْنَىٰ الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ».

التعليق

ولقَدْ بعث الله في كلِّ أُمَّةٍ رسولًا يُحذِّرهم وينذرهم ويأمرهم بعبادة الله، وينهاهم عن عبادة الطَّاغوت، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

❐ **فكلُّ الرُّسُل مُتَّفقون على هذين الأمرين:**

١- الأمر بعبادة الله وحده.

٢- النَّهْي عن عبادة الطَّاغوت والكفر به.

والطَّاغوت: يشمل كلَّ مَنْ عُبِدَ بباطلٍ.

وأحسن ما فُسِّر به الطَّاغوت قول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنىٰ الطَّاغوت: ما تجاوز به العبد حَدَّه من معبودٍ، أو مَتبوعٍ، أو مُطاعٍ»(١).

فمَنْ عُبِدَ من دون الله عَزَّوَجَلَّ فقَدْ تجاوز به العابد حَدَّه؛ إذ من حقِّ كلِّ مخلوقٍ أن يكون عبدًا لا معبودًا، وأن يدين لله بالأُلُوهيَّة وحده.

وكذلك قوله: «أو متبوع»، فالعبد يجب عليه أن يكون تابعًا لرسول الله ﷺ فيما أمر الله به في كتابه أو علىٰ لسان رسوله ﷺ، فإِنْ تَبِعَ مخلوقًا وترك المتابعة لرسول الله ﷺ فإنَّه قد اتَّخذَه طاغوتًا، ومن حقِّ كلِّ مخلوقٍ أن يكون تابعًا لكتاب الله، ولسُنَّة رسول الله ﷺ، فمَنِ اتَّخذ المخلوق متبوعًا، فقَدْ تجاوز به حدَّه، وغلا فيه غلوًّا يخرجه عن الحقِّ؛ لأنَّ الطَّاعة المطلقة حقٌّ لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ.

أمَّا قوله: «أو مُطاع»، فهو كذلك أيضًا، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق**»(٢).

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٥٠)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٣١) (١٠٩٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٣٤٧٧).

من هم رؤوس الطواغيت؟

❑ وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرةٌ، رُؤوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وَهَذَا مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

التعليق

❑ **الطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسةٌ:**

«إبليس لعنه الله، ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ، ومَنْ دعا النَّاس إلىٰ عبادة نفسه، ومَنِ ادَّعىٰ شيئًا من علم الغيب، ومَنْ حكم بغير ما أنزل الله».

۞ فإبليس: هو رأس الطَّواغيت؛ لأنَّه عارضَ ربَّه في أمره، واعترض عليه في سلطانه؛ فلعنه الله وأبعده من الجنَّة، وطرده منها.

۞ ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ: فقَدِ اتَّخذ مقام الأُلُوهيَّة، وأخذ ما ليس له، إذ من حقِّه أن يكون عابدًا لا معبودًا، ومربوبًا لا ربًّا؛ لأنَّه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا.

۞ ومَنْ دعا النَّاس إلىٰ عبادة نفسه

۞ كذلك مَنِ ادَّعىٰ شيئًا من علم الغيب، فقَدِ ادَّعَىٰ حقَّ الأُلُوهيَّة.

۞ ومَنْ حكم بغير ما أنزل الله؛ فقَدِ ادَّعَىٰ حقَّ الأُلُوهيَّة.

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الشورىٰ:٢١].

رأس الأمر الإسلام

❑ وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.

التعليق

وكلُّ ذلك خروجٌ عن طاعة الله ﷻ وتمرُّدٌ عليه، وادِّعاءٌ لحقِّه بغير حقٍّ، قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال: «وهذا هو معنىٰ لا إله إلَّا الله».

قلت: ومعنىٰ لا إله إلَّا الله: لا معبود بحقٍّ في الوجود إلَّا الله.

۞ **قَولُه**: «وفي الحديث: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصَّلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»(١).

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجة (٣٩٧٣) عن معاذ رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «صحح ابن ماجة» (٣٢٠٩).

فالإسلام: هو رأس الأمر، إِذْ لا يدخل أحدٌ الجنَّة إِلَّا بالإسلام، ولا يثبت له الأمن مِنْ عذاب الله إِلَّا بالإسلام، ولا تصحُّ صلاته، وزكاته، وصومه، وحَجُّه إِلَّا بالإسلام.

وعموده الصَّلاة؛ أي: أنَّ العمود الَّذي يقوم عليه فسطاط الإسلام هو الصَّلاة، فإِنْ لم يكن للدِّين عمودٌ، فقَدْ ذَهَب الدِّين.

وقوله: «**وذروة سنامه الجهاد**»؛ أي: أعلاه، وأفضل شيءٍ فيه هو الجهاد في سبيل الله.

وبذلك تَمَّتْ هذه التَّعْليقات علىٰ كتاب «الأصول الثلاثة»، وَفَّق الله الجميع لِمَا يحبُّه ويرضاه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

متن

الأصــول الســتة

تأليف

شيخ الإسلام المجدد

محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

المتن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِنْ أَعْجَبِ العُجَابِ وَأَكبرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ، بيَّنَها اللهُ تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ فَوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن أَذكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ.

الأَصلُ الأَوَّلُ: إِخلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللهِ، وَكَونُ أَكْثَرِ القُرآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظهَرَ لَهُمُ الشَّيطَانُ الإِخلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم، وَأَظهَرَ لَهُمُ الشِّركَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتبَاعِهِم.

الأَصلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَىٰ عَنِ التَفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ العَوَامُّ، وَنَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ المُسلِمِينَ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَفَرُّقِ فِيهِ.

ويزيدُهُ وضُوحًا مَا وردَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجبِ العُجابِ فِي ذَلك، ثُم صارَ الأمرُ إلىٰ أنَّ الافْتِرَاقَ في أصُولِ الدِّين وفُروعِهِ هُو العِلمُ والفِقهُ فِي الدِّينِ، وصَارَ الاجتماعُ فِي الدِّين لا يقُولُه إلَّا زِنديقٌ أو مَجنُونٌ.

الأَصلُ الثَّالِثُ: إنَّ مِن تَمَامِ الاجتِمَاعِ: السَّمعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَينَا وَلَو كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَبيَّنَ اللهُ هَذَا بيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِن أَنوَاعِ البَيَانِ شَرعًا وَقَدرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعرَفُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلمَ، فَكَيفَ العَمَلُ بِهِ؟

الأصلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقهِ والفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيسَ مِنهُم، وَقَد بيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الأَصلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠]، إلىٰ قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧].

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَت بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغربَ الأَشيَاءِ، وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الخَلقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتفَوَّه بِهِ إلَّا زِندِيقٌ أَو مَجنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهي عَنهُ هُوَ الفَقِيهُ العَالِمُ.

الأَصلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبحَانَهُ لأَولِيَاءِ اللهِ، وَتفرِيقُهُ بَينَهُمْ وَبينَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّار، وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ وَهِي قَولُهُ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١] الآيَة.

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ، وَهِي قَولُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤] الآيَة.

وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِي قَولُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٦٢، ٦٣].

ثُمَّ صَارَ الأَمرُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرعِ إِلَىٰ أَنَّ الأَولِيَاءَ لَا بُدَّ فِيهِمْ مِن تَركِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَن تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُم.

وَلَا بُدَّ مِن تَركِ الجِهَادِ، فَمَن جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُم، وَلَا بُدَّ مِن تَركِ الإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ، فَمَن تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ فَلَيسَ مِنهُمْ، يَا رَبَّنَا نَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الأَصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُختَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ المُطلَقُ، وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا، أَوصَافٌ لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَم يَكُنِ الإِنسَانُ كَذَلِكَ فَليُعرِضْ عَنهُمَا فَرضًا حتمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَنْ طَلَبَ الهُدَىٰ مِنهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِندِيقٌ، وَإِمَّا مَجنُونٌ؛ لأَجلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا.

فَسُبحَانَ الله وَبِحَمدِهِ! كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبحَانَهُ شَرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبهَةِ المَلعُونَةِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَتْ إِلَىٰ حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:٧-١١].

آخِرُهُ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

التعليق على
الأصـول السـتة

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

الأصل الأول
الإخـلاص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

❑ **قَال المصنِّفُ:**

مِنْ أَعجَب العُجَابِ، وَأَكبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ(١)، بَيَّنَها اللهُ تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ(٢) فَوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعدَ هَذَا غَلطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن أَذكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ(٣).

---

(١) **ذكر الشيخ عبيد الله بن عبد الله بن سليمان الجابري -حفظه الله- في (ص٦) من كتابه «تنبيه ذوي العقول السليمة إلىٰ فوائد مستنبطة من الستة الأصول العظيمة -تعريف الأصول»:**
قوله: «الأصول: جمع أصل، وهو في اللغة: ما يُبنىٰ عليه غيره، ومنه الأساس، وأصل البناء، والجذع: أصل الشجرة، قال الله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤].
والمراد هنا: قواعد مستنبطة من الكتاب والسُّنَّة للدلالة علىٰ كمال حكمة الله وقدرته، وكمال هديه وتشريعه، وهذه القواعد الست استنبطها الشيخ من الكتاب والسُّنَّة».اهـ.

(٢) **قال شيخنا أحمد النجمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العَاميُّ: هو مَنْ لا يقرأ، ولا يكتب».

(٣) إن دلَّ هذا فإنما يدل علىٰ بُعدهم عن الله، وهجرهم للعمل بكتابه تعالىٰ، وسُنَّة رسولنا محمد ﷺ إلَّا مَنْ هداه الله، فمَنْ رزقه الله ذكاءً وعقلًا واعيًا، ولم يرزقه الله زكاءً في أعماله، =

الأصلُ الأوَّلُ: إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللهِ، وَكَونُ أَكثَرِ القُرآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَام يَفهَمُهُ أَبلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظهَر لَهُمُ الشَّيطَانُ الإِخلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم، وَأَظهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتبَاعِهِم.

التعليق

❁ **قَولُه**: «**إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ لِبَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَام يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ**»:

أقول: الإخلاص لله هو القاعدة العظيمة من قواعد الدِّين الَّتي ينبني عليها، ويتلوه المتابعةُ، فالدِّينُ يقوم علىٰ هذين الأصلين:

١- إخلاصُ الدِّين لله تعالىٰ وحده لا شريك له.

٢- متابعةُ رسوله ﷺ، فلا يُقبَل عملٌ إلَّا بتوفُّرِ هذين الشَّرطين فيه، فمَنْ

=

فهذا ما عرف حقَّ الله عليه، وكأنَّ هذا المُعْرِض عن العمل الصَّالح ما سمع قول ربِّه تعالىٰ وهو يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩، ١٠]؛ إذ العبرة بالعمل، لا بكثرة العلم والذكاء، والله أعلم.

عَمِلَ عملًا لم يُؤسَّسْ على هذين الأصلين، فإنَّ عمله يكون مردودًا عليه، حتَّىٰ ولو أخلَّ بواحدٍ منهما؛ فمَنْ أخلص لله ولكنَّه لم يتابع رسولَ الله ﷺ، فإنَّ عمله باطلٌ؛ لعدم المتابعة، ومَنْ تابع الرَّسول ﷺ فقط ولم يخلص لله، فإنَّ عمله باطلٌ أيضًا؛ لعدم الإخلاص.

فمن الأدلَّة على الإخلاص: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر:١٤].

والأدلَّة على هذا كثيرةٌ، وأكثر السُّوَر المكيَّة آياتها في حوارٍ مع المشركين، وبيان بطلان دينهم، والاستدلال علىٰ إبطاله، وبيان أنَّ معبوديهم -وهي الآلهة الَّتي يعبدونها- لا تملك شيئًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣].

وقوله في آيةٍ أخرى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء:٥٣]، وبيان عجز هذه الآلهة وضعفها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا

وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

وفي أثناء ذلك يُبيِّن الله عَزَّوَجَلَّ قدرته في مخلوقاته الَّتي خَلَقها، وآياته الَّتي أودعها في هذا الكون ليدُلَّك علىٰ كمالِهِ وقدرتِهِ، وأنَّه هو الإلهُ الحقُّ المستحقُّ للأُلوهيَّة دون سواه، وأنَّه هو الَّذي ينبغي أن يُعبَد وأن تُخْلَص له العبادةُ لما له علىٰ النَّاس من فضلٍ بخلقهم وإيجادهم، وما يُسْدي لهم من النِّعم، وما يتفضَّل به عليهم من الرِّزْق، فهو المستحقُّ للعُبُوديَّة دون سواه؛ والكلام في هذا يطول لو أردنا أن نسلك شيئًا من التَّقصِّي، وما ذُكر فيه الكفاية.

وأمَّا المتابعة؛ فأدلَّتها كثيرةٌ أيضًا من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ؛ فمنها ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وقال جلَّ من قائل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنَّة إلَّا مَنْ أَبَىٰ**». قالوا: يا رسول الله، ومَنْ يأبىٰ؟ قال: «**مَنْ أطاعني دخل الجنَّة، ومَنْ عصاني فقَدْ أبىٰ**»(١).

أمَّا قوله: «**ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظْهَر لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِمْ**».

المقصود بهذا الكلام: أنَّه لمَّا أُدخل في الدِّين ما أُدْخِل من البدع، كبدع الصُّوفيَّة، وبدع التَّشيُّع، وما إلىٰ ذلك من البدع؛ أظهر الشَّيْطان لكثيرٍ من النَّاس أنَّ إخلاص العبادة لله، وعدم دعاء أولئك الصَّالحين -في زعمهم- يكون فيه تَنقُّصٌ للصَّالحين، وتقصيرٌ في حقوقهم، وأنَّ مَنْ دعا أولئك الصَّالحين، واستغاث بهم، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، فقَدْ عرف حقَّهم؛ علمًا بأنَّ الله يمنع ويأبىٰ أن يُشْرك معه غيره في شيءٍ من العبادة؛ حتَّىٰ ولو كان مَلَكًا مُقرَّبًا، أو نبيًّا مرسلًا.

وقَدْ فَصَّل الله عَزَّ وَجَلَّ في بعض آياته بين الحقِّ المشترك بينه وبين رسوله، والحقِّ الخالص له، فقال جل من قائل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢].

فجعل الطَّاعة مشتركةً بينه وبين الرَّسول، وجعل الخشية والاتِّقاء له

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

وحده، وقَدْ قال الله عَزَّوَجَلَّ عن الرَّسول ﷺ الَّذي هو أكرم الخَلْق عليه، وأعلاهم عنده منزلةً، وأفضلهم عنده مقامًا: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وبهذا يتبيَّن أنَّ قولهم هذا قولٌ باطلٌ، وخطأٌ فاحشٌ لا يجوز لأحدٍ أن يعتقده، وأنَّ المُوحِّدين لم يهضموا الصَّالحين حقَّهم؛ بل يحبُّونهم لله إِنْ كانوا صالحين علىٰ الحقيقة.

ولكنَّهم لا يُعطونهم شيئًا من حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لعلمهم أنَّ ذلك مُوجبٌ لسخطه تعالىٰ، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ لمَنْ قال له: أنت سَيِّدنا وابن سَيِّدنا: «**يا أيُّها النَّاس، قولوا بقولكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكم الشَّيطانُ، أنا مُحمَّد بن عبد الله ورسول الله، واللهِ، ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق ما رفعني الله عَزَّوَجَلَّ**»(١).

وقال لمَنْ قال له: يا رسول الله، جَهِدَتِ الأنفسُ، وضاعتِ العيالُ، ونَهكَتِ الأموالُ(٢)، وهَلَكَتِ الأنعامُ، فاستسقِ اللهَ لنا، فإِنَّا نستشفع بك علىٰ الله، ونستشفع بالله عليك.

قال رسول الله ﷺ: «**وَيْحك! أتدري ما تقولُ؟**» وسَبَّح رسول الله ﷺ، فما زال يُسبِّحُ حتَّىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثمَّ قال: «**وَيْحَكَ! إنَّه لا يُستشفع بالله علىٰ أحدٍ من خَلْقه؛ شأنُ الله أعظم من ذلك.**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٩)، (١٣٦٢١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٠٧) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١٠٩٧).

(٢) أي: نقصت، أو فنيت.

ويحك! أتدري ما الله؟! إنَّ عرشه علىٰ سماواته هكذا -وقال بأصابعه- **مثل القُبة عليه، وإنه لَيَئِطُّ به أطيطَ الرَّحْل بالرَّاكب»**(١).

وقَدْ تَبيَّن من هذا أنَّ مَنْ يَزْعم أنَّ تحقيق التَّوحيد، وإخلاصه لله تعالىٰ تَنقُّصٌ بالصَّالحين، فإنَّ قوله هذا باطلٌ، وإنَّه ضالٌّ من الضُّلالِ يجب علىٰ المسلمين أن يحذروه علىٰ دينهم.

وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «ضعيف أبي داود» (١٠١٧).

الأصل الثاني
الأمر بالاجتماع والائتلاف والنهي عن التفرق والاختلاف

□ **الأصلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِماعِ فِي الدِّينِ، ونَهىٰ عنِ التفرُّقِ فِيهِ، فبيَّنَ اللهُ هَذا بيانًا شَافيًا تَفْهمُهُ العوامُّ، ونَهانَا أن نكُونَ كالذِينَ تفرَّقوا واختَلفُوا قَبلنَا فَهَلَكُوا، وذَكرَ أنهُ أَمَرَ المُسْلِمينَ بِالاجْتِمَاعِ في الدِّينِ، ونَهاهُمْ عَنِ التفرُّقِ فِيهِ.**

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَردَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلك، ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ إِلَىٰ أَنَّ الافْتِرَاقَ في أصُولِ الدِّينِ وفُروعِهِ هُو العِلمُ والفِقهُ فِي الدِّينِ، وصَارَ الاجتماعُ فِي الدِّينِ لا يقُولُهُ إلَّا زِنْدِيقٌ أو مَجنُونٌ.

التعليق

لقَدْ قَرَنَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الأمر بالاجتماع في الدِّين، وعدم التَّفرُّق فيه بالعبادة، وهو من العبادة.

فقال جلَّ من قائل: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢].

❐ **ومفاد هاتين الآيتين ما يلي:**

١- هو أنَّ المعبود هو الله، فلا تجوزُ العبادة لغيره.

٢- وكذلك لا بدَّ أن تكون الأُمَّة واحدةً مجتمعةً علىٰ هذا الهدف، وهو وحدانيَّة المعبود، وأنَّه هو الله وحده لا شريك له.

ووحدة الأُمَّة بأن تكون الأُمَّة واحدةً، آخذةً من ربِّها عن نبيِّها ﷺ الأوامر والنَّواهي؛ تَتلقَّىٰ عنه أوامره ونواهيه بواسطة رسوله ﷺ مِمَّا جاء في الكتاب والسُّنَّة فتعمل بها؛ ولهذا أخبر ﷻ أنَّ هذا الذي بَيَّنه لأُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ هو شرعُ كلِّ الأنبياء والأمم، وعلىٰ رأسهم أولو العزم، كما قال جلَّ من قائل: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورىٰ:١٣].

فأخبر أنَّه وَصَّىٰ بذلك نوحًا أوَّلَ الرُّسل، ووَصَّىٰ به مُحمَّدًا ﷺ؛ وهو آخر الرُّسُل في قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، وَوَصَّىٰ به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ؛ وهؤلاء الثَّلاثة هم الباقون من أولي العزم: إبراهيم الخليل، وموسىٰ الكليم، وعيسىٰ ابن مريم روح الله وكلمته الَّتي ألقاها إلىٰ مريم.

فقوله: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: لله ﷻ؛ ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾: هذا أمرٌ بأن يكون الدِّين لله تجتمع علىٰ ذلك الأُمَّة؛ فإنْ حصل في ذلك اختلافٌ، فلتكن العودة إلىٰ الله ورسوله فيما حصل فيه الاختلاف، وعندئذٍ يُحَلُّ الاختلاف بما أمر الله به في قوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الشورىٰ:١٠].

وفي قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

ولقَدْ حضَّ الرَّسولُ ﷺ علىٰ الاجتماع، وعدم التَّفرُّق؛ بل إنَّه قضىٰ علىٰ كلِّ أسباب التَّفرُّق والاختلاف.

ومَنْ تأمَّل الأحكام الشَّرعيَّة يجد أنَّ الرَّسول ﷺ في تشريعاته الَّتي تلقَّاها من ربِّه لم يَدَعْ سببًا من الأسباب الَّتي تؤدِّي إلىٰ الاختلاف إلَّا وَحسمه، امتثالًا لأمر الله حيث يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

۞ **قَولُه**: **«ويزيده وضوحًا ما وردت به السُّنَّة من العجب العجاب في ذلك»**:

أقول: الأدلَّة في السُّنَّة، منها قوله ﷺ: «**نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، وحفظها وبلَّغها؛ فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلىٰ مَنْ هو أفقه منه.**

ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلمٍ: إخلاصُ العمل لله، ومناصحةُ أئمَّة المسلمين، ولزومُ جماعتهم، فإنَّ الدَّعوة تحيط من ورائهم»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وصحححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٤٠٤).

ومنها قوله ﷺ: «**مَنْ أتاكم وأمرُكُمْ جميعٌ علىٰ رجلٍ واحدٍ، يريد أن يَشقَّ عصاكم، أو يُفرِّق جماعتكم، فاقتلوه**»(١).

ومنها حديث: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فِرْقةً، وافترقت النَّصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فِرْقةً، وستفترق هذه الأُمَّة علىٰ ثلاثٍ وسبعين فِرْقةً، كلُّها في النَّار إلَّا واحدةً**».

قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هم الَّذين علىٰ مِثْل مَا أنا عَلَيْه وأصْحَابي**»(٢)، إلىٰ غير ذلك من الأدلَّة.

۞ **قَوْله**: «**ثمَّ صار الأمر إلىٰ الافتراق في أصول الدِّين وفروعه هو العلم والفقه في الدِّين، وصار الاجتماع في الدِّين لا يقوله إلَّا زنديقٌ أو مجنونٌ**»:

لعلَّ مقصود المُؤلِّف ما حصل بين المسلمين من الافتراق في أصول الدِّين وفروعه، فالافتراق في أصول الدِّين حصل كثيرًا: فمن (جهميَّة) إلىٰ (اعتزال) إلىٰ (قَدَريَّة) إلىٰ (مرجئة)، إلىٰ غير ذلك.

وكذلك الافتراق في الفروع: فمِنْ حنفيةٍ إلىٰ مَالكيَّةٍ إلىٰ شَافعيَّةٍ إلىٰ حنابلة وظاهريَّةٍ؛ وهذا الافتراق في الفقه الإسلاميِّ لا يُعدُّ افتراقًا، بل هو مجالٌ لتنوُّع الأفهام واختلافها في المسائل الَّتي يَسُوغ فيها الاجتهاد، وليس هذا بعيبٍ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من حديث عرفجة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٣٤٨).

ولا نقصٍ؛ ولكن العيب والنَّقْص هو تَرْك الدَّليل لقول الإمام، هذا هو الَّذي يُذَمُّ صاحبه ويُلامُ.

ولعلَّ المُؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ قصد إلىٰ هذا الاختلاف، وأنَّ كثيرًا من أهل زمنِهِ قَدْ ذهبوا إلىٰ أنَّ مَنْ ترك هذه المذاهب وأخذ بالدَّليل، اتَّهموه بما وصف المُؤلِّف من الجنون والزَّنْدقة.

والزَّنْدقة(١) هي عدم الاكتراث بالدِّين، وعدم المبالاة به -والعياذ بالله-

وبالله التَّوفيق.

(١) قال في «القاموس المحيط» (ص٨٩١): «الزنديق -بالكسر- من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يُبطن الكفر ويظهر الإيمان».اهـ.

الأصل الثالث
السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية

❑ الأَصلُ الثَّالِثُ: إِنَّ مِن تَمَامِ الاجتِمَاعِ: السَّمعَ وَالطَّاعَةَ لِمَن تَأَمَّرَ عَلَينَا وَلَو كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَبيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِن أَنوَاعِ البَيَانِ؛ شَرْعًا[(١)] وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصلُ لَا يُعرَفُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلمَ

---

(١) إن الله قد بيَّن لنا في كتابه، ووضَّح ﷺ لنا في سُنَّته وجوب طاعة السلطان فيما ليس فيه معصية لله ولا لرسوله ﷺ؛ فإن أمر السلطان بمعصيةٍ فلا سمع إذًا ولا طاعة، وهو ما بَيَّنه شيخنا من الأدلة علىٰ هذه المسألة عند قول المؤلف: «فبيَّن الله هذا بيانًا شافيًا كافيًا بوجوهٍ من أنواع البيان شرعًا».

وأما قوله: «قدرًا»: فهو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ علىٰ الأمة الإسلامية؛ أفرادًا وشعوبًا حينما عادت وتعود إلىٰ كتاب ربها، وسُنَّة نبيها محمد ﷺ، وتعمل بهذين المصدرين المنزلين من عند الله تبارك وتعالىٰ، ومن تلك الأمور التي أمر الله بها، وأمر بها رسوله ﷺ: طاعة ولي الأمر بالمعروف، والاجتماع عليه، وعدم الخروج عليه بالقول والفعل، فإن الله قد وَعَدَ من فعل ذلك بالخيرية، والعزة، والتمكين في الأرض، والنصرة علىٰ الأعداء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور:٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج:٤٠، ٤١].

وحينما تترك الأمة الإسلامية العمل بالكتاب والسُّنَّة وتتعبَّد بشيءٍ لم يأمر الله به، فإنه قد كتب وقدَّر في اللوح المحفوظ بأن مَنْ كان هذا حاله، ومن ذلك عدم طاعة السلطان =

فَكَيفَ العَمَلُ بِهِ؟

التعليق

سبق لنا أَنْ بيَّنَّا ما بيَّنه الله لعباده في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢].

وفي قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورىٰ:١٣].

=

والخروج عليه بأنواع الخروج، فإن الله إذا رأىٰ من عباده هذا يبتليهم بالتفرُّق والتمزُّق، ويجعل بأسهم بينهم، ويسود الفساد والبلاء بين أفرادها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

فلنعتصم جميعًا بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، ولنجعل نصب أعيننا أن كل أمر من الله أو من رسوله ﷺ بأنه أمر واجب الامتثال إلَّا ما دلَّت النصوص علىٰ أن هذا الأمر علىٰ سبيل الاستحباب، وأن نعتقد فيه اعتقادًا جازمًا لا مِرْيةَ فيه بأن فيه الخير، وبخلافه يحصل الشر، وأن كل نهي نهانا الله عنه في كتابه، أو نهانا عنه رسولنا محمد ﷺ في سُنَّته، فإنه نهي يحرم علينا الوقوع فيه إلَّا ما دلَّت الأدلة علىٰ أن النهي فيه علىٰ سبيل الكراهة والتنزيه؛ لأنا إذا وقعنا في النهي فسيحصل علينا الشر؛ إن عاجلًا وإن آجلًا.

فإن عُدنا -أيها المسلمون- إلىٰ الله عودةً صادقةً ظفرنا بسعادة الدارين: دار الدنيا، ودار الآخرة، وإنْ تخلَّفنا، فإن الأمر علىٰ العكس من ذلك، والله المستعان.

وعرفنا مِنْ تلك الأدلَّة بأنَّ الله أمرنا أَنْ نعبدَ إلهًا واحدًا هو الله وحده لا شريك له، وأمرنا أن تكون أمَّتنا أمةً واحدةً.

❑ **فتبيَّن أنَّ الدِّين يقوم على أصلين:**

١- أنَّ الإله واحدٌ، وهو المُتعبَّد له بأنواع العبادات، وهو الله دون سواه.

٢- أنَّ الأُمَّة يجب أن تكون واحدةً، وألَّا تتفرَّق في الدِّين، ويقول المُؤلِّف هنا: «**إنَّ من تمام الاجتماع السَّمع والطَّاعة لمَنْ تأمَّر علينا، ولو كان عبدًا حبشيًّا**»: سواء كان برًّا أو فاجرًا، وسواءً كان مُطيعًا أو عاصيًا؛ وطاعة مَنْ ولَّاه الله أَمْرَنَا واجبةٌ علينا، وهو من تمام اجتماع الكلمة؛ وقَدْ وردت في ذلك الآية، وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

❑ **وأمَّا الأحاديث في هذا الباب فهي كثيرةٌ:**

۞ **منها:** أَمْر النَّبيِّ ﷺ بالسَّمع والطَّاعة لوليِّ الأمر، وعدم الخروج عليه، فعن عبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السَّمْع والطَّاعة في مَنْشطنا ومَكْرهنا، وعُسرنا ويُسرنا، وأَثَرة علينا، وألَّا ننازع الأمر أهله، إلَّا أَنْ تَرَوا كُفرًا بَوَاحًا عندكم من الله فيه برهانٌ»(١).

۞ **ومنها:** حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رأىٰ من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه؛ فإنَّه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلَّا مات ميتةً جاهليَّةً**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

۞ **ومنها:** حديث عوف بن مالكٍ رضي الله عنه: «**خِيار أَئِمَّتكم الَّذين تُحبُّونهم ويُحِبُّونكم، وتُصلُّون عليهم ويُصلُّون عليكم، وشرار أئمَّتكم الَّذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتَلْعَنُونَهُم ويَلْعَنُونكُم**».

قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسَّيْف؟ فقال: «**لا، مَا أقامُوا فِيكُم الصَّلاة، وإذَا رَأيْتُمْ مِنْ وُلاتِكُم شَيْئًا تَكْرَهُونَه، فاكْرَهُوا عَمَلَه، ولا تَنْزِعُوا يدًا مِنْ طَاعةٍ**»(١).

۞ **ومنها:** حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ خلع يدًا من طاعةٍ، لقي الله يوم القِيَامَة لا حُجَّة لَهُ؛ ومَنْ مَاتَ ولَيْسَ في عُنُقِه بَيْعةٌ، مات ميتةً جَاهليَّةً**»(٢).

وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا وإن اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُم عبدٌ حَبشيٌّ كأنَّ رأسه زَبِيبَةٌ**»(٣).

والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ، يأمر الله عز وجل علىٰ لسان رسوله ﷺ بطاعة السُّلْطان وعدم الخروج عليه.

بيَّن الله هذا بيانًا شافيًا في مواضعَ كثيرةٍ، فلا داعي للإطالة فيها: فمَنْ كان مؤمنًا بالله، ومؤمنًا برسول الله ﷺ، فَلْيتقِ الله، ولا ينزعنَّ يدًا من طاعةٍ؛ فإنَّ الخروج يعمُّ الخروج بالقول، والخروج بالفعل، والمنازعةُ تعمُّ المنازعةَ في القول، والمنازعة في الفعل، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٢).

الأصل الرابع
بيان العلم والعلماء وبيان من تشبه بهم وليس منهم

□ **الأصلُ الرَّابعُ: بَيَانُ العِلمِ(١) وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقهِ والفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَن تَشَبَّهَ**

(١) **المراد بالعلم**: هو العلم الشرعي، وهو ما قاله الله في كتابه، وما قاله رسول الله ﷺ في سُنَّته، وما استنبطه أهل العلم منهما من الأحكام الشرعيَّة، والتي ينبني عليهما حفظ الدين والمال والعرض والعقل والنسل. والعلماء هم العارفون بذلك، العاملون بما فيهما، والداعون إليهما، الصابرون على الأذى فيهما.
ويُسمَّون أيضًا بالفقهاء، وإليك -أخي القارئ الكريم- بعضَ النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة الدالة على فضل العلم والعلماء، والفقه والفقهاء لتكون لك فيها أعظم واعظٍ وأجلُّ حافزٍ؛ لتسلك طريقهم وتحتذي بهم، وعلى رأس أولئك العلماء: علماء الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم في كل زمان ومكان.
وها هي النصوص غضة طرية -زادك الله توفيقًا وهدًى- قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].
وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩].
وقال جل من قائل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة:١١].
وقد جاء في الحديث عن قيس بن كثير؛ قال: قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق، فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديثٌ بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ. قال: أما جئت لحاجةٍ؟ قال: لا. قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم.
=

بِهِم وَلَيسَ مِنهُم، وَقَد بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠]. **إلىٰ قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾** [البقرة:٤٧].

=

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهَّل الله به طريقًا إلىٰ الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض حتىٰ الحِيتان في الماء، وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظٍّ وافرٍ**».

أخرجه الترمذي (٢٦٨٢)، وهو حديث صحيح، كما ذكر ذلك الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الترمذي» رقم (٢٦٨٢)، وأشار إليه أيضًا في «صحيح ابن ماجة» رقم (٢٢٣)؛ وانظره في «صحيح الترغيب» (١/ ١٣٨) (٧٠).

وقال الرسول ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتىٰ إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا، فأفتوا بغير علمٍ، فضلوا وأضلوا**»، رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»، رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إلىٰ غير ذلك من الأدلة الدالة علىٰ فضل العلم وأهله، وما أحسن قول الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال:

يـا طالـبَ العلـم لا تَبْـغ بـه بـدلا ... فقد ظفرتَ وربِّ اللَّوْح والقَلَـمِ

وقَـدِّس العلـمَ واعـْرف قَـدْرَ حُرمتـه ... في القول والفعـل والآداب فَـالْتزِمِ

فاجتهد -يا طالب العلم- في تحصيل العلم الشرعي، وخذه من أفواه الشيوخ السائرين علىٰ نهج السلف، ولا تنسَ أن تُخلِص في ذلك لله ربك، عالم الغيب والشهادة؛ زادك الله علمًا وتقًىٰ لله رب البريات.

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَت بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغرَبَ الأَشيَاءِ، وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الخَلقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّه بِهِ إِلَّا زِندِيقٌ أَو مَجنُونٌ، وَصَارَ مَن أَنكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهيِ عَنهُ هُوَ الفَقِيهُ العَالِمُ.

التعليق

إنَّ شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَدْ عاش في القرن الثَّاني عشر، وعاش في زمنٍ انتشر فيه الشِّرْك الأكبر؛ وهي عبادة القبور وغيرها مِمَّا يُتَّخذُ آلهةً، فأنكر عليهم ودعاهم إلىٰ التَّوْحيد، وإلىٰ العقيدة السَّلفيَّة الصَّحيحة، عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة الَّتي مضىٰ عليها إمام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، فَلمَّا أعلن فيهم إنكار الشِّرْك عَادَوْه وآذَوْه، وزعموا

(١) وإليك -أخي القارئ الكريم- مُلخَّصًا عن عقيدة المسلم (المنهج السلفي) التي يجب أن يَدِينَ العبد بها ربَّه ليجد جزاء ذلك يوم يلقاه، والتي ذكرها شيخنا أحمد بن يحيىٰ النجمي في كتابه «الفتاوىٰ الجلية عن المناهج الدعوية» (١/ ٨٥- ٨٧)، وهو إجابة عن سؤالٍ وَرَدَ عليه يسأل فيه السائل الشيخ عن ذلك، وعن التعريف بغيرها، فارجع إليه؛ زادك الله توفيقًا وعلمًا.
(المنهج السلفي):
١- أن ندين لله عَزَّ وَجَلَّ بالتوحيد، فلا ندعو أحدًا سواه، ولا نلتجئ إلىٰ أحد غيره؛ في جلب نفع أو دفع ضر، وأن نتعبد ببغض المشركين، وعداوتهم؛ إلا أنه يجب علينا أن ندعوهم أولًا
=

=

إلىٰ التوحيد، ونبين لهم أنه لا إسلام بدون توحيدٍ، وأن مَنْ دعا إلهًا غير الله كفر، فمن أصر بعد ذلك فإنه يجب علينا البعد عنه، وبغضه لله عَزَّوَجَلَّ.

٢- عقيدة السلف تنبني علىٰ أن يُوصف الله عَزَّوَجَلَّ بما وصف نفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ من غير تحريفٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تأويلٍ.

٣- نثبت لله الأسماء الحسنىٰ التي أثبتها لنفسه، ومدح نفسه بها؛ سواء كانت واردة في الكتاب أو السُّنَّة.

٤- نؤمن بأنه لا وصول إلىٰ رضا الله، ولا إلىٰ الجنة إلا من طريق رسول الله ﷺ، وأمَّا من طلب الوصول إلىٰ رضا الله من غير طريق رسوله ﷺ فإنه قد ضلَّ، وعمي عن الحق، وخسر دنياه وآخرته.

٥- نؤمن بأن شرع الله تعالىٰ هو ما جاء من طريق الوحيين: كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ؛ وإلىٰ ذلك أشار ربُّنا بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

٦- أن نعتقد بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، والسُّنَّة هي المُبيِّنة له، ويفسر القرآن بالسُّنَّة وبتفسير الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فالتفسير للقرآن يكون بالأثر، أي: من طريق الصحابة والتابعين، وبالأحاديث الموصلة إلىٰ ذلك. والكتب التي تحوي ذلك هي التي يجب اقتناؤها وقراءتها كـ: «تفسير ابن جرير»، و«تفسير البغوي» و«تفسير الدر المنثور» للسيوطي، وأمثال ذلك.

٧- يجب أن نأخذ السُّنَّة علىٰ طريقة المحدثين؛ في التصحيح والتضعيف، فنأخذ ما صحَّ، ونترك الضعيف.

٨- ندين لله عَزَّوَجَلَّ بطاعة ولاة الأمر في المعروف، إذ لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، ما داموا مسلمين يحكِّمون شرع الله، ويقيمون حدود الله، وما داموا يقيمون الصلاة، وأن طاعتهم واجبة، وإن جاروا، وأن من قال خلاف ذلك، وأجاز الخروج علىٰ الإمام المسلم وإنْ كان جائرًا، فهو مبتدعٌ ضالٌّ يجب علىٰ علماء المسلمين أن يردوا عليه قوله، ويبينوا ضلاله.

٩- أنه لا يجوز نشر مثالب ولاة الأمور؛ لأن في ذلك إثارةً للفتن، وتسببًا لوقوعها وإشاعتها.

=

أنَّه زنديقٌ خارجيٌّ يُكفِّر المسلمين بدون موجبٍ للتَّكْفير، وهو إنَّما كَفَّر مَنْ دعا غير الله معتقدًا فيه جَلْب النَّفْع، ودَفْع الضُّرِّ، ولم يكفر هؤلاء إلَّا بعد إقامة الحُجَّة عليهم.

❑ **فكان أهل العلم في زمانه قسمين:**

١- قسم عَادَوْه وآذَوْه وأَفْتَوا بكفره، وهم الأكثرون، وهم الَّذين عبَّر عنهم بقوله: «**وبيان مَنْ تَشبَّه بهم وليس منهم**»، وهؤلاء أخبارهم مُفصَّلةٌ في الكُتُب الَّتي ذُكرت فيها سيرة الشَّيْخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك تاريخ الدَّولة السَّعوديَّة إبَّان نشأتها.

وقَدْ صَوَّر الشَّيخ مُحمَّد بن إسماعيل الأمير الكحلاني ثمَّ الصَّنعاني ما جرىٰ للشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحسب ما وصل إليه من أخبارٍ، وذلك من خلال قصيدته الَّتي بعث بها إليه في الدرعية سنة ١١٦٣هـ.

=

١٠- يجب أن ندين لله عَزَّوَجَلَّ بالسُّنَّة، ونتبعها، ونمقت البدع والمبتدعين؛ لقوله ﷺ: «**مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»؛ وفي روايةٍ: «**مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

هذه خلاصة وكلمات موجزة من عقيدة السلف يجب أن نأخذ بها وأن نسير عليها إن كنا نريد النجاة ونريد الحق.

ويجب علينا أن ننبذ أقوال الرجال التي لا تستند إلىٰ دليلٍ، فالرجال يُعرفون بالحق، وليس الحق يُعرف بالرجال.

وأخيرًا: يجب علينا أن نضرع إلىٰ الله أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد خير الخليقة وأتقاها وأبرها، وأزكاها، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

ومِمَّا قال في مُقدِّمتها النَّثريَّة: لمَّا طارت الأخبار بظهور عَالِمٍ في نجد يُقال له: مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، ووصل إلينا بعضُ تلاميذه، وأخبرونا عن حقائق أحواله وتشميره في التَّقْوىٰ، وفي النَّهْي عن المنكر والأمر بالمعروف، فاشتاقت النَّفْس إلىٰ مُكَاتبتِهِ بهذه الأبيات، وهذا أنقله من كتاب «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في الفكر والأدب بجنوب الجزيرة» (ص٤٧٧) للشَّيْخ عبد الله بن محمد بن حسين أبو داهش، قال:

لقد أنكرت كلُّ الطَّوائف قولَه ... بلا صدرٍ في الحقِّ منهم ولا وردِ
وما كلُّ قولٍ بالقبول مُقَابَلٌ ... ولا كلُّ قولٍ واجب الرَّدِّ والطردِ
سوى ما أتى عن ربِّنا ورسولِهِ ... فذلك قولٌ جلَّ قدرًا عن الرَّدِّ
وأما أقاويل الرِّجال فإنَّها ... تدور على قدرِ الأدلة في النَّقْدِ

وأقول: كلُّ طوائف البدع قَدْ أنكروا قوله؛ لأنَّ دعوته سَلفيَّةٌ بحتةٌ تقوم علىٰ الأدلَّة من كتاب الله، وصحيح سُنَّة رسول الله ﷺ وعلىٰ فَهْم السَّلَف الصَّالح، ولذلك فإنَّ دعوته تهدم الخرافة الَّتي قامت عليها عقيدة الصُّوفيَّة، وعبادة القبور، وتأبىٰ التَّعْطيل الَّذي قامت عليه عقيدة الجهميَّة، وتأبىٰ تأمير العقول علىٰ النُّصُوص، فما قَبِلتْهُ منها أُخِذَ، وما لم تَقْبَله منها رُدَّ؛ وهو الَّذي قامت عليه عقيدة المعتزلة، وتأبىٰ تأويل نُصُوص الصِّفات الَّذي يُؤدِّي إلىٰ تعطيلها، وهو الَّذي قامت عليه عقيدة الأشعريَّة؛ لذلك فقَدْ أنكرت دعوته هذه الفئات كلُّها مع أتباعهم من العوامِّ، ومُعْظَمُهم رَمَوْهُ بالكفر والزَّنْدقة.

٢- قسمٌ لم يقبل دعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهم إلَّا القليل، أو أقلُّ القليل من العلماء، وهم الَّذين لهم إلمامٌ بالنُّصُوص الشَّرعيَّة وبسيرة النَّبيِّ ﷺ، وما كان عليه السَّلَف الصَّالح في زمن الخلفاء الرَّاشدين، والأئمَّة المهتدون؛ ومن هؤلاء الأفذاذ مُحمَّد بن إسماعيل الأمير الصَّنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صاحب «سبل السلام»، و«تطهير الاعتقاد» الَّذي أنكر عقائد المبتدعة في ذلك الزَّمان.

قال الشَّيخ عبد الله أبو داهش: وقَدْ مضىٰ الأمير الصَّنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بَسْط حديثه عن أحوال النَّاس عند ظهور دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأشار إلىٰ البدع الضَّالَّة والمعتقدات الباطلة الَّتي كانت منتشرةً في رُبُوع الإسلام عندئذٍ، قال:

أعاد بها معنى سُواعَ ومثْلَه ... يَعُوقَ ووَدٍّ بئسَ ذلكَ من وُدِّ
وقَدْ هَتَفوا عند الشَّدائدِ باسْمِها ... كما يهتِفُ المضطرُّ بالصَّمدِ الفردِ
وكَمْ عَقَروا في سُوحِها من عقيرةٍ ... أُهِلَّت لغير الله جهرًا على عمدِ
وكَمْ طائفٍ حول القبور مقبِّلٍ ... ومستلم الأركانَ منهنَّ بالأيدي
لقَدْ سرَّني ما جاءني من طريقه ... وكنت أرى هذي الطَّريقة لي وحدي

إلى أن قال:

وهذا اغترابُ الدِّين فاصبر فإنَّني ... غريبٌ وأعدائي كثيرٌ بلا عدِّ

❑ **وبالجملة؛** فإنَّ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد أن يفرِّقَ بين أهل العلم والفقه في الدِّين، وبين المُتسمِّين بالعلم والفقه، وليسوا أهلًا لذلك، فإنَّهم

ينبذون مَنْ جاء بالحقِّ بألقابٍ كاذبةٍ، ويصفونه بأوصافٍ خاطئةٍ، فيقولون: مجنونٌ أو زنديقٌ أو غير ذلك، كما قال المشركون للنَّبيِّ ﷺ في قول الله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٢، ٥٣].

۞ **قَولُه**: «**ثمَّ صار هذا أغرب الأشياء**»؛ أي: اتِّباع الكتاب والسُّنَّة، صار هو أغرب الأشياء «**فصار العلم والفقه هو البدع والضَّلالات، وخيار ما عندهم لبس الحقِّ بالباطل**»؛ وذلك أنَّه كان في زمنه مَنْ ردَّ عليه وعاداه، وزعموا أنَّه خارجيٌّ، وسَمَّوه هو وأصحابه خوارج، وزعموا أنَّه هو المقصود بقول النَّبيِّ ﷺ: «**رأس الكفر نحو المشرق**»(١)، وهذا زعمٌ باطلٌ، وإنَّما المقصود به الإلحاد والاشتراكيَّة الَّتي دعت إليها الدُّول الإلحاديَّة كروسيا وأتباعها في الاعتقاد والفِكْر، وحاربت الشَّرائع كلَّها، وعلىٰ رأسها شريعة الإسلام؛ بل حاربت كلَّ مظاهر الدِّين الإسلاميِّ كالحجاب، واللِّحية، واعتياد إتيان المساجد، فعليهم لعائن الله، وموجبات غضبه.

والمُهمُّ: أنَّ علماء ذلك الزَّمن حَمَلوا الحديث علىٰ أنَّه إشارةٌ إلىٰ دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ؛ مع أنَّ دعوة الشَّيخ هي إحياءٌ لدعوة التَّوْحيد الَّتي بُعث بها النَّبيُّ ﷺ وكلُّ نبيٍّ.

وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٠١)، ومسلم (٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأصل الخامس
بيان الله لأوليائه

□ الأَصلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبحَانَهُ لأَولِيَاءِ اللهِ[١]، وَتَفرِيقُهُ بَينَهُم وَبَيْنَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ وَهِي قَولُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] **الآيَة**.

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ، وَهِي قَولُهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] **الآيَة**.

وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِي قَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢، ٦٣].

ثُمَّ صَارَ الأَمرُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلقِ وَحُفَّاظِ

---

(١) قال شيخنا أحمد النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الولي: هو مَنْ والىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فامتثل أوامره واجتنب نواهيه، وصدَّق خبره، ووالىٰ مَنْ والاه الله، وعادىٰ مَنْ عاداه الله؛ امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]».

الشَّرعِ إِلَىٰ أَنَّ الأَولِيَاءَ لَا بُدَّ فِيهِم مِن تَركِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَنْ تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُمْ.

وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهَادِ، فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُمْ، وَلَابُدَّ مِن تَركِ الإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ، فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ فَلَيسَ مِنهُمْ، يَا رَبَّنَا نَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

التعليق

هـذا الأصـل ركَّز فيه شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ الصُّوفيَّة(١) الَّذين يزعمون أنَّ الأولياء هم الَّذين يظهرون بالأحوال،

(١) **قال الدكتور غالب بن علي عواجي:** «اختلفت كلمةُ العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية وللتصوف اختلافًا كثيرًا...، ولكن مهما قيل عن كثرتها واختلاف الناس فيها؛ فإنَّها كلها لا طائل من ورائها عند التمعن في دراستها، مما يَستدعي الحال غَض النظر عن تلك التعريفات كلها، وإلقاء الضوء علىٰ الأقرب منها.
ثم ساق تعريفها في اللغة، وبيَّن أنها مأخوذة من مادة (صوف)، وأنها قد جاءت علىٰ عِدَّة مَعَان؛ فتُطلق ويُراد بها: الصوف المعروف من شعر الحيوانات، وتطلق كلمة (صوف) علىٰ المَيْل، فيقال: صَافَ السَّهم عن الهدف، بمعنىٰ: مال عنه، وصافَ عن الشرِّ، أي: عَدَل عنه، إلىٰ غير ذلك من معاني الصوفية في اللغة.
وأوضح أنَّ لها عدة تعريفات اصطلاحية؛ اختلفت باختلاف مراحلها التي مَرَّت بها، وقال: إنه مهما قيل عن كثرة التعريفات للتصوف، فإنه يصدق عليه عمومًا أنه بدعة محدثة في الدين، وطرائق ما أنزل الله بها من سلطان.
=

والكرامات، وتبدو منهم الشَّطحات، فزعموا أنَّ الشَّيخ هو مَنْ تقرَّب بالقرب من الله إلىٰ أن يصل إلىٰ درجةٍ تسقط عنه فيها التَّكاليف، فيشرب الخمر فتنقلب في فمه لبنًا؛ وإذا زنىٰ بامرأةٍ: قالوا: إنَّما أفاض عليها من نورِهِ.

ومَنْ أراد أن يعرف ما عليه الصُّوفيَّة من الشطح، والكفر، والادِّعاءات العريضة لحقوق الله عَزَّوَجَلَّ غيرَ مُبَالين ولا مُكترثين، فليرجع إلىٰ كتاب: «الكشف عن الصوفية لأول مرة»، وكتاب: «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل.

بل إنَّهم يجعلون ذلك فخرًا لهم، وإنَّهم قَدْ بلغوا إلىٰ مرتبةٍ لم يبلُغها غيرهم، وإنَّ الشَّيخ هو الَّذي يرىٰ الله عيانًا! ويَتحدَّث معه! ويَلْقىٰ النَّبيَّ ﷺ وما أشبه ذلك من الادِّعاءات الَّتي لعب بهم الشَّيطان فيها، فأضلَّهم عن الطَّريق المستقيم، فأخرجهم إلىٰ طريقة أصحاب الجحيم، فهم يزعمون أنَّ هؤلاء هم أولياء الله ليس غيرهم؛ أمَّا مَنِ اتَّبع الكتاب والسُّنَّة وعُني بالحديث والآثار، وتَكلَّم في الفقه، وأمر بالاستقامة علىٰ شرع الله، فهؤلاء يُسَمَّون أهل الظَّاهر.

=

ثم ذكر أن من أبرز تعريفاتها:

١- **التصوف**: هو تجريد العمل لله تعالىٰ، والزهد في الدنيا، وترك دواعي الشهرة، والميل إلىٰ التواضع والخمول وإماتة الشهوات في النفس.

٢- قيل: إن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم: إنما كان نسبةً إلىٰ لبسهم الصوف الذي يُعبر عن الزهد والتقشف، وترك التنعم والملذات المباحة... إلىٰ غير ذلك من التعريفات التي ذكرها في كتابه. انظر «فرق معاصرة تنتسب إلىٰ الإسلام» (ص٥٧٨ وما بعدها) بتصرف.

وشيوخ الصُّوفيَّة عندهم أهل الباطن، بل إنَّهم حقيقةً هم أهل الباطل؛ بدل النون: لامًا؛ فشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ يشكو من أهل زمانه؛ لأنَّهم يجعلون أولياء الله مَنْ هم أعداءٌ لله وحاربوه أشدَّ المحاربة.

ولكن هل القولُ قولهم، والاعتقاد اعتقادهم؟ الجواب: لا.

ولكن حقيقة الوليِّ: هو مَنْ يُعظِّم كتاب الله، ويُعظِّم سُنَّة رسول الله ﷺ ويَتَّبع الرَّسول ﷺ في كلِّ قولٍ وفعلٍ، وفي كلِّ أمرٍ واعتقادٍ، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢، ٦٣].

أي: الَّذين آمنوا بالله، وكانوا يَتَّقون الله، ويفعلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ويؤمنون بالله، ويؤمنون بوعده ووعيده، وبعثه ولقائه، وجَنَّته وناره، ويجاهدون في سبيل ذلك بألسنتهم، وأقلامهم، وسُيُوفهم، هؤلاء هم الأولياء.

ولقَدْ أوضح الفروقَ بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيْطان شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه المُسمَّىٰ بـ: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»؛ ألا إِنَّ أولياء الله هم أهل الحديث، ومتَّبعو الآثار، المُدوِّنون لها، والعاكفون علىٰ حِفْظها وتدوينها، والعمل بها، والدَّعوة إليها! هؤلاء هم أولياء الله! فإيَّاك أن تُخْدَعَ، وأَنْ يَجْتاحَك الكذَّابون أصحاب الادِّعاءات الكاذبة، وبالله التَّوفيق.

الأصل السادس
الرد على شبهة أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق

❐ الأَصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبْهَةِ(١) الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيطَانُ فِي تَركِ القُرآنِ

---

(١) الشبهة كما ذكرها الجرجاني في كتاب «التعريفات» (ص١٦٥): «إنها في الأصل هي: ما لم يتيقن كونه حرامًا أو حلالًا».اهـ.

وتطلق هنا ويراد بها: جعل الباطل في صورة الحق، وهذه حُجَّة كل مُبطل من شياطين الإنس والجن، إذ إن من الذنوب ما هي شهوات، ومنها ما هي شبهات.

فالشهوات أعني بها: فعل الأشياء المُحرَّمة المعلومة من الدين بالضرورة؛ كتحريم شرب الخمر، وفعل الزنىٰ واللواط أو التهاون بالصلاة، أو بغير ذلك من المعاصي، وهي التي قال الله فيها: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم:٥٩، ٦٠].

وأما الشبهات: فهي التي يُوردها أعداء الدين علىٰ بعض المسلمين لتزيين باطلهم من بدعٍ وكفرياتٍ، أو بغير ذلك من المعاصي التي دون ذلك، وإلقاء المتشابه من القول علىٰ بعض المسلمين؛ ليقعوا فيما دَعَوْا إليه من الضلال.

دلَّ علىٰ ما قلناه من الحذر من الشبهات التي يلقيها أعداء الإسلام علىٰ بعض المسلمين ما ورد في «مسند الإمام أحمد»، وأبي داود -واللفظ له- بإسنادٍ صحيحٍ؛ صححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المشكاة» (رقم ٥٤٨٨) من حديث عمران بن حصين يحدث، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع بالدجال فَلْيَنْأَ عنه؛ فوالله، إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات -أو- لِمَا يبعث به من الشبهات**».

ومن تلك الشبهات ما أورده أعداء التوحيد في هذا الأصل من الدعوة إلىٰ ترك العمل بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ بحجة أن القرآن والسُّنَّة لا يعرفهما ولا يفهمهما إلا المجتهد المطلق.

كما سيبين بطلان مقالتهم هذه شيخُنا أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والله أعلم.

وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُختَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ[(١)] المُطلَقُ، وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا، أَوصَافٌ لَعَلَّهَا لا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الإنسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعرِضْ عَنهُمَا فَرضًا حَتمًا لا شَكَّ وَلا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَنْ طَلَبَ الهُدَىٰ مِنهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا.

فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ! كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبحَانَهُ شَرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ المَلعُونَةِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَتْ إِلَىٰ حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ: ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾ [يس:٧-١١][(٢)].

---

(١) قد بيَّن فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في شرحه علىٰ هذه الأصول الستة (ص١٨١) طبعة دار الثريا، تعريف الاجتهاد، فقال: «**الاجتهاد في اللغة**: بذل الجهد لإدراك أمرٍ شاقٍّ.

واصطلاحًا: بذل الجهد لإدراك حكمٍ شرعيٍّ»؛ ثم سأذكر لك -أخي القارئ الكريم- تعريف المجتهد المطلق أو بمعنىٰ آخر: هو المفتي، فقد قال في ذلك الشيخ عبيد بن عبد الله الجابري في كتاب «تنبيه ذوي العقول السليمة» (ص٧٥): «المجتهد المطلق: هو العالم الذي يَستفرغ وُسعه بالنظر في الأدلة حتىٰ يحصل له الظن الغالب، أو القطع بحكم شرعي، وهو الذي يبحث عن الحق بدليله».اهـ.

(٢) ﴿ٱلۡقَوۡلُ﴾ في الآية: العذاب، و﴿أَكۡثَرِهِمۡ﴾، أي: كفار العرب الذين ماتوا علىٰ الكفر.

=

آخِرُهُ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

التعليق

❁ **قَولُه** رَحِمَهُ اللهُ: «الأصل السادس: رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا المُجْتَهِدُ المُطْلَقُ، وَهُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا، أَوْصَافٌ لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَم يَكُنِ الإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَن طَلَبَ الهُدَىٰ مِنْهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا»:

أقول: إنَّ هذه الشُّبْهةَ شبهةٌ شَيطانيَّةٌ توصَّل بها الشَّيْطان إلىٰ تعطيل الكتاب والسُّنَّة، وصرف الفهم عنها صرفًا كلِّيًّا، وإنَّ هذا لَصَدٌّ عن سبيل الله، وتكذيبٌ لكتاب الله، حيث يقول تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:٢٢].

=

الأغلال: القُيود التي تُشَدُّ بها أيديهم إلىٰ أعناقهم.

﴿مُّقْمَحُونَ﴾: رافعو رؤوسهم، غاضو أبصارهم يوم القيامة، وهم في النار.

فالله تعالىٰ يقول -إخبارًا عن نفسه- بأنَّه يسَّر القرآن للذِّكْر، وأكَّد ذلك الخبر باللَّام المُوطِّئة للقَسَم، وهؤلاء يقولون: إنَّ فَهْم القرآنِ والسُّنَّة مستحيلٌ، وغير ممكنٍ إلَّا للمجتهد المُطلق الَّذي يشترطون فيه:

١- أن يكون قَدْ حفظ علىٰ الأقلِّ مئة ألف حديثٍ عن ظهر قلبٍ.

٢- حفظ القرآن، وما قيل فيه من التَّفاسير.

٣- حفظ الأقوال الفقهيَّة بأدلَّتها إلىٰ غير ذلك، وما هذه إلَّا مناقضةٌ لما أخبر الله به عَمَّا جعله في كتابه من اليُسر للقارئين، والمُتفقِّهين، والمُتعلِّمين.

وقال جل من قائل: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

فأخبر الله تعالىٰ أنَّه أنزل علىٰ رسول الله ﷺ القرآن ليُبيِّنه الرَّسول ﷺ بأقواله، وأفعاله، وتشريعاته الَّتي هي ترجمةٌ للقرآن، فهل أمَرَ رسول الله ﷺ بمستحيلٍ؟

حاشا وكلَّا!

وإنَّما أمرُهُ ممكنٌ، وقَدْ قال الله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨].

فكيف يكون بيانًا وهو مستحيل الفهم؟!

ما هذه إلَّا فِرْيةٌ شَيْطانيَّةٌ أراد بها الشَّيطان صَرْف العقول عن التَّفكُّر في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤١].

فقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: نوَّعناه، وبيَّنَّاه؛ فمنه الأحكام، ومنه الأوامر، ومنه النَّواهي، ومنه القصص لأمورٍ قَدْ مَضَتْ، ومنه الإخبار بالغيبيَّات الَّتي ستأتي، ومنه المواعظ، ووصف الجنَّة والنَّار، وأوصاف المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، وما أعدَّه الله لهؤلاء وهؤلاء، كلُّ ذلك قَدْ ورد في القرآن بالإضافة إلىٰ ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلا، وعمَّا له من الكمالات الَّتي لا تبلغ العقول وصفها؛ جلَّ شأنُهُ، وتَعَالتْ صفاته، وتقدَّست أسماؤه.

فهل القرآن لم يَنزل إلَّا ليُتلىٰ في المآتم فقط، غير مُتَّخِذينه شرعًا، ولا آخذين منه الهداية والأحكام؟!

إنَّ هذا لهو الضَّلال البعيد! وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مَقَالتي فوعَاهَا، وأدَّاها لمَنْ لم يَسْمَعْهَا، فرُبَّ مبلغٍ أوْعَىٰ له مِن سامعٍ**»(١).

وفِي روايةٍ: «**نضَّر الله امرأً سَمِع مقَالَتِي فوَعَاهَا، وأدَّاها إلىٰ مَنْ لم يَسْمَعها، فرُبَّ حامِل فِقْهٍ غَيْر فقيهٍ، ورُبَّ حامل فقهٍ إلىٰ مَنْ هو أفْقَه مِنْه**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٧١) (٦٨)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «التعليقات الحسان» (٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٤٠٤).

وقال ﷺ: «**ألا ليُبلِّغِ الشَّاهدُ الغائبَ، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوْعَىٰ مِنْ سامعٍ**»(١).

وقال ﷺ: «**بلِّغوا عنِّي ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَجَ، ومَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتعمِّدًا، فليتبوَّأ مقعده مِن النَّار**»(٢).

فهل أمْرُ الله ورسوله بحفظ القرآن والسُّنَّة، وتبليغهما يُعَدُّ عَبَثًا؟ إذا قلنا إنَّه لا يمكن للإنسان المُتعلِّم أو العالم أَنْ يفهم معاني كتاب الله، ومعاني سُنَّة رسول الله ﷺ، هل أَمَرَ الله عباده بالمستحيل حين قال: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]؟!

لقَدْ بلَغَ الشَّيطان أُمنيَّته بهذه الشُّبهة حين صرف بها النَّاس عن كتاب الله، وسُنَّة رسول الله ﷺ، بل إنَّه لم يُصِبِ الشَّيطان من أهل العلم بمثل هذه الشُّبهة؛ حين صرفهم عن شرع الله؛ تعلُّمًا وتعليمًا واجتهادًا واستنباطًا، بل وجعل ذلك - أي: البحث عن معاني كتاب الله ومعاني سُنَّة رسول الله ﷺ والاجتهاد في الاستنباط منهما- جعل ذلك ضَرْبًا من الجنون، ونوعًا من الزَّنْدقة.

بل قال لأولئك القوم الَّذين قالوا هذه المقالة: إنَّه لا بدَّ لكلِّ واحدٍ منهم أن يُقلِّد إمامًا من الأئمَّة الأربعة لا يخرج عن أقواله وآرائه واجتهاداته، ولا يجوز له إذا قلَّد ذلك الإمام أن يَحِيد عن رأيه، ولو قَدْرَ أُنْمُلَةٍ؛ بل إنَّه يجب عليه ألَّا يُقلِّدَ أحدًا غيره، وإذا وجد الدَّليل خلاف قول إمامه، فليؤول الدَّليل

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

حتَّىٰ يتناسب مع قول إمامه؛ لأنَّه زعم لإمامه الحَصَانةَ عن الخطأ؛ وإنَّه لا يتصوَّر منه وقوع الخطأ.

بل كادوا أن يُصرِّحوا بعصمة أَئمَّتهم، وكلٌّ منهم يعتقد في إمامه العصمة، وأنَّ قوله هو الحقُّ وإنْ خالف الدَّليلَ، وإذا رأيته يخالف الدَّليلَ، فاتَّهِمْ عقلك! واتَّهِمْ رأيك! واجعل قول الإمام في حصانةٍ عن الخطأ والبطلان.

يا لها من كارثةٍ! أدَّت بأصحاب هذه المذاهب أن يختلفوا اختلافًا أدَّىٰ إلىٰ الفُرْقة والتَّباغض والتَّعادي والتَّناحر، بل كلُّ أهلِ مذهبٍ يُضلِّلون الآخرين في أقوالهم أو بعض أقوالهم مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يَلُمْ أحدًا علىٰ الاجتهادات الَّتي تكون من النَّاس المُؤهَّلين في اللُّغة والقواعد حين قال: «**لا يُصَلينَّ أحدُ العصر إلَّا في بني قريظة**»[(١)].

فَاجْتَهد قومٌ وصلَّوا قبل وصولهم، وقالوا: إنَّما أراد الحثَّ والتَّعْجيلَ بالسَّيْر، فإذا كُنَّا قَدْ بلغنا جُهدنا ودخل وقت العصر قبل أن نصل إلىٰ بني قريظة، فنحن نُصلِّي الصَّلاة لوقتها، ونحمل قوله ﷺ هذا علىٰ أنه إنما أراد الإسراع في الذهاب؛ والتزم قومٌ باللَّفظ، فأخَّروا صلاة العصر حتَّىٰ وصلوا إلىٰ بني قريظة، وقَدْ فات وقت العصر، فأُخبر النَّبيُّ ﷺ بذلك ولم يُعنِّف أحدًا منهم، ولا قال لأحدٍ منهم: أنت أخطأت!

يا سبحان الله! لماذا خَلَق الله لنا العقول؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أليس خلقها لنا لنفكِّر بها، ونتفكَّر في آياته القرآنيَّة، ونتفكَّر في آياته الكونيَّة؟!

هذا هو الغرض الَّذي خلق الله لنا العقول من أجله؛ بل ذمَّ الله النَّاس الَّذين لهم قلوبٌ لا يفقهون بها، ولهم أعينٌ لا يبصرون بها، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها، فقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال جل وعلا: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٢-٢٤].

وأخيرًا: فإنَّ القرآن مليءٌ بالرَّدِّ على هذه الشُّبهة، والسُّنَّة مليئةٌ بالرَّدِّ عليها، ولكن ماذا نقول إذا كان أهل العلم -الَّذين يُظنُّ بأنَّهم سَيردُّون على هذه الشُّبْهة، ويُبطلونها بالأدلَّة الصَّحيحة الصَّريحة من كتاب الله، ومن سُنَّة رسول الله- هم الَّذين قرَّروها! وانبَروْا لمحاربة مَنْ ردَّها، واتِّهامه بالزَّندقة! وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

متن
القواعد الأربع

تأليف

شيخ الإسلام المجدد

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

المـتن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ.

اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ: أَنْ تَعبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُم لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ فَاعْلَمْ: أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّىٰ صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا دَخَلَ الشِّركُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ؛ كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا وَأَحْبَطَ العَمَلَ وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ: هُوَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِن هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّركُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:١١٦].

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ:

القَاعِدَةُ الأُولَى

أَن تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَم يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

القَاعِدَةُ الثانِيَةُ

أَنَّهُم يَقُولُون: مَا دَعَوْنَاهُم وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ القُرْبَةِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر:٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ المَنفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِن غَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ: هِي الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

القَاعِدَةُ الثالِثةُ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَىٰ أُنَاسٍ مُتفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ: مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ المَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَحْجَارَ وَالأَشْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَم يُفَرِّقْ بينَهُمْ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال:٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت:٣٧].

وَدَلِيلُ المَلَائِكَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ ﴾ [آل عمران:٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنبِيَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا

لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء:٥٧].

وَدَلِيلُ الأَحْجَارِ وَالأَشْجَارِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٩، ٢٠].

وَحدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ حُنَينٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلمُشرِكِيْنَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْوَاطٍ...». الحَدِيثُ.

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

تَمَّتْ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم

التعليق على
القواعد الأربع

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عنوان السعادة

❐ **قالَ شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ.

التعليق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه.

وبعد:

فقَدْ هيَّأ الله في القرن الثَّاني عشر الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقام بدعوة

التَّوحيد في نجدٍ، وكتب الله لها النَّجاح بعد جهادٍ مريرٍ وطويلٍ، فألَّف المُؤلَّفات، وجاهد المشركين حتَّىٰ دخلوا في دين الله، وعادوا إلىٰ رحابِهِ؛ فوحَّدوه.

ومن ضمن مُؤلَّفاته وأعظمها نفعًا: «الثَّلاثة الأصول»، وكتاب «التوحيد»، و«كشف الشبهات»، و«القواعد الأربع»، والَّتي هي مقصود بحثنا الآن.

۞ **قَولُه: «أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ»:**

يا لها من دعوةٍ عظيمةٍ! فمَنْ تولَّاه الله في الدُّنيا والآخرة فَقَدْ فاز ونجا، وحاز الدَّرَجات العلا، وأكرمه الله بالجنَّة الَّتي مَنْ دخلها يحيا فلا يموت، ويَصِحُّ فلا يَسْقَمُ، ويشِبُّ فلا يَهْرَمُ.

إذا تولَّاك الله في الدُّنيا، يسَّر لك العلم الصَّحيح المأخوذ من الكتاب والسُّنَّة، ووفَّقك للعمل به، وإذا تولَّاك في الآخرة صرف عنك العذاب، ويسَّر لك أسباب السَّعادة، فكان البرزخ في حقِّك نعيمًا، وفزت بالجنَّة بعد ذلك، وإذا جعلك مباركًا أينما كنت، فَقَدْ حصل لك ما يتمنَّاه الصَّالحون من الأعمال الصَّالحة الخالصة لله -جَلَّ وَعَلَا- الَّتي يترتَّب عليها الخير في المواطن الثَّلاثة: في الدُّنيا، والبرزخ، والآخرة، وقَدْ دعا لك أيضًا، فقال: «وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابتُلِيَ صَبرَ، وَإِذَا أَذنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ».

أي: عامتها، فالله يجزي الشَّاكرين بالزِّيادة، ويعطي الصَّابرين الأجر العظيم الَّذي لا يحصره حاصرٌ، ولا يعدُّه عادٌّ، كما في الحديث الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال فيما يرويه عن ربِّه: «**كلُّ عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبع مئة ضعفٍ إلىٰ ما شاء الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: إلَّا الصَّوم، فإنَّه لي وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوته وطعامه من أجلي**»(١).

۞ **قَوله**: «**وإذا أذنب استغفر**» أي: إذا وقع في الذَّنْب بسبب بَشَريَّته الَّتي يَتعرَّض بها إلىٰ ما يَتعرَّض له البشر، فيقع في المعاصي من حيث يشعر أو لا يشعر، ولكن الله تعالىٰ وَعَدَ، ووعدُهُ الحقُّ، أن يغفر لمَنِ استغفر، وأن يتوب علىٰ مَنْ تاب.

وفي الحديث القدسي: «**قال الله تعالىٰ: يا عبادي، إنِّي حَرَّمتُ الظُّلْم علىٰ نفسي، وجعلتُهُ بينكم مُحرَّمًا فلا تظالموا...، يا عبادي، إنَّكم تخطؤون باللَّيل والنَّهار، وأنا أغفر الذُّنُوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي...**»(٢).

وقَدْ أخبر رَحِمَهُٱللَّهُ في نهاية هذا الدُّعاء بأنَّ هذه الثَّلاث الخصال هي عنوان السَّعَادة، ثمَّ دخل في المقصود بقوله: اعلم أرشدك الله لطاعته...» إلخ.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

معنى الحنيفية

❑ **اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ: أَنْ تَعبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

التعليق

فهذه هي العبادة الَّتي تُسمَّىٰ عبادةً، والَّتي يَحُوز صاحبها الأجر الوفير والخير الكثير، أمَّا مَنْ خلط فعبد اللهَ، وعبدَ غيرَه فإنَّ عبادته لا تكون عبادةً لله، وفي الحديث الَّذي يرويه النَّبيُّ ﷺ عن ربِّه: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشُّركاء عن الشِّرْك، مَنْ عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركتُهُ وشركَه**»(١).

ثمَّ استدلَّ علىٰ ذلك بقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي هذه الآية ما يفيد بأنَّ خَلْق الجنِّ والإنس ما كان لشيءٍ سوىٰ العبادة، فالله خَلَق العباد ليعبدوه، ووعدهم بالمغفرة والجنَّة إذا عبدوه؛ كما في حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «**يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله علىٰ العباد، وما حقُّ العباد علىٰ الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنَّ حقَّ الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحقَّ العباد علىٰ الله ألَّا يُعذِّب مَنْ لا يشرك به شيئًا**»، فقلت: يا رسول الله، أفلا أُبشِّر به النَّاس؟ قال: «**لا تُبشِّرهم فيتَّكلوا**»(١).

وفي هذه الآية(٢) دلالةٌ علىٰ أنَّ المقصود بخَلْق الجنِّ والإنس هو أن يَبْتليهم الله بالأوامر والنَّواهي، ويَبْتليهم بأمورٍ أخرىٰ تعتبر صوارف عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمَنْ تأثَّر بالصَّوارف، وترك العبادة كان من الخاسرين، ومَنِ اشْتَغل بالعبادة، وأخذ من الدُّنيا ما يستعين به علىٰ مطلوبِهِ، كان من النَّاجين.

وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٢) أي: قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

لا عبادة إلا مع التوحيد

□ فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لا تُسَمَّىٰ صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا دَخَلَ الشِّركُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ؛ كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

التعليق

لقَدْ مَثَّل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بمثالٍ حِسِّيٍّ يعرف به المثال المعنويُّ؛ فالشِّرْك يبطل العبادة، كما أنَّ الحَدَث يفسد الطَّهارة، فمَنْ أدخل في عبادته شِرْكًا، فقَدْ أفسدها، ولم تَعُدْ صالحةً للاستفادة منها، كما أنَّ الحَدَث إذا دخل في الطَّهارة؛ سواء كان العبد قائمًا في صلاته أو خارجًا عنها، فإنَّ طهارته قَدْ بطلت، ولا يمكنه أن يستمرَّ في صلاته إنْ كان يُصلِّي، أو يدخل فيها إنْ كان لا يُصلِّي، وإنْ فعل فإنَّه يُعتبر مجنونًا، فاسدَ العقل، إذا ظنَّ أنَّ العبادة تستقيم له مع وجود الشِّرْك الأكبر، وكم في آيات القرآن ما يدلُّ علىٰ ذلك، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وقال الله على لسان عيسى ابن مريم: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال الله لنبيِّه مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

ولمَّا ذكر الله الأنبياء في سورة الأنعام قال جَلَّ من قائل: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

أهمية معرفة خطورة الشرك

❏ فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ: هُوَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِن هَذِهِ الشَّبَكَةِ وَهِي الشِّركُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:١١٦].

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ:

القَاعِدَةُ الأُولَى

❏ أَن تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَم يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١].

التعليق

مقتضىٰ هذه القاعدة أنَّ توحيد الرُّبُوبيَّة لا يدخل به أحدٌ في الإسلام، فمَنْ أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة، أقرَّ بأنَّ الله هو الخالق، وهو الرَّازق، وهو المُدبِّر، وهو المحيي والمميت الذي يُصِحُّ ويُمرض، والَّذي يُغني ويُفقر، والَّذي يُسعد ويُشْقي، مَنْ أقرَّ بهذا لا يدخله إقرارُهُ به في الإسلام؛ لأنَّ المشركين الَّذين قاتلهم رسول الله -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم- واستباح

دماءهم، وغنم أموالهم، وسبىٰ نساءهم وأطفالهم، كلُّهم كانوا يعتقدون أنَّ الله هو الخالق الرَّازق المُدبِّر لجميع الأمور، فلم ينفعهم ذلك شيئًا؛ لأنَّهم عبدوا مع الله غيره، وكفروا برسالة مُحمَّدٍ ﷺ، وأنكروا البعث وكفروا بالقرآن، وأنكروه، وزعموا أنَّه سحرٌ أو كهانةٌ.

فمَنْ آمن بواحدةٍ من هذه الأربع وكَفَرَ بثلاثٍ، أو آمن بثلاثٍ وكَفَرَ بواحدةٍ؛ فإنَّه يعتبر كافرًا، حلال الدَّم والمال بعد أن تُقَام عليه الحُجَّة.

فمَنِ اعْتَقَد رُبُوبيَّة الله علىٰ كلِّ شيءٍ، واعتقد رسالة مُحمَّدٍ ﷺ، واعتقد البعث بعد الموت، ولكنَّه استباح اتِّخاذ وسائط مع الله عَزَّ وَجَلَّ يدعوهم من دون الله، ويزعم أنَّهم شفعاء إلىٰ الله، فإنَّه في هذه الحالة لا تُقبَل منه صلاةٌ، ولا صومٌ، ولا زكاةٌ، ولا حجٌّ، ولا يَقْبَلُ الله منه أيَّ عمل صالحٍ؛ لقوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وبالله التَّوفيق.

القاعدةُ الثانيةُ

❏ أَنَّهُم يَقُولُون: مَا دَعَوْنَاهُم وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ القُرْبَةِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر:٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ المَنفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِن غَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].

التعليق

مقتضىٰ هذه القاعدة أنَّ الَّذين عبدوا غير الله لم يعبدوهم علىٰ أنَّهم هم الَّذين خلقوا هذا الكون، وهم الَّذين رزقوا مَنْ فيه، وهم الَّذين أَحْيَوا الأحياء وأماتوا الموتىٰ، ولا أنَّهم هم الَّذين ينزلون الغيث من السَّماء، أو أنَّهم هم الَّذين ينبتون النَّبات من الأرض، كلُّ ذلك ما كانوا يعتقدون أنَّهم يَتصرَّفون فيه، ولكن كان قولهم وحُجَّتهم أنَّهم عبدوهم من أجل أن يشفعوا لهم عند الله حيث قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

وحيث قالوا: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

فما كان أحدٌ منهم يعتقد أنَّ تلك الآلهة تخلق أو ترزق أو تُحْيِي أو تُمِيت، كلُّ ذلك لم يكن، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن نَتيقَّن أنَّ هؤلاء القوم الَّذين كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد، قاتلهم رسول الله ﷺ، واستباح دماءهم، وغَنِمَ أموالهم، وسبىٰ نساءهم وأطفالهم.

إذا علمنا ذلك علمنا أَنَّ مَنْ كان في هذا الزَّمان يعبد غير الله، ويزعم أنَّ فيه الولاية الَّتي تجعله مُقرَّبًا إلىٰ الله أكثر من غيره، وأنَّ الله لا يردُّ له شفاعةً، ولا يرفض له طلبًا، مَنِ اعتقد ذلك فإنَّه يُعتَبر مشركًا شركًا أكبر مُخْرِجًا من المِلَّة.

❑ **علمًا بأنَّ الشَّفاعة تنقسم إلى قسمين:**

١- شفاعة مَنفيَّة. ٢- شفاعة مُثْبتَة.

۞ **فالشَّفاعة المنفيَّة:** هي الَّتي تُطلَبُ من غير الله عَزَّ وَجَلَّ استقلالًا.

۞ **والشَّفاعة المُثبتَة:** هي الَّتي تُطلَبُ من الله، **وشروطها اثنان:**

١- أن تطلب من الله عَزَّ وَجَلَّ دون سواه، قال الله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٢- أن يكون المشفوع فيه مِمَّنْ أَذِنَ الله له في الشَّفاعة فيه بأَنْ يكون مُوحِّدًا، قال ﷺ لمَّا سأله أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أسعد النَّاس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقَدْ ظننتُ يا أبا هريرة ألَّا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّل منك لما رأيت مِنْ حِرْصك علىٰ الحديث؛ أسعد النَّاس بشفاعتي يوم القيامة مَنْ قال: لا إله إلَّا الله خالصًا من قلبه -أو: نفسه-**»(١).

وقَدْ جاء في النُّصُوص الشَّرعيَّة أنَّ الله يُعطي الشُّفعاءَ الشَّفاعة، فيُشفِّعهم في أقوامٍ قَدْ صاروا حُممًا، فيخرجونهم من النَّار، ثمَّ يدخلونهم الجنَّة، ويضعونهم علىٰ نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت الحِبَّة في حَمِيل السَّيْل(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ ما أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخلَ أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حَبَّة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتُحِشُوا وعادوا حُمَمًا، فيُلقون في نهر الحياة، فيَنبتون كما تنبتُ الحِبَّةُ في حَمِيل السَّيْلِ**». «**امتحشوا**»: احترقوا. «**حُممًا**»: فحمًا. «**الحبة**»: بذور البقول والعشب تَنبت في البراري وجوانب السيول. «**حميل السيل**»: غُثاؤه، وهو ما جاء به من طين وغيره؛ فإذا كان فيه حبة واستقرت علىٰ شط الوادي تنبت بسرعة.

فلا ينبغي، ولا يجوز أن تطلب الشَّفَاعة من غير الله، بل الَّذي ينبغي أن تُطْلب الشَّفاعة من الله، والله تعالىٰ يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾.

وجاء في النُّصُوص: أنَّ الله يخرج أقوامًا بعد شفاعة الشَّافعين من النَّار، لم يفعلوا خيرًا، يخرجهم بحثياتٍ ثلاثٍ[1].

ومن أجل ذلك فينبغي أن تُطلب الشَّفَاعة من الله وحده.

وبالله التَّوْفيق.

---

(١) كما في الحديث الذي سبق، وكما في الحديث الذي أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٩٤) (١١٩١٧) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «... **ثم يقول الله: شفعت الملائكة، وشفع الأنبياء، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين،** قال: **فيقبض قبضةً من النار** -أو قال: قبضتين- **ناس لم يعملوا لله خيرًا قط، قد احترقوا حتىٰ صاروا حُمَمًا.** قال: **فيؤتىٰ بهم إلىٰ ماءٍ يقال له: ماء الحياة، فيُصب عليهم، فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حَمِيل السيل...**». الحديث. وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٢٢٥٠).

وأما لفظ: «**ثلاث حثيات**»، فقد ورد في أقوامٍ لم يدخلوا النار أصلًا، كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢٤٣٧) وابن ماجة (٤٢٨٦)، من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وعدني ربي أن يُدخل الجنة من أُمَّتي سبعين ألفًا بلا حسابٍ عليهم، ولا عذابٍ، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حَثَيات من حثياته**»، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح ابن ماجة» (٤٢٨٦).

القاعدةُ الثالثةُ

❐ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَىٰ أُناسٍ مُتفرِّقِينَ فِي عِبادَاتِهِمْ: مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ المَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَحْجَارَ وَالأَشْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَقَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ وَلَم يُفرِّقْ بَيْنَهُمْ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وَدَلِيلُ المَلَائِكَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران:٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنبِيَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا

لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧].

وَدَلِيلُ الأَحْجَارِ وَالأَشْجَارِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٩، ٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِيْنَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ(١)، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ(٢)، كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْوَاطٍ...». الحَدِيثُ(٣).

---

(١) أنواط: جمع نَوْطٍ: وهو مصدرٌ سُمِّي به المنوطُ، سمِّيت بذلك لكثرة ما يُناط بها (أي: يُعلق) من السلاح لأجل التبرك.

(٢) أي: اجعل لنا شجرة نتبرك بها، كما للمشركين شجرة يتبركون بها، ويُعلقون عليها أسلحتهم.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «المشكاة» (٥٤٠٨).

التعليق

إنَّ مقتضىٰ هذه القاعدة أنَّ كلَّ ما دُعِيَ من دون الله من ملائكةٍ، وأنبياءَ، وصالحين، وأشجارٍ، وأحجارٍ، وغير ذلك كلُّها عاجزةٌ عن أن تُسْعِفَ عابديها بالمطلوب، أو تنجيهم من المهروب، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ أخبر أنَّ كلَّ مدعوٍّ من دونه لا يملك شيئًا وإنْ قلَّ، حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣، ١٤].

وقال جل من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ﴾ [الحج:٧٣].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الَّتي تُبيِّن عجز المدعوِّين من دون الله عَزَّوَجَلَّ، وضعفهم، وعدم قدرتهم علىٰ إعطاء مَنْ عبدهم شيئًا وإنْ قلَّ، ثمَّ إنَّهم أيضًا عاجزون عن جَلْب النَّفْع لأنفسهم، فكيف بغيرهم؟!

إذًا؛ فليس هناك ميزةٌ لأحدٍ دون أحدٍ في هذا الباب.

وبهذا يعلم أنَّ مَنْ عَبَدَ الملائكة، أو عبد الأنبياء كـ: (عيسىٰ، وعُزير)، هو وَمَنْ عَبَدَ الأحجار والأشجار سواء، كلُّهم مشركون بالله، والمعبودات من دون الله كلُّها عاجزةٌ أن تنفع عابديها بشيءٍ وإنْ قلَّ، وبالله التَّوفيق.

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

❑ **أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ.**

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

التعليق

إنَّ مشركي هذا الزَّمان زادوا علىٰ مشركي زمن النَّبيِّ ﷺ كثيرًا بحيث إنَّ الَّذين كانوا في زمن النَّبيِّ ﷺ كانوا يشركون في الرَّخاء، ويخلصون في الشِّدَّة، ويعتقدون أنَّ الشِّدَّة لا ينفع فيها إلَّا الله، لم يبلغ بهم شِرْكهم إلىٰ أنَّ أولئك المَدْعوِّين يخلقون أو يرزقون أو يحيون ميتًا، وإذا نظرت فيما هو مُدوَّنٌ في هذا الزَّمن من قِبل المشركين فإنَّك ترىٰ العجائب.

ولَقَدْ قرأت في كتابٍ يُسمَّىٰ «نفس الرحمن» أُتِيَ به من اليمن، قال فيه صاحبُهُ: «إنَّ رجلًا ضافه عبد القادر الجيلاني، وكان عبد القادر غائبًا، فأتىٰ مَلَك الموتِ، فقبض رُوحَ الضَّيف.

فقالت زوجة عبد القادر: لقَدْ أسأتَ إلىٰ عبد القادر حيث قبضتَ رُوحَ ضيفه وهو في بيته، وكان مَلَك الموت قَدْ جمع أرواحًا، فجعلها في زنبيلٍ، ثمَّ عرج بها إلىٰ الله ﷻ.

فلمَّا رجع عبد القادر، أخبرته زوجتُهُ بالحادث، فذهب ولحق مَلَك الموت وهو يحمل الأرواح في ذلك الزنبيل، ثمَّ إنَّه ضرب زنبيل مَلَك الموت، فسقط من يد ملك الموت، فطارت الأرواح إلىٰ أجسادها، وعادوا كلُّهم أحياء».

هذا الكلام قرأته في كتابٍ مطبوعٍ قبل حوالي أربعين سنةً، وما زلتُ أذكر اسمه «نفس الرحمن» فانظر إلىٰ هذه الرُّعونة! وماذا بلغ إليه حال الخُرافيِّين القُبُوريِّين الَّذين يُعظِّمون أُنَاسًا حتىٰ يجعلوهم آلهةً، ويدَّعون ذلك بأخبارٍ مكذوبةٍ كهذا الخبر.

وأذكر أنَّه جاء إلينا وجلس عندنا رجلان من الصُّومال، أحدهما اسمه عليٌّ ابن الشَّيخ عثمان زياد، وهذا درسنا عليه في اللُّغة، والآخر اسمه عبد الصَّمد، وكَمَّل دراسته في الجامعة الإسلاميَّة فيما أذكر، قالا: قرأنا علىٰ رجلٍ في الحبشة في كتاب «الزُّبد» لابن رسلان، فلمَّا بلغنا إلىٰ قوله:

والأَوْلِيَا ذَوو كراماتٍ رُتَب ... وما انتهوا لولدٍ من غير أب

فقال ذلك الرَّجل: بلىٰ قد انتهوا، فقالا له: كيف ذلك؟ قال: إنَّ فلانًا الشَّيخ الصُّوفيَّ كان معروفًا بالصَّلاح، وكان عقيمًا، فَسَخِر منه رجلٌ يعرفه.

فقال: إنَّ فلانًا حصل له ولدٌ فسمَّاه باسمي، وجمع أصحابه وذهب بهم

إلىٰ ذلك الشَّيْخ، فلمَّا جاؤوا إلىٰ الشَّيخ وجدوا أنَّ للشَّيخ ولدًا، فنظروا إليه، وعادوا مقتنعين بأنَّ للشَّيخ ولدًا، وبعد أن ذهبوا ذهب بالولد.

فانظر أيضًا ما في هذه الرُّعُونة، وأنَّ فلانًا حصل له ولدٌ، وهو لم يكن له ولدٌ، إلىٰ غير ذلك من الأخبار الباطلة، والحكايات الَّتي يُوهمون فيها النَّاس بصدق ما يَدَّعون من القدرة لأوليائهم علىٰ ما لا يَقدر عليه إلَّا الله، فنعوذ بالله من الضَّلال.

وبهذا تعرف مدىٰ ما بلغ إليه الخُرافيُّون القُبُوريُّون في هذا الزَّمن من المبالغة في الشِّرك الَّذي زادوا به علىٰ شرك أبي جهلٍ وأبي لهبٍ، وأمثالهم من مشركي العرب الَّذين قاتلهم رسول الله ﷺ، فاستباح دماءهم، وغنم أموالهم، وسبىٰ نساءهم وأولادهم.

ومع ذلك فإنَّ كثيرًا من النَّاس، بل مِمَّن يدعون العلم لم يخرجوهم من الإسلام، ولم يحكموا عليهم بالكفر مع أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول لنبيِّه ﷺ:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

فالشِّرك الأكبر يهدم الإسلام ويبطله كما يبطل الحَدَث طهارةَ المُتطهِّر.

وبالله التَّوفيق.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آله وصحبه.

والحمد لله ربِّ العالمين.

متن
نواقض الإسلام

تأليف

شيخ الإسلام المجدد

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

المتن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسْلامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ:

الأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

وَقَالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَمِنْهُ: الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَو لِلقَبْرِ.

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيهِمْ؛ كَفَرَ إِجْمَاعًا.

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الْمُشْرِكِينَ، أَو شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، كَفَرَ.

الرَّابِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ كَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ.

الْخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَو عَمِلَ بِهِ- كَفَرَ.

السَّادِسُ: مَنِ استَهْزَأَ بِشَيءٍ مِن دِينِ الرَّسُولِ أَوْ ثَوَابِ اللهِ أَوْ عِقَابِهِ- كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦].

السَّابِعُ: **السِّحْرُ**: وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالعَطْفُ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ، كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثَّامِنُ: **مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ.**

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

التَّاسِعُ: **مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرَ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُوَ كَافِرٌ.**

العَاشِرُ: **الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.**

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الْهَازِلِ وَالْجَادِّ وَالْخَائِفِ إِلَّا الْمُكْرَهَ، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا، وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ.

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

التعليق
على نواقض الإسلام

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

الناقض الأول
الشــرك

❑ اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسْلامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ:

الأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٦].

وَقَالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَمِنْهُ: الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَو لِلقَبْرِ.

التعليق

إنَّ من كتابات ومُؤلَّفات شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ النَّافعة: «**نواقض الإسلام العشرة**»، وإنَّ مِمَّا ينبغي للمسلم ويَتأكَّد عليه أن يَتعلَّم هذه النَّواقض حتَّىٰ لا يقع في شيءٍ منها وهو لا يشعر.

فأوَّل وأهمُّ تلك النَّواقض هو الشِّرْك بالله عَزَّوَجَلَّ، والأدلَّة عليه كثيرةٌ:

منها: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦].

ومنها: قوله عَزَّوَجَلَّ حكايةً عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

ومنها: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الدَّالَّة علىٰ أنَّ المشرك لا يُقبَل منه عملٌ صالحٌ، ولا تُغفر له سَيِّئةٌ، حتَّىٰ ولَوْ كان من أقرب النَّاس إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وأعظمهم جاهًا وأعلاهم مقامًا عنده، فقدْ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وقال عن الأنبياء في سورة الأنعام بعد أنْ ذكَر عددًا منهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله تبارك وتعالىٰ: أنا أغنىٰ الشُّركاء عن الشِّرْك؛ مَنْ عمل عملًا أشرك معي فيه**

غيري تركته وشِرْكَه»(١).

فهذه الأدلَّة كلُّها تدلُّ علىٰ أنَّ مَنْ أشرك بالله شركًا أكبر يدعوه من دون الله لجَلْب النَّفْع أو دَفْع الضُّرِّ، معتقدًا قدرته علىٰ ذلك، فإنَّه حينئذٍ يكون قَدْ خرج من الإسلام، ومن ذلك الذَّبْح لغير الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول لنبيِّه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢،١٦٣].

فمَنْ ذَبَح للجنِّ أو للقبر، فإنَّه يُعتَبر قَدْ أشرك شركًا أكبر، وَيَترتَّب عليه كفره بوحدانيَّة الله عَزَّ وَجَلَّ كفرًا يخرجه عن المِلَّة.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

الناقض الثاني
اتخـاذ الوسـائط

❑ **الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيهِمْ؛ كَفَرَ إِجْمَاعًا.**

التعليق

الأدلَّة علىٰ هذا النَّاقض هي الأدلَّة علىٰ النَّاقض الأوَّل، إذ إنَّ هذا يُعتبَر نوعًا من أنواع الشِّرْك، والمشركون الَّذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يعتقدون انفراد الله بالرُّبُوبيَّة، وأنَّه لا يُشاركه أحدٌ في خَلْق الخَلْق، ولا رزقهم، ولا إماتتهم، وإنَّما كانوا يعبدون معبوداتهم يزعمون أنَّها وسائط بينهم وبين الله، يطلبون منهم الشَّفاعة.

ولهذا، فقَدْ جاء في آياتٍ كثيرةٍ إلزام المشركين بأنَّ ما يفعلونه خطأٌ فاحشٌ، وكفرٌ بقدرة الله ﷻ واطِّلاعه وهيمنته، فإذا كانوا يعتقدون أنَّ الله هو الخالق، وأنَّ الآلهة الَّتي يدعونها لم تخلُق شيئًا، ولا تملك شيئًا، لا لها ولا لهم، فلماذا يعبدونها من دون الله؟ وقد قال الله ﷻ بعد أَنْ ذَكَر شيئًا من

صفاته وكمالاته في سورة فاطر: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣، ١٤].

وقال في سورة الفرقان: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٣].

وقال في سورة سبأ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ:٢٢].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

بل أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الزُّمر بأنَّهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر:١٣].

والآيات في هذا كثيرةٌ.

والمهمُّ: أنَّ الَّذين اتَّخذوا من دون الله وسائط يطلبون منهم الشَّفاعة، ويدعونهم من دون الله ويتوكَّلون عليهم، فإنَّهم يُعتبرون بذلك كافرين، كما في خاتمة آية (الزُّمر).

الناقض الثالث
ترك تكفير المشركين

☐ **الثَّالِثُ:** مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الْمُشْرِكِينَ، أَو شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، كَفَرَ.

التعليق

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ سمَّىٰ المشركين كُفَّارًا في غير ما آيةٍ، فمن ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

ففي هذه الآية جمع الله من أهل الكتاب والمشركين، وبَيَّن أنَّهم كُفَّارٌ، وأنَّ مأواهم جهنَّم.

وقال عن المشركين علىٰ انفرادٍ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

وقال عن اليهود: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٦٠، ١٦١].

وقال عن النَّصارىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

فمَنْ لم يُكفِّرْ هؤلاء الكافرين، فإنَّه يكون قَدْ كفر بخبر الله عَزَّ وَجَلَّ عنهم أنَّهم كافرون؛ ولذلك يُعتَبر كافرًا من أجل ذلك.

الناقض الرابع
اعتقاد أن هدي غير النبي أكمل من هديه

❑ **الرَّابِعُ: مَنِ اعتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ، كَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ؛ فَهُو كَافِرٌ.**

التعليق

من مُقتضيات الإيمان برسالة مُحمَّدٍ ﷺ: الإيمان بأنَّ هَدْيه أكمل هديٍ، وأنَّ حُكْمَه أحسن حكمٍ.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

الاستفهام في هذه الآية استفهامٌ استنكاريٌّ، معناه: أنَّه لا أحدَ أحسن حكمًا من حكم الله تعالىٰ.

وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ في مُستهلِّ خطبته الَّتي كان يبدأُ بها: «**وأحسنُ الهديِ، هديُ مُحمَّدٍ ﷺ**»(١).

فإذا كان خير الهدي هديه ﷺ، فإنَّ الإيمان به يقتضي ذلك، أي: أن يعتقد المؤمن أنَّ خير الهدي هديه ﷺ؛ ومَنْ لم يعتقد ذلك، بل اعتقد أنَّ هدي غيره أحسن من هديه، أو حكم غيره أفضل من حُكْمِه، فإنَّه حينئذٍ قَدْ كَفَر بما جاء به ﷺ.

فالَّذين يُفضِّلون حكم الطَّواغيت علىٰ حكمه يُعتبَرون كُفَّارًا من أجل ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٨) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا، ومسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا بلفظ: «**وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ**».

الناقض الخامس
بغض شـيء مما جـاء به الرسـول ﷺ

❐ **الْخَامِسُ:** مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَو عَمِلَ بِهِ، كَفَرَ.

التعليق

فبُغْض ما جاء به الرَّسُول ﷺ من الأحكام والشَّرائع يُعتبَر كفرًا، وإنَّ الواجب علينا مَحبَّتُهُ ﷺ ومَحبَّة كلِّ ما جاء به.

وأن نعتقد أنَّ كلَّ ما جاء به حكمًا أنَّه أفضل الأحكام، وإِنْ كان خُلُقًا بأنَّه أفضل الأخلاق، وإِنْ كان عبادةً بأنَّه أفضل العبادات.

فبُغْض ما جاء به، أو بُغْض بعض ما جاء به دليلٌ علىٰ النِّفاق، والعياذ بالله.

فمَنْ وجد هذه الخليقة في نفسه، فعليه أن يعمل علىٰ إزالتها، فيدعو الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُذهبها عنه، وأن يُبدِّله ببغضها حبًّا، وبالاستخفاف تعظيمًا، وبالكره لها رغبةً إليها.

الناقض السادس
الاستهزاء بشيء من دين الرسول ﷺ

❑ **السَّادِسُ: مَنِ استَهْزَأَ بِشَيءٍ مِن دِينِ الرَّسُولِ أَوْ ثَوَابِ اللهِ أَوْ عِقَابِهِ، كَفَرَ.**

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦].

التعليق

فالاستهزاء بدين الرَّسُول ﷺ، أو ثوابه، أو عقابه كُفْرٌ.

فمَنِ اسْتَهزأ باللِّحية، أو استهزأ بشيءٍ من أحكام الدِّين، فإنَّه يُعتبَر قَدْ كَفَر وخرج من الإسلام.

وقَدْ جاء في الحديث: أنَّ بعض المنافقين قال حينما كانوا سائرين إلىٰ تبوك: «ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللِّقاء»، يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه القُرَّاء.

فأنزل الله هذه الآيات: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦]»[١].

وإنَّ من أهل العصر مَنْ نسمع منه مثل هذه الكلمة أو أشدَّ، ولا يبالي، نسأل الله العفو والعافية.

(١) انظر: «المعجم الكبير» للطبراني (١٩/ ٨٥) (١٥٨٤٤).

الناقض السابع
السـحر

❐ **السَّابِعُ: السِّحْرُ**: وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالعَطْفُ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ، كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

التعليق

لقَدْ أخبر الله ﷻ أنَّ السِّحر تَعلُّمه كُفْرٌ، ويلزم من ذلك أنَّ العمل به كُفْرٌ.

والله ﷻ يقول: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ

خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢].

صريح هذه الآية يدلُّ علىٰ أنَّ تَعلُّمَ السِّحر كُفرٌ، وأنَّ العمل به كُفْرٌ؛ لقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، فدلَّ هذا علىٰ أنَّ تعليم النَّاس السِّحْر يُعتبَر كُفْرًا.

وقال: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ﴾.

فدلَّ ذلك علىٰ أَنَّ تعلُّم السِّحر كُفْرٌ.

وفي آخر الآية، قال جل من قائل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾.

أي: ليس له نصيبٌ في الآخرة، بل هو من أهل النَّار، ومِمَّنْ يَستحقُّون العذاب، فهذه الآية مُصرِّحةٌ بكُفرِ مَنْ تعلَّم السِّحر أو عمل به، سواء كان سِحْرُهُ صرفًا أو عطفًا أو غير ذلك.

وقَدْ ذَهَب جمهور العلماء إلىٰ أنَّ السِّحْر كُفْرٌ، إلَّا أنَّ الشَّافعيَّ حُكِيَ عنه تفصيلٌ، فقَدْ قال: «نقول للسَّاحر: صِفْ لنا سِحْرك»[1].

---

(١) ونص كلام الإمام الشافعي هو: «والسحر: اسم جامع لمعانٍ مختلفةٍ، فيقال للساحر: صِف السحر الذي تَسْحر به، فإن كان ما يَسْحر به كلام كفرٍ صريحٍ، اسْتُتِيب منه، فإن تاب وإلا قتل وأخِذ ماله فيئًا.
وإن كان ما يسحر به كلامًا لا يكون كفرًا معروفًا، ولم يضرَّ به أحدًا، نُهِيَ عنه؛ فإن عاد عُزِّرَ». «الأم» (١/ ٢٥٦).

وأقول: إنَّ القول بتكفير السَّاحر بدون تفصيلٍ، هذا هو الحقُّ لما ذكر في الآية، ولما ورد أنَّ حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت لها جاريةٌ فسَحَرتْهَا، فأمرت بقَتْلها(١).

وفي حديث بجالة قال: «كَتَبَ عُمرُ بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن اقْتُلوا كُلَّ سَاحِرٍ وسَاحِرةٍ. قال: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَواحرَ»(٢).

ومِمَّا دَلَّت عليه الآثار أيضًا -بالإضافة إلىٰ الآية السَّابقة- أنَّ السِّحْر لا يستطيع أن يفعله إلَّا كافرٌ.

ومن ذلك: الأثر الَّذي رواه ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «قَدِمَتْ عليَّ امرأةٌ من أهل دُومة الجَنْدل، جاءت تبتغي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مَوْته، حَدَاثة ذلك(٣) تسأله أشياء دخلت فيه من أمر السِّحْر، ولم تعمل به».

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لعُروة: «يابن أُختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيَشفيها، فكانت تبكي حتَّىٰ إنِّي لأرحمها، وتقول: إنِّي أخاف أَنْ أكون قَدْ هلكت: كان لي زوجٌ، فغاب عنِّي، فدخلت عليَّ عجوزٌ، فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك، فلمَّا كان اللَّيل، جاءتني بكلبين أسودين، فَرَكِبَتْ أحدَهما، وركِبتُ الآخرَ، فلم يكن شيءٌ حتَّىٰ وقفنا ببابل، وإذا برجلين مُعلَّقين بأرجلهما، فقالا: ما جاء بك؟

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٤) عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة بلاغًا، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٨/ ١٣٦) (١٦٩٤١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١٩٠) (١٦٥٧)، وأبو داود في «سننه» (٣٠٤٣).

(٣) أي: علىٰ قرب عهدٍ به.

قلت: نَتعلَّم السِّحْر!

فقالا: إنَّما نحن فتنةٌ، فلا تكفري! فارجعي!

فأبيتُ، وقلتُ: لا!

قالا: فاذهبي إلىٰ ذلك التَّنُّور، فبُولِي فيه.

فذهبتُ، ففزعتُ ولم أفعل، فرجعتُ إليهما.

فقالا: أفعلتِ؟

فقلت: نعم!

فقالا: هل رأيتِ شيئًا؟

فقلت: لم أرَ شيئًا!

فقالا: لم تفعلي! ارجعي إلىٰ بلادك ولا تكفري!

فأَرْبَبْتُ وأبيتُ.

فقالا: اذهبي إلىٰ ذلك التَّنُّور، فبُولي فيه.

فذهبتُ، فاقشعررتُ وخِفتُ؛ ثمَّ رجعتُ إليهما، وقلتُ: قَدْ فعلتُ!

فقالا: فما رأيتِ؟

فقلت: لم أرَ شيئًا!

فقالا: كذبتِ، لَمْ تفعلي، ارجعي إلىٰ بلادك ولا تكفري، فإنَّك علىٰ رأس أمرك!

فَأَرْبَبْتُ[1] وأبيتُ.

فقالا: اذهبي إلىٰ التَّنُّور، فبُولي فيه.

فذهبتُ إليه، فبلتُ فيه؛ فرأيت فارسًا مُقنَّعًا بحديدٍ خرج منِّي، فذهب إلىٰ السَّمَاء، وغاب حتَّىٰ ما أراه، فجئتهما.

فقلت: قَدْ فعلتُ!

فقالا: فما رأيتِ؟

قلت: رأيتُ فارسًا مُقنَّعًا خرج منِّي، فذهب إلىٰ السَّمَاء، وغاب حتَّىٰ ما أراه.

فقالا: صدقتِ، ذلك إيمانك خرج منكِ! اذهبي!

فقلت للمرأة: والله، ما أعلم شيئًا، وما قالا لي شيئًا!

فقالت: بلىٰ، لم تريدي شيئًا إلَّا كان، خذي هذا القمح، فابذري!

فبذرتُ، وقلتُ: أطلعي، فأطلعت.

وقلت: أحقلي، فأحقلت[2].

ثمَّ قلت: أفركي، فأفركت[3].

ثمَّ قلت: أيبسي، فأيبست.

---

(١) **أرب بالمكان**: لزمه ولم يبرحه، أي: لزمتُ مكاني، ولم أرجع.

(٢) **أحقل الزرع**: تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه.

(٣) أي: كوني فريكًا، وهو حب السنبلة إذا اشتد وصلح أن يفرك.

ثمَّ قلت: أطحني، فأطحنت.

ثمَّ قلت: أخبزي، فأخبزت.

فلمَّا رأيت أنِّي لا أريد شيئًا إلَّا كان، سُقِطَ في يدي، وندمتُ -والله يا أم المؤمنين- ما فعلتُ شيئًا، ولا أفعله أبدًا».

ورواه ابن أبي حاتمٍ عن الرَّبيع بن سليمان به مُطوَّلًا كما تَقدَّم، وزاد بعد قولها: «ولا أفعله أبدًا»: «فسألت أصحاب رسول الله ﷺ حَدَاثَة وفاة رسول الله ﷺ -وهُمْ يومئذٍ متوافرون- فما دَرُوا ما يقولون لها، وكلُّهم هَابَ وخَافَ أن يُفتيها بما لا يعلمه إلَّا أنَّه قَدْ قال لها ابنُ عبَّاسٍ أو بعض مَنْ كان عنده: لو كان أبواك حَيَّين أو أحدهما لكان يكفيانك»(١).

وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّه لا يَستطيع السِّحر إلَّا كافرٌ: الشَّياطين الَّتي تكون بالسَّحَرة في المَسْحورة تقول: «إنَّ فلانًا الَّذي أمرنا، نحن لا نستطيع الخروج منه».

ويصفون الشَّياطين حينما يُعلِّمونه السِّحْر بأنَّهم يشترطون عليه أن يدخل بالمصحف الحَمَّام، يبول عليه وينتعل به أربعين يومًا، فهذا كلُّه يدلُّ علىٰ أنَّ السَّاحر لا يستطيع السِّحر إلَّا بعد أن يكفر.

ومن هنا نقول: إنَّ السِّحْر كفرٌ كلُّه، وإنَّه يجب قَتْل السَّاحر حدًّا؛ حتىٰ لو أظهر التوبة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٣٩٩، ٤٤٠)، وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٦٠، ٣٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٢).

❑ **علمًا بأنَّ السِّحْر ينقسم إلى قسمين:**

١- سحر تأثير. ٢- سحر تخييل.

۞ **فأمَّا سِحْر التَّأثير،** فهو الَّذي يحصل به للمسحور تَخيُّلاتٌ وأشياءُ، ويَتأثَّر به حتَّىٰ لا يكاد يستقرُّ له قرارٌ، ورُبَّما إنَّه تأتي عليه سنواتٌ وهو ما طعم لذَّة الرَّاحة، ولا نعمة العقل، ولو ذهب به إلىٰ المستشفىٰ وكشفوا عليه كشفًا طبيًّا لَقرَّروا بأنَّه ليس فيه شيءٌ.

ومن هذا ما ورد أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُحِرَ، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سُحر النَّبيُّ ﷺ حتَّىٰ إنَّه ليُخيَّل إليه أنَّه يفعل الشَّيء وما فعله، حتَّىٰ إذا كان ذات يوم -وهو عندي- دعا الله دعاءً، ثمَّ قال: «**أشعرت يا عائشة أنَّ الله قَدْ أفتاني فيما استفتيته فيه؟**».

قلت: وما ذاك يا رسول الله؟

قال: «**جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، ثمَّ قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرَّجل؟**

قال: مَطبوب(١).

قال: ومَنْ طَبَّه؟

قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، من بني زريق.

قال: في ماذا؟

---

(١) أي: مسحور.

قال: في مُشْط ومُشَاطة[١]**، وجُفِّ طَلْع نَخْل ذَكَر**[٢].

قال: فأين هو؟

قال: في بئر ذي أَرْوَان»[٣].

قال: فذهب النَّبيُّ ﷺ في أُناسٍ من أصحابه إلىٰ البئر، فنظر إليها وعليها نخلٌ، ثمَّ رجع إلىٰ عائشة، فقال: «**والله، لكأنَّ ماءها نُقاعة الحنَّاء، ولكأنَّ نَخْلها رؤوس الشَّياطين**».

قلت: يا رسول الله، أفأخرجته؟

قال: «**لا، أمَّا أنا فَقَدْ عافاني الله وشفاني، وخَشيت أن أُثير علىٰ المسلمين منه شرًّا**»[٤].

❁ **أمَّا سحر التَّخْييل:** فهو ما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ عن السَّحَرة الَّذين كانوا مع فرعون، قال عَزَّ من قائل: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦].

---

(١) **المشاطة:** هي الشعر الذي يَسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه.

(٢) أي: وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه، ويطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ، ولذا قيده في الحديث بقوله: «**طلع نخل ذكر**».

(٣) بئر في المدينة في بستان لأحد اليهود.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٦٦)، ومسلم (٢١٨٩).

الناقض الثامن
مظاهرة المشـركين على المسـلمين

☐ **الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ.**

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

التعليق

مَنْ أعان المشركين والكافرين واليهود والنَّصارىٰ علىٰ المسلمين، فهذا يُعَدُّ كافرًا، وعَملُهُ كُفْرٌ؛ لأنَّ مظاهرة المشركين علىٰ المسلمين دليلٌ علىٰ تَولِّيهم دون المسلمين.

والتَّولِّي دليلٌ علىٰ مَحبَّة مِلَّتهم الكُفريَّة، وإيثارها علىٰ الإسلام، ولا شكَّ أنَّ هذا كفرٌ موجبٌ للخروج من المِلَّة -والعياذ بالله- وليس المراد بِتولِّي المشركين والكُفَّار التَّعاون معهم علىٰ شيءٍ مُحرَّمٍ مِمَّا حرَّمه الإسلام وَمَنَعه،

وقَدْ كتبتُ في هذا الموضوع بشيء من التَّفصيل(١).

ذلك أنَّ بعض النَّاس جعل التَّعاون مع أقوامٍ من الكُفَّار علىٰ منع الإرهاب الَّذي حرَّمه الله ورسوله، جعلوا ذلك كفرًا وارتدادًا، والحقُّ الَّذي يجب المصير إليه أنَّه إذا عرضت علينا فئةٌ من فئات الكفر أن نتعاون معها وتتعاون معنا علىٰ محاربة شيءٍ مِمَّا يمنعه الإسلام، ويأمر بمحاربته ومنعه، فإنَّ لنا أن نفعل ذلك.

فلو عُرض علينا مَنْع الزِّنا مثلًا، أو محاربة الإرهاب، الَّذي هو التَّفْجيرات الَّتي يقوم بها بعض النَّاس من المسلمين، ويزعمون أنَّ ذلك عبادةٌ، قلنا: نتعاون معهم علىٰ ذلك.

لكن، إذا عرضت علينا فئةٌ من فئات الكُفَّار أن نحارب الحِجَاب الَّذي أمر الله به، أو نحارب اللِّحَىٰ الَّتي أمر الله بإعفائها، أو أي شيءٍ من مظاهر الإسلام، أو طلبت منَّا هذه الفئة من الكفار أن نتعاون معها علىٰ المسلمين، فهذا لا شكَّ أنَّه لا يجوز لنا، بل مَنْ فَعَله وتعاون معهم فيه، وظَاهَرَهُمْ عليه، فإنَّه يُعدُّ مُتولِّيًا لأهل الكُفْر، ومُتَظاهرًا معهم علىٰ أهل الإسلام؛ وهذا نوعٌ من أنواع الرِّدَّة.

---

(١) انظر رسالة: «البيان في الرد علىٰ مؤلف كتاب التبيان في كفر من أعان الأمريكان» بـ«الفتاوىٰ الجلية عن المناهج الدعوية» (٢/ ٢١٥).

الناقض التاسع
اعتقاد أن أحدًا يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ

❑ **التَّاسِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرَ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ**

التعليق

إنَّ شريعة مُحمَّدٍ ﷺ شريعةٌ عامَّةٌ لجميع أهل الأرض؛ إنسهم وجِنِّهم؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

والنَّبيُّ ﷺ قال: «**أُعْطيت خمسًا لم يُعطهنَّ أحدٌ قبلي -ومنها: وكان النَّبيُّ يُبعث إلىٰ قومه خاصَّةً، وبُعِثت إلىٰ النَّاس جميعًا**»(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

ورُبَّما أنَّ بعض الجُهَّال يعتقد جواز الخروج عن شريعة مُحمَّدٍ ﷺ كما حصل للخضر الخروج عن شريعة موسىٰ ﷺ، فهذا يدلُّ علىٰ جَهْله بعموم بَعْثة مُحمَّدٍ ﷺ وشِرْعتِهِ، وأنَّه لا يخرج عنها أحدٌ أبدًا؛ وأنَّ مَنْ تبعه وقَبِلَ ما جاء به، نجا، ومَنِ ادَّعَىٰ الخروجَ عن شريعته، وزعم أنَّ ذلك جائزٌ له كبعض غلاة المُتصوِّفة، فإنَّ ذلك يُعَدُّ كُفْرًا ورِدَّةً عن شريعته صلوات الله وسلامه عليه.

الناقض العاشر
الإعراض عن دين الله تعالى

❐ **العَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ، لَا يَتَعَلَّمُهُ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.**

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

التعليق

إنَّ الإعراض عن دين الله وعدم تعلُّمه والعمل به حتَّىٰ ولو عرض عليه؛ كترك شهادة: «أن لا إله إلَّا الله»، أو قولها باللِّسان وعدم تعلُّم معناها مع الإتيان بمناقضته لها، فإذا دُعِيَ إلىٰ أَنْ يتعلَّم معنىٰ «لا إله إلَّا الله» حتَّىٰ لا يقع فيما يُناقضها، أَبَىٰ وأعرض واستكبر، وهو مع ذلك واقعٌ فيما يناقضها، كعبادة الأولياء والإتيان إلىٰ السَّحَرة والمُنَجِّمين، أو الطَّواف بالقبور وسَوْق النَّذْر لها، أو يَمتنع عن أداء الصَّلاة الَّتي أمر الله بها، فهي عمود الإسلام، فهذا الإعراض عن أصول الدِّين الَّتي لا يكون الإنسان مسلمًا إلَّا بقبولها والإتيان بها، وتَعلُّمها والعمل بها.

فمَنْ أعرض عن هذه الأصول والقواعد، وأَبَىٰ أن يقبلها، وأَبَىٰ أن يَتعلَّمها، وأَبَىٰ أَنْ يعمل بها، فإنَّه يكون كافرًا كفرَ إعراضٍ.

□ وقَدْ قسم الكفر إلى أربعة أقسام:

١- كفر الإعراض الكُلي عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

٢- كفر التَّكذيب؛ ككفر كُفَّار قريش الذين كانوا يعتقدون لله شريكًا وأن الاولياء لهم مقامًا عند الله فاتخذوهم وسائط وعبدوهم من أجل ذلك.

٣- كفر العِنَاد والاستكبار، ولو مع التصديق، ككفر إبليس، وككفر فرعون وقومه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

٤- كفر الشك والظن كمن شك في صدق الرسل أو اليوم الآخر فإنه يكفر بذلك.

٥- النِّفاق الاعتقاديُّ، فيمكن أن يُعدَّ نوعًا خامسًا، ويمكن أن يُقال: إنَّه داخلٌ في كفر التَّكْذيب، لكنَّهم أظهروا التَّصْديق، وأبطنوا التَّكْذيب.

□ وقَدْ عَدَّ أنواعَ الكفر أربعًا كلٌّ من:

الصَّنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العُدَّة».

والشَّيخ حافظ حَكَمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصيدته الدَّاليَّة، «الجوهرة الفريدة».

وعدَّه شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسةً؛ ولكن الخامس يمكن أن يكون داخلًا في التَّكْذيب كما قلت؛ هذا الَّذي يظهر لي.

الهازل والجاد في هذه النواقض سواء ما عدا المكره

❑ وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَينَ الْهَازِلِ وَالْجَادِّ والْخَائِفِ إِلَّا الْمُكْرَهَ، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ.

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

التعليق

هذه الخاتمة الَّتي أوصىٰ بها رَحِمَهُ اللَّهُ بأن يحذَر الإنسان المسلم من الوقوع في شيءٍ من هذه النَّواقض؛ بأَنْ يقوله أو يفعله جادًّا، أو هازلًا، إذ إنَّ مَنْ قال شيئًا من هذه النَّواقض علىٰ سبيل الهزل يدلُّ فِعْلُهُ علىٰ الاستخفاف بالشَّريعة، والتَّجرُّؤ علىٰ ما يناقضها، فلا يجوز لمسلمٍ أَنْ يقول شيئًا من الأقوال الشِّرْكيَّة علىٰ سبيل الهزل، أو يستهزئ بشيءٍ من دين الرَّسُول ﷺ،

أو ثوابه، أو عقابه علىٰ سبيل الهزل، وكذلك في جميع النَّوَاقض، لا يجوز لأحدٍ أن يستخفَّ بذلك ويعمل شيئًا منه، فإنَّ ذلك مثل ما يُقال: «لعبٌ بالنَّار»؛ أي: لعظم خطورته، وكبر جنحه وإثمه، فالحذرَ الحذرَ.

أمَّا المُكْرَه فقَدْ ورد فيه نصٌّ في كتاب الله حين كان عمار بن ياسر تحت العذاب، وما زالوا به حتَّىٰ ذكر آلهتهم بخيرٍ، فجاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ وقال الصَّحابة: كَفَرَ عَمَّارٌ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**ما كفر عَمَّارٌ، إنَّ عَمَّارًا مُلِئ إيمانًا مِن أَخْمَصه إلىٰ مُشَاشه**»، فأنزل الله -عزَّ وعلا- الآية في سورة النَّحْل: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]، الآية»[1].

وقول الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والخائف**»؛ يعني: أنَّ الخائف مُجرَّد خوفٍ لا يُبَاح له، ولا يُعَدُّ مُكْرهًا إلَّا إذا أحسَّ بعذابٍ أو هُدِّد بالقَتْل، أو ما أشبه ذلك.

لكن هناك مسألةٌ ينبغي التَّنْبيه عليها، وهي: هل الإكراه يكون عذرًا في القول والفعل؟ أو في القول فقط؟

هذا محلُّ نظرٍ، إذ إنَّ عَمَّار بن ياسر ما سجد لآلهتهم، ولا طاف بها، ولا ذبح لها؛ ولكن قال بلسانه قولًا، فهل الفعل يكون مثل ذلك؟

مَنْ طُلب منه أن يسجد لصنمٍ، أو يفعل شيئًا من الأفعال الَّتي تُعَدُّ شِرْكًا أكبر، فهل يجوز له ذلك تَرَخُّصًا بفعل عَمَّارٍ الَّذي نزلت فيه الآية؟

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٠٥، ٦٠٦)، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيحة» (٨٠٧). وقوله: «من **أَخْمَصه إلىٰ مُشَاشه**» يعني: من قَرْنه إلىٰ قدمه، وهي في الأصل: رؤوس العظام؛ كالمرفقين، والكتفين، والركبتين.

فِعْلُ عَمَّارٍ الَّذي حصل منه، إنَّما هو بالقول، وحديث: «**دخل الجنَّة رجلٌ في ذبابٍ، ودخل النَّار رجلٌ في ذبابٍ**»(١) إنْ صحَّ، فهو دليلٌ علىٰ التَّفْريق بين القول والفعل، إذ إنَّ الآخر الَّذي قَرَّب ذبابًا يحتمل أن يكون مُكْرهًا، ويحتمل أنَّه يعتقد جواز ذلك.

فإن كان يعتقد جواز ذلك، فإنَّه دخل النَّار بسبب اعتقاده، وإنْ كان مُكْرهًا، فإنَّه يكون كلُّ ما قَدَّمه المسلم لغير الله -وإنْ كان قليلًا كالذُّباب أو كبيرًا كالجَمَل- فإنَّه يُعتبَر بذلك قَدْ خرج من الإسلام، واستحقَّ النَّار؛ لأنَّ الإكراه إنَّما يكون في القول دون الفعل.

وبالله التَّوْفيق.

وصلَّى الله وَسلَّم على نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٥، ١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣) موقوفًا علىٰ سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الضعيفة» (٥٨٢٩).

التعليق على

تعليقات سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله على «نواقض الإسلام»

للإمام المُجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

تعليقات الإمام ابن باز على نواقض الإسلام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ مَنْ لا نبيَّ بعده، وعلىٰ آله وأصحابه ومَنِ اهتدىٰ بِهُداه.

أمَّا بعدُ:

فاعلم -أيُّها المسلمُ- أنَّ اللهَ سبحانه أَوْجَبَ علىٰ جميع العِبَاد الدُّخُولَ في الإسلام، والتَّمسُّكَ به، والحذر مِمَّا يخالفه، وبعث نَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ للدَّعوة إلىٰ ذلك، وأخبر ﷻ أنَّ مَنِ اتَّبعه فَقَدِ اهتدىٰ، ومَنْ أعرض عنه فَقَدْ ضلَّ، وحذَّر في آياتٍ كثيراتٍ من أسباب الرِّدَّة، وسائر أنواع الشِّرْك والكفر، وذكر العلماء -رحمهم الله- في باب حكم المُرتدِّ أنَّ المسلم قَدْ يرتدُّ عن دينِهِ بأنواعٍ كثيرةٍ من النَّوَاقض الَّتي تُحِلُّ دَمَه ومالَه، ويكون بها خارجًا من الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعًا عشرة نواقض، ذَكَرها الشيخ الإمام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب وغيره من أهل العلم رحمهم الله جميعًا، ونذكرها لك فيما يلي علىٰ سبيل الإيجاز؛ لتَحْذَرها وتُحذِّر منها غيرك، رجاءَ السَّلامة والعافية منها، مع توضيحاتٍ قليلةٍ نذكرها بعدها:

❑ **الأوَّل:** الشِّرك في عبادة الله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢]، ومن ذلك: دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنَّذْر والذَّبْح لهم كمَنْ يذبح للجنِّ أو للقبر.

❑ **الثَّاني:** مَنْ جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشَّفاعة، ويتوكَّل عليهم، فقَدْ كَفَر إجماعًا.

❑ **الثَّالث:** مَنْ لم يُكفِّر المشركين، أَوْ شكَّ في كفرهم، أو صَحَّح مذهبهم- كَفَر.

❑ **الرَّابع:** مَنِ اعْتَقد أنَّ غير هَدْي النَّبيِّ ﷺ أكمل من هَدْيه، أو أنَّ حُكْم غيره أحسن من حكمِهِ، كالَّذي يُفضِّل حُكْم الطَّواغيت علىٰ حكمِهِ، فهو كافرٌ.

❑ **الخامس:** مَنْ أبغض شيئا مِمَّا جاء به الرَّسُول ﷺ ولو عمل به، فَقَدْ كَفَر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد:٩].

❑ **السَّادس:** مَنِ اسْتَهزأ بشيءٍ من دين الرَّسُول ﷺ، أو ثوابِهِ، أو عقابِهِ، كَفَر.

والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦].

❑ **السَّابع:** السِّحْر، ومنه الصَّرْف والعَطْف، فمَنْ فَعَله أو رَضِي به كَفَر.

والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة:١٠٢].

❑ **الثَّامن:** مظاهرة المشركين ومعاونتهم علىٰ المسلمين، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة:٥١].

❑ **التَّاسع:** مَنِ اعْتَقد أنَّ بعضَ النَّاس يَسَعُه الخروج عن شريعة مُحمَّدٍ ﷺ - كما وسع الخضر الخُرُوج عن شريعة موسىٰ عليه السلام- فهو كافرٌ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

❑ **العاشر:** الإعراض عن دين الله، لا يَتعلَّمه ولا يعمل به، والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة:٢٢].

ولا فَرْق في جميع هذه النَّوَاقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المُكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا.

فينبغي للمسلم أن يَحْذرها، ويخاف منها علىٰ نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه، وصَلَّىٰ الله علىٰ خير خَلْقه مُحمَّدٍ وآله وصحبه وَسلَّم. انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

ويدخل في القسم الرَّابع: مَنِ اعْتَقَد أنَّ الأنظمة والقوانين الَّتي يَسنُّها النَّاس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنَّها مساويةٌ لها، أو أنَّه يجوزُ التَّحَاكم إليها، ولو اعتقد أنَّ الحُكْم بالشَّريعة أفضل، أو أنَّ نظام الإسلام لا يصلح تطبيقُهُ في القرن العشرين، أو أنَّه كان سببًا في تَخلُّف المسلمين، أو أنَّه يُحْصر في علاقة المرء بربِّه، دون أن يَتدخَّل في شؤون الحياة الأخرىٰ.

ويدخل في الرَّابع أيضًا: مَنْ يرىٰ أنَّ إنفاذ حكم الله في قَطْع يد السَّارق أو رَجْم الزَّاني المُحْصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضًا كلُّ مَنِ اعتقد أنَّه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإنْ لم يَعتقد أنَّ ذلك أفضل من حكم الشَّريعة؛ لأنَّه بذلك يكون قَدِ اسْتَباح ما حَرَّمه الله إجماعًا، وكلُّ مَنِ اسْتَباح ما حَرَّم الله مِمَّا هو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة؛ كالزِّنا، والخمر، والرِّبا، والحكم بغير شريعة الله- فهو كافرٌ بإجماع المسلمين.

ونسأل الله أن يُوفِّقنا جميعًا لما يرضيه، وأن يهدينا وجميع المسلمين صراطه المستقيم، إنَّه سميعٌ قريبٌ، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وآله وصحبه.

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

المقدمة

الحَمْدُ لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ مَنْ لا نبيَّ بعده، وعلىٰ آله وأصحابه ومَنِ اهتدىٰ بِهُداه.

أمَّا بعدُ:

فاعلم -أيُّها المسلمُ- أنَّ الله سبحانه أوجب علىٰ جميع العباد الدُّخُولَ في الإسلام، والتَّمسُّكَ به، والحذر مِمَّا يخالفه، وبعث نَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ للدَّعوة إلىٰ ذلك، وأخبر ﷿ أنَّ مَنِ اتَّبعه فَقَدِ اهتدىٰ، ومَنْ أعرض عنه فَقَدْ ضلَّ، وحذَّر في آياتٍ كثيراتٍ من أسباب الرِّدَّة، وسائر أنواع الشِّرْك والكفر، وذكر العلماء -رحمهم الله- في باب حكم المُرتدِّ أنَّ المسلم قَدْ يرتدُّ عن دينِهِ بأنواعٍ كثيرةٍ من النَّوَاقض الَّتي تُحِلُّ دَمَه ومالَه، ويكون بها خارجًا من الإسلام.

ومن أخطرها وأكثرها وقوعًا عشرة نواقض، ذَكَرها الشيخ الإمام مُحمَّد ابن عبد الوَهَّاب وغيره من أهل العلم رحمهم الله جميعًا، ونذكرها لك فيما يلي علىٰ سبيل الإيجاز؛ لتَحْذَرها وتُحذِّر منها غيرك، رجاءَ السَّلامة والعافية منها، مع توضيحاتٍ قليلةٍ نذكرها بعدها.

التعليق

يقول الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المُقدِّمة: «فاعلم أيُّها المسلم أنَّ الله سبحانه أَوْجَب على جميع العباد الدُّخُول في الإسلام، والتَّمسُّك به، والحذر مِمَّا يخالفه...».

من ذلك: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٢٠٨﴾ [البقرة:٢٠٨].

وقوله: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران:٨٥]، فقال بخسارِ كلِّ مَنْ دان بغير الإسلام.

وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠﴾[آل عمران:٩٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ ۝٩١﴾[آل عمران:٩١].

إذًا، فالإسلام هو الدِّين الحقُّ الَّذي لا يَقْبل اللهُ من أحدٍ دينًا سواه، ثمَّ إنَّ لهذا الإسلام نواقض، من أشهرها النَّواقض الَّتي ذَكَرها شيخ الإسلام مُحمَّد ابن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

الناقض الأول
الشـــرك

❐ «فالأوَّل من هذه النَّواقض: الشِّرك في عبادة الله».

التعليق

والدَّليل علىٰ ذلك: أنَّ الله أخبر أنَّه لا يغفر الشِّرك، فالمشرك لا يُغْفر له ذنبٌ، ولا تُقبَل منه حَسَنةٌ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨]، وكما قال عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢]، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥]، وكما قال سبحانه: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

والشِّرك الأكبر حقيقتُهُ: الدُّعاء لغير الله؛ سواء كان دعاءً للأموات والمقبورين، أو دعاءً للأصنام، أو دعاءً للملائكة، أو دعاءً للأنبياء والمرسلين، كلُّ ذلك شركٌ بالله، موجبٌ لإحباط العمل والخُلُود في النَّار.

ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦﴾ [فاطر:٣٦]. إلىٰ غير ذلك من الآيات الدَّالَّة علىٰ ذلك، وَقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**كلُّكُم يدخلُ الجنَّة إلَّا مَنْ أَبَىٰ**» قالوا: ومَنْ يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ أطاعني دخل الجنَّة، ومَنْ عصاني فقَدْ أَبَىٰ**»(١).

وطاعة النَّبيِّ ﷺ تَتلخَّص في كونه يُطَاع في كلِّ ما أَمَر به، وأَوَّل أوامره ﷺ هو عبادة الله وحده دون سواه، فمَنْ أشرك مع الله غيره فَقَدْ عصىٰ الله ورسوله؛ لأنَّ الله ﷻ بعث نَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ بالإسلام، وأوَّله وأهمُّ شيءٍ فيه: الإيمان بالله، والكفر بالطَّاغوت، ومَنْ عَبَد مع الله غيره فإنَّه لم يؤمن بوحدانيَّة الله ﷻ، ولم يكفر بالطَّاغوت الَّذي أَمَر الله بالكفر به.

وهذا النَّاقض له أَدلَّةٌ كثيرةٌ، وذُيُولٌ ومغازٍ يغزو بها الشَّيطان المسلمين ليدخلهم بها في الشِّرك حتَّىٰ يكونوا مُعرَّضين للانسلاخ من دين الله، وتحقيقُهُ بالرُّجُوع إلىٰ الكُتُب المُصنَّفة في ذلك؛ ككتاب «التَّوحيد» للشَّيْخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، و«كشف الشُّبهات»، وككتب العقائد الَّتي تهتمُّ بالأسماء والصِّفَات وتُبيِّن الواجب علىٰ العبد إزاءها.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلون الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ...**».

الناقض الثاني
اتِّخَاذ الوسـائط

❑ «الثَّاني: مَنْ جَعَل بَيْنَه وبَيْن الله وَسَائط يَدْعُوهم، ويَسْأَلُهم الشَّفاعة، ويَتوكَّل عليهم، فَقَدْ كَفَر إجماعًا».

التعليق

فهذا الثَّاني يُعتَبر بيانًا للأوَّل، إذ أنَّ الأوَّل فيمَنْ دعا غير الله عَزَّ وَجَلَّ، واعْتَقَد فيه جَلْب النَّفْع ودَفْع الضُّرِّ، وهذا الثَّاني فيمن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشَّفاعة، ويتوكَّل عليهم؛ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[الإسراء:٥٦، ٥٧]، وقال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴿٤٤﴾﴾[الزمر:٤٤].

فلا يجوز لأحدٍ أن يَسأل أحدًا من المخلوقين الشَّفاعة؛ لأنَّ الشَّفاعة مِلْكٌ لله، فلا يجوز أن تُطلَب إلَّا منه، فهو يُكرم الشَّافع بالشَّفاعة، ويَرحم المشفوع له إذا مات علىٰ التَّوْحيد، ولهذا قال أبو هريرة للنَّبيِّ ﷺ: مَنْ أحقُّ النَّاس بشفاعتك يا رسول الله؟ فقال: «**لقَدْ ظننتُ ألَّا يَسألني عن هذا أحدٌ قبلك لِمَا رأيتُ من حِرْصك علىٰ العلم، أحقُّ النَّاس بِشَفَاعَتِي مَنْ قال: لا إله إلَّا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِه**»(١).

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري (٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله، مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننتُ يا أبا هريرة ألَّا يَسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّل منك، لما رأيتُ مِن حرصك علىٰ الحديث، أسعدُ النَّاس بشفاعتي يوم القيامة: مَن قال: لا إله إلا الله- خالصًا من قلبه**»، أو «**نفسه**».

الناقض الثالث
ترك تكفير المشركين

❐ قوله: «الثَّالث: مَنْ لم يُكفِّر المشركين، أو شكَّ في كفرهم، أو صَحَّح مذهبهم- كَفَر»:

التعليق

المشركون قَدْ أخبر الله بكُفْرهم، فمَنْ لم يُكفِّرهم فإنَّه قَدْ كَذَّب الله في خبره، فلذلك كان كافرًا بهذا السَّبب؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥]، وقال تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨].

وفِي الحديثِ القُدسيِّ: «**أنا أغنىٰ الشُّركاء عن الشِّرك؛ فمَنْ عَمِل عملًا أشرك فيه معي غيري تركتُهُ وشِرْكَه**»(١).

ومِن هنا نَعلم أنَّ الَّذين يَدَّعون أنَّهم دعاةٌ إلىٰ الله ومع ذلك يُقرُّون المشركين علىٰ ما هم عليه من الشِّرك، ولا ينكرون مذهبهم، فإنَّهم علىٰ خطرٍ عظيمٍ؛ لأنَّهم كَذَّبوا الله في خبره، وهُمْ مع ذلك يزعمون أنَّ شِرْكَ التَّحْكيم كفرٌ، ويسكتون عَمَّن يَتطوَّفون بالقُبُور ويَطْلبون من أصحابها الحوائج مع العلم أنَّ التَّطوُّف بالقُبُور لا فرق بينه وبَيْن التَّطوُّف بالأوثان والأصنام، وطلب الحاجات من أصحاب القُبُور كطلبِ الحاجات من الأصنام، علمًا بأنَّ شِرْكَ التَّحْكيم فيه خلافٌ.

وقَدْ قال ابن عَبَّاسٍ: إنَّه من الشِّرك الأصغر، إذا لم يعتقد الإنسانُ أنَّ حُكْم القوانين أحسنُ مِن حُكم الله.

أمَّا شرك القُبُور ودعاء أصحابها فهو شركٌ صريحٌ، وهذا مِمَّا يحتجُّ به علىٰ الإخوان المسلمين؛ لأنَّهم تَابَعُوا إمَامَهم، فَحَكَموا بالكفر علىٰ من حَكَّم غير الشَّرْع، ولم يَحْكموا بالكفر والشِّرك الأكبر علىٰ مَنْ تَطوَّف بالقُبُور ودعا أصحابها، وهذه بِليَّةٌ عظيمةٌ.

والمهمُّ: أنَّ المشركين شرك القبور كفارٌ، ومَنْ لَمْ يُكفِّرهم، أو صَحَّح مذهبهم، أو عَذَرهم بالجهل، فإنَّه مثلهم.

وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الناقض الرابع
اعتقاد أن هدي غير النبي أكمل من هديه

❐ «الرَّابع: مَنِ اعْتقَدَ أنَّ غَيْر هدي النَّبِيِّ ﷺ أكمل من هَدْيه، أو أنَّ حُكْم غيره أحسن من حكمِهِ، كالَّذي يُفضِّل حُكْم الطَّواغيت علىٰ حكمِهِ - فهو كافرٌ».

۞۞۞۞

التعليق

مَنِ اعْتقَد أنَّ غير هدي النَّبِيِّ ﷺ أحسن من هَدْيه فإنَّه يكفر بذلك، وَقَدْ كان النَّبِيُّ ﷺ يقول في خُطَبه: «**إنَّ خير الحديث كلام الله، وخير الهَدْي هَدْي مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسولُ الله ﷺ إذا خَطَبَ احمرَّت عيناه، وعلا صوتُه، واشتدَّ غضبُه، حتىٰ كأنَّه مُنذر جيشٍ يقول: «**صَبَّحَكم ومَسَّاكم**»، =

هذا إخبارٌ منه ﷺ بأنَّ هَدْيه خير هديٍ، وأكمله وأحسنه وأعدله، فمَنِ اعْتقَد أنَّ هَدْي غيره أحسن من هَدْيه، وأنَّ طريقة غيره أحسن من طريقتِهِ، فإنَّه يكفر بذلك؛ لأنَّه كَذَّب اللهَ في خبره حيث يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤].

فمَنِ احْتقَر أصحاب اللِّحىٰ، وَزَعَم أنَّ اللِّحْية وَسَاخةٌ وقذارةٌ، فإنَّه علىٰ خطرٍ عظيمٍ؛ كالَّذين يُقلِّدون الغرب ويحتقرون الأحكامَ الإسلاميَّة والأخلاقَ الإسلاميَّة، فهم علىٰ خطرٍ كما قلت؛ لأنَّهم رأوا أنَّ هَدْي الكُفَّار أحسن من هَدْيه، وكذلك الَّذين يَحْكُمون بالأوضاعِ الجَاهليَّة ويزعمون أنَّها أحسن من حُكْم الإسلام، والعياذ بالله.

=

ويقول: «**بُعِثتُ أنا والساعة كهاتين**»، ويَقرن بين إصبعيه؛ السبابة والوسطىٰ، ويقول: «**أمَّا بعدُ؛ فإنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهَدْي هَدَي محمدٍ، وشَرَّ الأُمور مُحدثاتها، وكلَّ بِدعة ضلالة...**».

وأخرجه النسائي (١٥٧٨) أيضًا عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسولُ الله ﷺ يقول في خُطبته: يحمد الله، ويُثني عليه بما هو أهلُه، ثم يقول: «**مَن يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلله فلا هادي له؛ إنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْي هَدْي مُحمد، وشَرَّ الأمور مُحدثاتها، وكُلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضَلالة، وكلَّ ضلالة في النار...**»».

الناقض الخامس
بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ

❐ «الخامس: مَنْ أبغض شيئًا مِمَّا جاء به الرَّسُول ﷺ ولو عَمِل به- فقَدْ كَفَر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾ [محمد:٩]».

التعليق

إنَّ كراهة شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وكراهة حكمه، وكراهة هَدْيه، وكراهة شيءٍ مِمَّا جاء به ﷺ، فهذا خطرٌ، فينبغي للمسلم أن يعتقد أنَّ جميعَ الأحكامِ الشَّرعيَّة الَّتي جاء بها الإسلام أنَّها حقٌّ وعدلٌ، ويجب عليه أن يحاول بكلِّ مستطاعٍ ألَّا يكره شيئًا مِمَّا جاء به النَّبيُّ ﷺ، فإنَّ الكُرْه لما جاء به علامةٌ علىٰ النِّفاق، ورُبَّما سَبَّب الخُرُوج من الإسلام، والعياذ بالله، فأولئك الَّذين كرهوا ما أنزل الله حَبِطَتْ أعمالهم، وصاروا مُرْتدِّين بذلك؛ كأصحاب مسجد الضِّرار(١)

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ =

والمنافقين الاعْتِقَاديِّين في زمنه ﷺ(١)، فَهُمْ ما حَمَلهم علىٰ ذلك إلَّا بُغْض ما جاء به، وحُبُّ ما يُناقضه، قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[التوبة:١٠٧].

فمَنْ كَرِه ما جاء به، وفَضَّل عليه غيره فأحبَّه؛ فإنَّه بذلك يكفر، والعياذ بالله، ونسأل الله العفو والعافية.

= لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة:١٠٧، ١٠٨].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله **في «أضواء البيان»** (٨/ ٣٢٣): «ومعلومٌ أنَّ مسجدَ الضِّرَار كان بمنطقة قباء، وطلبوا من الرسول الله ﷺ أن يُصلِّي لهم فيه تبركًا في ظاهر الأمر، وتقريرًا لوجوده- يتذرعون بذلك، ولكنَّ الله كشف عن حقيقتهم».

(١) **النفاق هو**: إظهار الخير وإبطان الشر، وهو نوعان: نفاق اعتقادي، ونفاق عملي.

والنفاق الاعتقادي كفرٌ أكبر، وصاحبُه في الدرك الأسفل من النار، ومعناه: أن يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر.

وسبب النفاق: أنه لما اعتزَّ الإسلام بعد هجرة الرسول ﷺ صار هناك أُناس يريدون العيش مع المسلمين، ولكنهم لن يستطيعوا أن يعيشوا بين المسلمين إلَّا إذا أظهروا الإسلام، وهم لا يريدون الإسلام ولا يحبُّون الإسلام، فلجأوا إلىٰ حيلة النفاق، وهي: أن يُظهروا الإسلام من أجل أن يعيشوا مع المسلمين، ويبقوا في قرارة نفوسهم علىٰ الكفر، فسموا بالمنافقين، هذا هو النفاق الاعتقادي.

وأما النفاق العملي فمعناه: أن بعض المسلمين الذين عقيدتهم سليمة ومؤمنون بالله، لكنهم يتصفون ببعض صفات المنافقين، مثل: الكذب في الحديث، والغدر في العهد، وإخلاف الوعد، قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»، هذا نفاق عمليٌّ، صاحبه مؤمن، ولكن فيه خَصْلَة من خصال المنافقين، وهي خطيرة جدًّا، ربما أنها تؤول إلىٰ النفاق الأكبر إذا لم يتب منها. انظر «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (١/ ١١) للشيخ صالح الفوزان حفظه الله.

الناقض السادس
الاستهزاء بشيء من دين الرسول ﷺ

❑ «السَّادس: مَنِ اسْتَهزأ بشيءٍ من دين الرَّسُول ﷺ، أو ثوابِهِ، أو عقابِهِ كَفَر.

والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦]».

التعليق

الاستهزاءُ دليلٌ علىٰ الاستخفاف، والاستخفافُ بدين الله سواء كان مِمَّا جاء في القرآن، أو مِمَّا جاء في السُّنَّة، كلُّ ذلك لا يجوزُ الاستهزاءُ به.

ما ورد في القرآن مطلقًا، وما ورد في السُّنَّة وصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ فإنَّه لا يجوز الاستهزاء به، وحرامٌ علىٰ مَنْ يؤمن بالله ورسوله أن يستهزئ بكتابِ

رَبِّه، أو بالثَّابت من سُنَّة رسولِهِ ﷺ، فالاستهزاءُ دليلٌ علىٰ الاستخفاف كما قلتُ، والاستخفافُ بشرعِ الله عَزَّوَجَلَّ موجبٌ للكفر، وقَدِ اسْتدلَّ شيخُ الإسلام بهذه الآية: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[التوبة:٦٥، ٦٦]»[١].

فدلَّ علىٰ أنَّ هؤلاء كانوا مؤمنين، وأنَّهم كفروا بسبب الاستهزاء، وهذا الاستهزاء الَّذي ورد في سبب نزول الآية أنَّهم لمَّا كانوا في سفرٍ في غزوة تبوك قال واحدٌ مِمَّنْ يُتَّهم بالنِّفاق: «ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء؛ أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللِّقاء»[٢].

فأنزل الله هذه الآيات الَّتي تُبيِّن كُفْرهم بهذا الاستهزاء مع أنَّهم مِمَّنْ صحبوا النَّبيَّ ﷺ في تلك الغزوة.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الرد علىٰ البكري» (٢/ ٦٦٥): «لا ريب أن الاستخفاف بالنبي ﷺ كفر، والاحتجاج بهذه الآية يدل علىٰ أن الاستهزاء بالله تعالىٰ كفر، وبآيات الله تعالىٰ كفر، وبرسوله ﷺ كُفر، من جهة أنَّ الاستهزاء كفرٌ وحده بالضرورة، فلم يكن ذكر الاستهزاء بآياته وبرسوله شرطًا في ذلك، فعُلِم أنَّ الاستهزاء بالرسول ﷺ أيضًا كفرٌ، وإلَّا لم يكن في ذِكره فائدةٌ، وكذلك الاستهزاء بالآيات».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٣١٣)، وابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٣، ٣٣٤).

الناقض السابع
السحر

❐ «السَّابع: السِّحْر، ومنه الصَّرْف والعطف، فمَنْ فَعَله أو رَضِي به كَفَر.

والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة:١٠٢]».

التعليق

السِّحْر أنواعٌ، ومنه الصَّرْف[١] والعَطْف[٢] إلا أنَّه دَلَّت الأدلَّة علىٰ أنَّه لا يستطيع عمل السِّحْر إلَّا مَنِ اتَّصف بالكفر، ولهذا فإنَّ المَلَكين ببابل هاروت وماروت لا يُعلِّمان أحدًا حتَّىٰ يقولا له علىٰ سبيل المُناصحة: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، فمَنْ أصرَّ عَلَّماه، وخرج الإيمان من قلبِهِ، واتَّصف

(١) **الصرف**: عملٌ سحريٌّ يُقصد منه تغيير الإنسان عما يَهْواه؛ كصرف الرجل عن محبة زوجته إلىٰ بغضها.

(٢) **العطف**: عملٌ سحريٌّ يُقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يَهْواه بطرقٍ شيطانيةٍ.

بالسِّحْر والعياذ بالله، ومَنِ اتَّصَف بالسِّحْر وقَدَر عليه، فهو يُعتَبر كافرًا بذلك، أمَّا الصَّرْف والعطف فمعناه: الكراهية والحب، فالصَّرْف: الكراهية. والعطف: الحبُّ، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة:١٠٢].

الناقض الثامن
مظاهرة المشركين على المسلمين

❐ «الثَّامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم علىٰ المسلمين.

والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١]».

التعليق

مظاهرةُ المشركين ومُعَاونتُهم علىٰ المسلمين إعجابًا بهم وبدينهم، وحبًّا لهم ولدينهم وتفضيلًا لهم علىٰ المسلمين، وتفضيلًا لدينهم علىٰ دين الإسلام: هذا هو الكفر، أمَّا التَّعَاون مع الكُفَّار علىٰ ما يُحرِّمه الإسلام، أي: علىٰ إبعادِهِ وإبطالِهِ وجهادِ أهلِهِ كالَّذي يُسمَّىٰ بالإرهاب، وهو دين الخوارج الَّذين يُكفِّرون المسلمين ويقتلونهم، ويعملون الأعمال التَّخريبيَّة الَّتي تُرْهب النَّاس؛ سواء كانوا مسلمين أو كافرين، وكذلك التَّعَاون معهم، أو طلب معاونتهم فيما هو مباحٌ، فذلك جائزٌ.

فَقَدْ طلب عليٌّ بن أبي طالبٍ من يهوديٍّ من بني قينقاع(١) صائغًا أن يذهب معه ليجيئوا بشيءٍ من الإذخر الَّذي يستعين به الصَّوَّاغون علىٰ صياغتهم، فيبيعه عليٌّ منهم ليستعين به علىٰ وليمة فاطمة، والحديث في «صحيح البخاريِّ»(٢).

وقَدْ مات النَّبِيُّ ﷺ ودِرْعُهُ مرهونةٌ عند يهوديٍّ في شعيرٍ اشتراه منه نفقةً لأهله صلوات الله وسلامه عليه(٣).

فهذا لا يدخل في مظاهرة المشركين، وإنَّما المظاهرة للمشركين ومعاونتهم المذمومة هي ما سبق بيانه، وكذلك تَوَلِّيهم ومُصَادقتهم(٤) وإعطاؤهم أسرار المسلمين، كلُّ ذلك من المظاهرة الَّتي تُوجِبُ الكفر، والعياذُ بالله.

---

(١) **قينقاع**: قبيلة من قبائل اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة.

(٢) يُشير الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ ما أخرجه البخاري (٢٠٨٩) عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كانت لي شارف من نصيبي من المَغنم، وكان النبي ﷺ أعطاني شارفًا من الخُمُس، فلما أردت أن أَبْتَنِي بفاطمة بنت رسول الله ﷺ وَاعَدْتُ رجلًا صوَّاغًا من بني قينقاع أن يرتحلَ معي، فنأتي بإذخرٍ أردتُ أن أبيعَه مِنَ الصَّوَّاغِين، وأستعين به في وليمة عُرْسي». و«الشارف»: هي الناقة المُسِنَّة. و«**الخُمُس**»: أي: خُمُس الغنيمة الذي جُعِل أمرُه إلىٰ رسول الله ﷺ. و«**أبتني**» أي: أدخل بها. «**صوَّاغًا**»: هو الذي يَصوغ الحلي.

(٣) أخرج البخاري (٢٩١٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «تُوفِّي رسولُ الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، بثلاثين صاعًا من شعير».

(٤) قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة:٢٢].

الناقض التاسع
اعتقاد أن أحدًا يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ

❏ «**التَّاسع: مَنِ اعْتقَد أنَّ بعض النَّاس يَسَعُهُ الخُرُوج عن شريعة مُحمَّدٍ ﷺ -كما وسع الخضر الخُرُوج عن شريعة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ- فهو كافرٌ؛ لقوله تعالىٰ:** ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥]».

التعليق

أقول: الدِّينُ الإسلاميُّ هو الطَّريق إلىٰ الله، المُوصِل إلىٰ رضاه، وإلىٰ جَنَّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ورسولُ الدِّين الإسلاميِّ الَّذي جاء به هو مُحمَّدٌ ﷺ، ولذلك فإنَّه لا يسع أحدًا الخُرُوج عن شريعة مُحمَّدٍ، ومَنْ زَعَم ذلك واعتقد بأنَّه يسعه الخُرُوج أو يسع أحدًا الخُرُوج عن شريعة مُحمَّدٍ الَّتي جاء بها من عند الله عَزَّ وَجَلَّ من كتابٍ

وسُنَّةٍ وعملِ السَّلَف الصَّالحِ من الصَّحَابة والتَّابعين فمَنْ بعدهم من أهل الحديث والأثر.

مَنْ زَعَم أنَّه يَسَعُهُ الخُرُوج عن ذلك كما وسع الخضر الخُرُوج عن شريعة موسىٰ -صلىٰ الله عليهما وعلىٰ نَبيِّنا وسلَّم -كما قال ذلك بعض الصُّوفيَّة- فإنَّه كافرٌ ضالٌّ مضلٌّ(١)، وإنْ كان قبل ذلك مسلمًا، فإنَّه يكون بذلك قَدِ ارْتدَّ عن الإسلام؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران:٨٥]، ولقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ١٩﴾ [آل عمران:١٩]، ولقوله ﷺ: «**والَّذي نفسي بيده، لا يَسْمَعُ بِي أحدٌ؛ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم لا يؤمن بما جئت به إلَّا كان من أهل النَّار**»(٢).

وقال ﷺ: «**كلُّكم يدخل الجنَّة إلَّا مَنْ أَبىٰ**». قالوا: ومَنْ يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ أطاعني دَخَل الجنَّة، ومَنْ عصاني فقَدْ أَبىٰ**»(٣).

والأدلَّة علىٰ ذلك كثيرةٌ:

منها: أوامر الله المُتكرِّرة في القرآن الَّتي أَمَر فيها عباده باتِّباع كتابِهِ؛

---

(١) من اعتقد أنَّ الخضر خرج عن شريعة موسىٰ ﵇ فقد أخطأ خطأً فادحًا؛ لأن رسالة موسىٰ ﵇ ليست عامة، وإنما هو نبيٌّ بني إسرائيل، والخضر ليس من جملة مَن أُرسل إليهم موسىٰ ﵇، بل الخضر علىٰ الصحيح نبيٌّ يُوحىٰ إليه، فلا يقال: إن الخضر خرج عن شريعة موسىٰ عليهما السلام؛ لأنه لم يكن من أمة موسىٰ ﵇ أصلًا حتىٰ يخرج عن شريعته.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة ﵁.

كقوله ﷻ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف:٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ١٠٣﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨﴾ [الجاثية:١٨].

ومنها: أَمْرُهُ باتِّباع رسولِهِ، والأمر بالأَخْذ بما جاء به؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ٧﴾ [الحشر:٧].

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ ٣٦﴾ [الأحزاب:٣٦].

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ٢٤﴾ [الأنفال:٢٤].

ومنها: تَوعُّده ﷻ لمَنْ شاقَّ الرَّسُول واتَّبَع غير سبيل المؤمنين في قوله جل وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

نسأل الله أن يُثبِّت قُلُوبَنا علىٰ طاعتِهِ، وأن يغفر لنا ما حصل مِنَّا من قُصُورٍ.

وبالله التَّوفيق.

النَّاقض العاشر
الإعـراض الكلي عن ديـن الله تعـالى

❑ «العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يَتعلَّمه ولا يعمل به.

والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة:٢٢]».

ولا فَرْق في جميع هذه النَّوَاقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المُكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا.

فينبغي للمسلم أن يَحْذرها، ويخاف منها علىٰ نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه، وصَلَّىٰ الله علىٰ خير خَلْقه مُحمَّدٍ وآله وصحبه وَسلَّم. انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

التعليق

❑ **وأقولُ: الإعراضُ ينقسم إلى قسمين: إعراضٌ جزئيٌّ، وإعراضٌ كليٌّ.**

۞ **فالأول:** وهو الإعراضُ الجزئيُّ لا يُخْرج من الإسلام، بل يكون صاحبُهُ فاسقًا إذا كان مُقِرًّا بالشَّهادتين -شهادة ألَّا إله إلَّا الله وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله- ومُؤدِّيًا للصَّلاة في أوقاتها، فمَنْ كان هذا حالُهُ، فإنَّه لا يَخْرج من الإسلام، ولكنَّه يكون مسلمًا عاصيًا.

۞ **والثَّاني:** الإعراضُ الكُلِّيُّ؛ فهذا هو الكفر بأن يُعْرِض عن الدِّين بالكُلِّيَّة، لا يعمل به، ولا يَتعلَّمه، ولا يرفع به رأسًا، فمَنْ كان هذا حالُهُ فهو مُسْتَخِفٌّ بدين الله عَزَّ وَجَلَّ، غير مُكْترثٍ به، ولا مُريدٍ له، ولا راغبٍ فيه، بل هو مُتَّبِعٌ لهواه، فمَنْ كان هذا حالُهُ، لا يعمل بشيءٍ من أوامر الإسلام، ولا ينتهي عن شيءٍ من مُحرَّماته، ولا يُصدِّق بشيءٍ من أخبارِهِ، فهذا يُعتَبر كافرًا مُرتدًّا يستحقُّ أن يُسْتتاب، فإِنْ تاب وإلَّا قُتِل مُرتدًّا، وبالله التَّوْفيق.

«**ولا فَرْق في جميع هذه النَّوَاقض بين الهازل**»: من الهزل، أو الهازئ من الهزء، وهو السُّخْرية، «والجاد» أي: لا فرق بينهم، فإِنَّ الهزل بدين الله والهزء به، والسُّخْرية منه مِمَّا يوجب الارتداد عن الإسلام، فدينُ الله حقٌّ، والهزلُ استخفافٌ بالحقِّ، واستخفافٌ بمَنْ جاء به، واستخفافٌ بمَنْ شَرَعه وأنزله كما قَدْ سبق لنا في قول القائل من المنافقين:«لَمْ أرَ مثل قُرَّائنا هؤلاء أكذب أَلْسنًا، ولا أرغب بُطُونًا، ولا أجبن عند اللِّقاء»، فأنزل الله في حَقِّهم ما سبق بيانه(١).

«**والخائف، إلَّا المُكْره**»: وكذلك الخائف إذا لم يكن خَوْفُهُ بلغ إلىٰ حدِّ الخطر حتَّىٰ يكون مُكْرهًا.

«**وكلُّها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وُقُوعًا، فينبغي للمسلم أن يَحْذَرها، ويخاف منها علىٰ نفسه**»، وبالله التَّوْفيق.

---

(١) أي: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦]، وقد أخرج القصةَ ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٣١٣)، وابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٣، ٣٣٤).

خـاتمــة

ويدخل في القسم الرَّابع: مَنِ اعْتقَد أنَّ الأنظمة والقوانين الَّتي يَسنُّها النَّاس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنَّها مساويةٌ لها، أو أنَّه يجوزُ التَّحَاكم إليها، ولو اعتقد أنَّ الحُكْم بالشَّريعة أفضل، أو أنَّ نظام الإسلام لا يصلح تطبيقُهُ في القرن العشرين، أو أنَّه كان سببًا في تَخلُّف المسلمين، أو أنَّه يُحْصر في علاقة المرء بربِّه، دون أن يَتدخَّل في شؤون الحياة الأخرىٰ.

ويدخل في الرَّابع أيضًا: مَنْ يرىٰ أنَّ إنفاذ حكم الله في قَطْع يد السَّارق أو رَجْم الزَّاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضًا كلُّ مَنِ اعتقد أنَّه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإِنْ لم يعتقد أنَّ ذلك أفضل من حكم الشَّريعة؛ لأنَّه بذلك يكون قَدِ اسْتَباح ما حَرَّمه الله إجماعًا، وكلُّ مَنِ اسْتَباح ما حَرَّم الله مِمَّا هو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة؛ كالزِّنا، والخمر، والرِّبا، والحكم بغير شريعة الله- فهو كافرٌ بإجماع المسلمين.

ونسأل الله أن يُوفِّقنا جميعًا لما يرضيه، وأن يهدينا وجميع المسلمين صراطه المستقيم، إنَّه سميعٌ قريبٌ، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وآله وصحبه.

التعليق

كذلك ما ذَكَره المؤلِّف: «مَنِ اعْتقَد أنَّ الأنظمة والقوانين الَّتي يَسنُّها النَّاس أفضل من شريعة الإسلام»:

قُلْتُ: ولو زعم أنَّها مُسَاويةٌ للشَّريعة فهذا كفرٌ أيضًا، لكن مَنْ حَكَم بها وهو يعتقد أنَّ الحُكْم بالإسلام هو الواجب، فهو فاسقٌ ولا يكفر، وكذلك مَنْ ظنَّ «أنَّ نظام الإسلام لا يصلح تطبيقُهُ في القرن العشرين»، وأنَّ تطبيقه هو السَّبب في تَخلُّف المسلمين، وتَأخُّرهم عن رَكْب الحضارة، فهذا رِدَّةٌ أيضًا، وكذلك مَنِ اعْتقَد أنَّ الإسلام «يُحْصر في علاقة المرءِ بِربِّه، دون أن يتدخَّل في شؤون الحياة الأخرىٰ».

وأقول: هذا يُعَدُّ رِدَّةً؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر بكمال دينه، وأنَّه شاملٌ لجميع شؤونِ الحياة والعلاقات بين النَّاس، فالإسلام نَظَّمها، وبَيَّن الحُقُوق فيها، فمَنْ زَعَم أنَّ الإسلامَ محصورٌ في شيءٍ دون شيءٍ فإنَّه قَدْ كَفَر بالإسلام؛ لأنَّ الإسلام شمل الحُقُوق المتبادلة بين النَّاس: بين الوالد والولد، والزَّوْج والزَّوْجة، والجار وجاره، والقريب وقريبه، إلىٰ غير ذلك من الأحكام الشَّرعيَّة الَّتي بَيَّنها الإسلام وحَدَّدها، فمَنْ زَعَم أنَّ حُكْم الله «بقَطْع يدِ السَّارق، أو رَجْم الزَّاني المُحْصَن، أو جَلْد الزَّاني البِكْر»، مَنْ زعم أنَّ ذلك وَحْشيَّةٌ، وأنَّه «لا يناسب العصر الحاضر»، فهو مُرْتدٌّ، كما قال مَنْ كَتَب التَّكْملة الأخيرة[1].

---

(١) يقصد: سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله رحمة واسعة- كما بيَّن ذلك في تكملته علىٰ النواقض العشرة.

وكذلك «كلُّ مَنِ اعْتَقد أنَّه يجوز الحُكْم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما»، فإنَّ هذا لا يجوز أيضًا، ويُعَدُّ رِدَّةً بخلاف ما لو حكم بغير ما أنزل الله لسببٍ من الأسباب، وهو يعلم أنَّ حُكْم الله هو الحقُّ، فإنَّ هذا فسقٌ وليس بكفرٍ.

وبالله التَّوْفيق.

شرح كشف الشبهات

للإمام محمد بن عبد الوهاب

إفراد الله بالعبادة دين جميع الأنبياء والمرسلين

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَه اللهُ تَعَالىٰ: «اعْلَم -رَحِمَك اللهُ- أَنَّ التَّوحِيدَ هُو إِفرادُ اللهِ ﷻ بالعِبَادَة، وهُو دِينُ الرُّسُل الَّذِي أَرسَلَهم اللهُ بِه إِلَىٰ عِبادِهِ:

فَأَوَّلُهم: نُوحُ ﷺ، أَرسَلَه اللهُ إِلىٰ قَومِه لَمَّا غَلَوا فِي الصَّالِحِين: وَدًّا وسُواعًا وَيَغوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا.

وآخِرُ الرُّسُل: مُحمَّدٌ ﷺ، وهُوَ الَّذي كَسَر صُوَر هَؤلاءِ الصَّالحِين، أَرسَلَه اللهُ إِلىٰ قَوْمٍ يَتعبَّدُون، ويَحُجُّون، ويَتَصَدَّقُون، ويَذكُرُون اللهَ كَثيرًا؛ وَلَكنَّهم يَجعَلُون بَعضَ المَخلوقَاتِ وَسَائِطَ بَينَهُم وَبينَ اللهِ، يَقولُون: نُرِيدُ مِنهُمُ التَّقرُّبَ إِلىٰ اللهِ، ونُرِيدُ شَفاعَتَهُم عِنْدَه، مِثْل المَلائِكَة، وعِيسىٰ، ومَرْيَم، وأُناسٍ غَيرهم مِن الصَّالِحين.

فَبَعَث اللهُ إِلَيْهم مُحمَّدًا ﷺ يُجدِّدُ لَهُم دِينَ أَبيهِم إِبراهِيمَ ﷺ، ويُخبِرُهم أَنَّ هَذا التَّقرُّبَ وَالاعْتقادَ مَحضُ حقِّ اللهِ، لَا يَصلُحُ مِنْه شَيءٌ لا لِمَلَكٍ مُقرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيٍّ مُرسَلٍ، فَضلًا عَن غَيرِهما، وَإِلَّا فَهؤلاءِ المُشرِكُون مُقرُّونَ وَيَشهَدُونَ أَنَّ اللهَ هُو الخَالِقُ الرَّازِقُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، وَأَنَّه لا يَرزُق إِلَّا هُوَ، وَلَا يُحيِي إِلَّا هُوَ، وَلَا يُمِيتُ إِلَّا هُو، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا هُو، وأَنَّ جَمِيعَ السَّماوَاتِ السَّبْع

وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَن فِيهِنَّ، كُلُّهم عَبِيدُهُ، وَتحتَ تَصَرُّفِه وَقَهْرِهِ».

التعليق

أَقُولُ: بيَّنَ شَيخُ الإِسلامِ مُحمَّد بنُ عَبدِ الوَهَّاب رَحِمَهُ اللهُ في هَذا المَقطَعِ أَنَّ التَّوحيدَ هُو إِفرادُ اللهِ بالعِبادَةِ دُونَ سِواه، وأَنَّ العِبادَةَ لَا يَجوزُ أنْ يُصرَفَ مِنْها شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَمِن أَجْلِ ذَلكَ أَرسَل اللهُ الرُّسُلَ، وَأَنْزلَ الكُتُبَ؛ لِبيانِ هَذا التَّوحِيدِ، وَأَنَّه هُوَ أَسَاسُ الدِّينِ، وَقَاعِدةُ المِلَّةِ الَّتي عَلَيْها يُبنَىٰ، وأَنَّ مَنْ أَشْرَكَ مَع اللهِ شَيْئًا مِنْ خَلقِهِ فَإِنَّه قَدْ خَرَج عَن هَذا التَّوحيدِ، واسْتَحقَّ الذَّمَّ، واللَّومَ، والعُقوبَةَ مِن اللهِ تَعالَىٰ.

وأَنَّ كُلَّ مَن سِواهُ مِن المَخلُوقِين لَا يَجوزُ للعَبْد أَنْ يُقَدِّمَ لَهُم شَيْئًا مِنْ أَنواعِ العِبادَةِ؛ لَا دُعاءً، ولَا رَغبَةً، وَلَا رَهبَةً، وَلَا خَشيَةً، وَلَا اسْتغاثَةً، وَلَا اسْتعَاذَةً، وأَنَّ ذَلكَ يَستَوِي فِيهِ جَميعُ المَخلوقِين، مِن أَفْضَل المَلائِكَة (جِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَىٰ أَدنَىٰ شَخْصٍ مِن العِبادِ، كُلُّ ذَلكَ لَا يَجوزُ أَنْ يُدعَىٰ مِن دُونِ اللهِ، وَلَا أَنْ يُصرَفَ لَهُم شَيءٌ مِن أَنواعِ العِبادَةِ.

وَأَنَّ قَولَ المُشركِينَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، يَقصِدُون بذَلكَ أَنَّ هَؤُلاءِ المَعبُودِين يَكونُون وَسَائِطَ بَينَهم وَبَين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هَذِه الشُّبهَةُ الَّتي صُرِفَت بِها العِبادَةُ لِغَيْر اللهِ تَعالىٰ إِنَّها شُبْهةٌ باطِلَةٌ، وأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا

يَرضَىٰ أنْ يُعبَد مَعَه أحدٌ غيْرُه، وَلِذَلِك أَرسَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نُوحًا إِلَىٰ قَومِه حِينَ عَبَدوا مَع اللهِ أُولَئِك الصَّالِحِين، وصَوَّروا صُوَرَهم، وقَدَّمُوا لَهُم أَنواعَ العِبادَاتِ مِن النُّذُور والدُّعاءِ وَغَيْر ذَلك بِزَعمِهم أَنَّهم يَكُونُون شُفعاءَ.

وَردَّ اللهُ عَلىٰ مَن قَالَ هَذا القَولَ بِقَولِهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء:٥٧]، أَيْ: إِنَّ الَّذينَ تَعبُدُونَهم هُم كَانُوا يَبْتَغُون إِلَىٰ اللهِ الوَسيلَةَ، والوَسيلَةُ هيَ كُلُّ مَا تَوَصَّلْتَ بِه إِلَىٰ شَيْءٍ، كقَوْل العَرَب بأَنَّ الرَّشَا هُو الحَبْل الَّذي تُوضَع فِيه الدَّلْو، ويَنزِل عَلىٰ المَاءِ حتَّىٰ يَأخُذَه مِن قَعْر البِئْر، وَهُو وَسيلَةٌ، فكُلُّ مَا تَوَصَّلْتَ بِشَيْءٍ إِلَىٰ شَيْءٍ فَهُو وَسيلَةٌ إِلَيْه.

لَكِن مِن الوَسيلَةِ مَا هُو جَائِزٌ ومَا هُو مَمنُوعٌ:

فالتَّوسُّلُ إِلَىٰ اللهِ بالعِبادَةِ الَّتي شَرَعَها عَلىٰ أَلسِنَةِ رُسُلِه، وأَنْزَلَها فِي كُتُبِه هَذه هِي الوَسيلَة المَطلُوبَة.

أَمَّا الوَسيلَةُ المُحرَّمَة: فَهِي مَا حَرَّمَه اللهُ مِن دُعاءِ هَؤُلاءِ المَعبُودِين، واللُّجُوءِ إِلَيْهم عِندَ الكُرْبَةِ فِيمَا لَا يَقدِرُ عَلَيْه إِلَّا اللهُ؛ لِأَنَّ هَؤُلاءِ هُمْ مَملُوكُونَ للهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كَسَائِر الخَلْق.

وثَانِيًا: أَنَّ قِيَاسَ اللهِ بالملُوكِ لَا يَجوزُ؛ لأَنَّ المُلوكَ مَخلُوقُون ضُعفاءُ، فَهُم إِذَا جُعِلَتْ بَينَهُم وَبَين مَن يُريدُون حَاجَات مِنْهم وَسَائِطُ وشَفاعَاتٌ، فَذلِك يَليقُ بِهِم، أَمَّا رُبوبِيَّةُ اللهِ فَهِي لَا تَحتاجُ إِلىٰ ذَلكَ؛ لأَنَّ اللهَ لَا تَخفَىٰ عَلَيه الأُمُورُ الَّتي تَخفَىٰ عَلىٰ العِبادِ، ولَيْس بَيْن اللهِ وَخَلْقِه وسَائِط يُوصِلون ما

يَخفىٰ عَنه، واللهُ مُطَّلعٌ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ، وإِذا سَألَه عَبْدٌ مِن العِبادِ عَرَف سُؤالَه وحَاجَتَه قَبلَ أنْ يَتكَلَّم بِها السَّائلُ، فاسْتجابَ لَه إنْ كَانَ بِحَاجَة إلَىٰ الاسْتجَابَةِ، وإذَا شَاءَ اللهُ اسْتجابَ لَه، وصَرَف عَنْه مَا طَلَب صَرفَهُ مِن المَكروهاتِ، وَجلَب لَه مَا طَلَب جَلْبَه مِن المَنافِع، فَهَذِه الشُّبْهَة شُبهةٌ سَاقِطةٌ في حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وبِاللهِ التَّوفيقُ.

مشركو العرب يقرون بتوحيد الربوبية

فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشهَدُونَ بِهَذَا فَاقْرَأْ قَولَهُ تعالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١]، وَقَولَه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون:٨٤، ٨٩].

فَإِذا تَحقَّقْتَ أنَّهم مُقِرُّونَ بِهَذا وأنَّه لَمْ يُدْخِلْهُم فِي التَّوحِيدِ الَّذي دَعاهُم إِلَيْه رَسُولُ اللهِ ﷺ، وعَرَفْتَ أنَّ التَّوحِيدَ الَّذِي جَحَدُوه هُوَ تَوحِيدُ العِبادَةِ الَّذي يُسمِّيه المُشرِكُونَ فِي زَمانِنا الاعْتِقاد كَما كَانُوا يَدعُون اللهَ ﷻ لَيلًا ونَهارًا، ثُمَّ مِنْهُم مَن يَدعُو المَلائِكَة لأَجْلِ صَلاحِهِم وَقُرْبِهِم مِن اللهِ لِيَشْفَعُوا لَه، أَو يَدعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثْل اللَّات، أَو نَبِيًّا مِثْل عِيسَىٰ، وعَرَفْتَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُم عَلَىٰ هَذا الشِّرْك ودَعاهُم إِلَىٰ إِخلاصِ العِبادَةِ للهِ وَحْدَه كَما قَالَ تَعالَىٰ:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن:١٨]، وَكما قَالَ تعالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد:١٤].

وَتَحقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُم لِيَكُونَ الدُّعاءُ كُلُّه للهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّه للهِ، والاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا باللهِ، وَجَميعُ أَنواعِ العِبادَاتِ كُلُّها للهِ. وعَرَفْتَ أَنَّ إِقرارَهُم بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّة لَمْ يُدْخِلْهُم فِي الإِسلَامِ، وَأَنَّ قَصْدَهُم المَلائِكَةَ، وَالأَنبياءَ، وَالأَوْلياءَ، يُرِيدُون شَفاعَتَهُم وَالتَّقرُّبَ إِلَىٰ اللهِ بِذَلكَ هُوَ الَّذي أَحَلَّ دِماءَهُم وَأَموالَهُم؛ عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَّوحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَىٰ عَنِ الإِقْرارِ بِهِ المُشْرِكُونَ، وَهَذَا التَّوحِيدُ هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فَإِنَّ الإِلَهَ عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لِأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ، سَوَاء كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنِّيًّا، لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ الإِلَهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ للهِ وَحْدَهُ كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ.

وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِالإِلَهِ مَا يَعْنِي المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ (السَّيِّد)، فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَالمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَعْنَاهَا، لَا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا. وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ هُوَ إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّعلُّقِ، وَالكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَالبَرَاءَةُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ ﷺ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١)، قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص:٥].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٥٦٢) من حديث طارق المحاربي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٦٥٢٨).

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، فَالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلَامَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَا عَرَفَهُ جُهَّالُ الكَفَرَةِ، بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ القَلْبِ لِشَيْءٍ مِنَ المَعَانِي. وَالحَاذِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهُ: لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا اللهُ، فَلَا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

التعليق

فِي هَذا المَقطَع يَذكُر شَيْخ الإِسْلَام مُحمَّد بنُ عَبْد الوَهَّاب بأَنَّ المُشرِكِينَ الَّذِين قَاتَلَهُم الرَّسُولُ ﷺ كَانُوا يُؤمِنُون بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّة، فَهُم يَعلَمُون أَنَّ اللهَ هُو الخَالِقُ الرَّازِقُ المُحْيِي المُمِيتُ، وَهُو المُدَبِّرُ لِجَمِيع الأُمُورِ، لَمْ يَعتَقِدُوا أَنَّ اللَّاتَ وَالعُزَّىٰ خَلَقَتْهُم، وَلَا أَنَّها هِي الَّتِي تُمِيتُهُم، وَلَا أَنَّها هِي الَّتِي خَلَقَتِ السَّمَاواتِ وَالأَرْض، بَلْ إِنَّهُم يَعْلَمُون بأَنَّ اللهَ خَلَق هَذِه الأَشْياءَ: السَّمَاوَات السَّبْعَ، وَالأَرضين السَّبْعَ وَمَن فِيهِنَّ، ومَا بينَهُما، وهَذا مَا يُسمَّىٰ بِتَوْحِيدِ الرُّبوبِيَّة.

فَإِذا عَلِمْنا أَنَّ المُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوحِيدِ الرُّبوبِيَّة، وَمَع ذَلكَ فَهُم يَصرِفُونَ شَيْئًا مِن عِبادَاتِهم وَدُعائِهم وَنَذْرِهم، يَصرِفُون هَذه الأَشياءَ وَمَا هُو مِثْلُها لِغَيْر اللهِ ﷻ، مُعتَقِدين شَفاعَةَ الآلِهَة الَّتي يَعبُدُونَها، فَأَخْبَر اللهُ عَنْ ذَلكَ بِأَنَّهم مُعتَرِفُون بتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّة، ولَكِنَّهم يُنكِرُون إِفرادَ اللهِ بالعِبادَةِ،

ولِذَلِكَ قَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ، فَسَفَكَ دِماءَهُم، وَسَبَىٰ ذَرَارِيَّهم، وَغَنم أَمْوالَهُم بسَبَب كَونِهم يَصرِفُون العِبادَةَ لِغَيْر اللهِ.

إِذَا عُلِم هَذا، فإنَّه يَتبَيَّن أَنَّ الخُصومَةَ بَيْن الأَنبياءِ وَأُمَمِهم إنَّما هُو في تَوحيدِ الأُلُوهِيَّة، قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥].

فَتبَيَّن مِن هَذا أَنَّ دَعوَةَ غَيْر اللهِ شِرْكٌ، وطَلَب الحَوائِج مِنْهُم الَّتي لَا يَقدِرُ عَلَيْها إِلَّا اللهُ أَنَّه شِرْكٌ مُخرجٌ مِن المِلَّة، مُبِيحٌ لِدَم مَن فَعلَه، وَغَنِيمَةِ مَالِه، وَسَبْي نِسائِهم، وَهَذا التَّوحِيدُ هُو الَّذي فِيه الخُصُومَةُ بَيْن الرُّسُلِ وَأُمَمِهم، وبِاللهِ التَّوفِيقُ.

كَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَعرِفُون أَنَّ كَلِمَةَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» لَا مَعبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، فَلِذَلِكَ قَالُوا للنَّبيِّ ﷺ: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص:٥]، فعَرَفُوا أَنَّ كَلِمَةَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» تَنْفِي عِبادَتَهُم الَّتي يُقَدِّمُونَها للآلِهَة؛ كَاللَّاتِ والعُزَّىٰ وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ.

إِذًا؛ فَأُولَئِك المُشرِكُون كَانُوا أَعلَمَ بمَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مِن هَؤُلاءِ المُسلِمِينَ الَّذينَ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُم مَع ذَلِكَ يَعبُدُونَ غَيْرَ اللهِ بالدُّعاءِ، والخَوْفِ، والرَّجاءِ، والنَّذْرِ، والرَّغْبَةِ، والرَّهْبَةِ، وغَيْرِ ذَلِكَ، إِذَا عَلِمْتَ هَذا أَيُّهَا العَبْدُ عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَنقَذَكَ ممَّا وَقَع فِيه أُولَئِك،

وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ بِتَوْفِيقِكَ للعَقِيدَةِ الصَّحيحَةِ الَّتي ضَلَّ عَنْها أُولَئِك المُشرِكُون، فاحْمَدِ اللهَ علىٰ توفِيقِه إِيَّاكَ، وسَلَامَتِكَ مِن الشِّرْكِ الَّذي وَقَع فِيه كَثيرٌ مِن النَّاسِ، وبِاللهِ التَّوفيقُ.

الموت على الشرك يوجب الخلود في النار

إِذَا عَرَفْتَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ، وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وَعَرَفْتَ دِينَ اللهِ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِم الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الجَهْلِ بِهَذَا؛ أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ:

الأُولَىٰ: الفَرَح بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨].

وَأَفَادَكَ أَيْضًا: الخَوْفَ العَظِيمَ، فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ، فَلَا يُعْذَرُ بِالجَهْلِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ كَمَا ظَنَّ المُشْرِكُونَ، خُصُوصًا إِنْ أَلْهَمَكَ اللهُ مَا قَصَّ عَلَىٰ قَوْمِ مُوسَىٰ مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف:١٣٨]، فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَىٰ مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ.

التعليق

وَأَقُولُ: فِي هَذا المَقْطَع ذَكرَ شَيخُ الإِسْلامِ أَنَّ مَنْ عَرَف الشِّركَ، وَعَرَف أَنَّه لَا يُغفَر كَمَا فِي الآيَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨]، وَعَرَفَ أَنَّ الدِّينَ الَّذِي أُرسِلَت بِه الرُّسُلُ، وَأُنزِلَتْ بِه الكُتُبُ، هُو تَوحيدُ اللهِ الَّذي لَمْ يَقبَلْ مِن أَحدٍ دِينًا سِوَاه، **فَإِنَّه حِينئذٍ تَستَفِيدُ فَائِدَتَيْن:**

١- مُوافَقَتكَ للعَقِيدَة الحَقَّة؛ فتَفْرَح بمُوافقَتِها، وَتَغتَبِط بذَلك، وتَحرِص عَلَيه، وتَسْأَل اللهَ الثَّباتَ عَلَيْه.

٢- أنَّك تَستفِيدُ مِن ذلكَ خَطَرَ العَقيدَة، بمَعْنىٰ عِظَمِها وَشَرَفِها والخَوْف مِن ضَياعِها وذَهابِها، فيَكْثُر مِنْكَ السُّؤالُ والابْتهَالُ إِلَىٰ اللهِ -جلَّ وعَلا- أَنْ يُثَبِّتَكَ علَىٰ هَذِه العَقيدَةِ الَّتي مَن حَادَ عَنْها هَلَك، والَّتي خَافَ إِبراهيمُ عَلىٰ نَفْسِه وَعَلىٰ بَنِيه أَنْ تُسْلَبَ مِنْه، فَقَالَ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم:٣٥].

فتَسْأَل اللهَ دَائمًا الثَّباتَ عَلىٰ الحَقِّ الَّذي مَنْ سُلِبَه أَو ضَلَّ عَنْه فَقَد سُلِبَ مِنْه كُلُّ خَيْر، وَنَزَل بِه كُلُّ شَرٍّ، فتَحْرِص كُلَّ الحِرْصِ وَتَدْعُو اللهَ كَثِيرَ الدُّعاء أَنْ يُثَبِّتَك علَىٰ الدِّين حتَّىٰ تَمُوتَ عَلَيْه.

وبِاللهِ التَّوفِيق.

حكمة الله في ابتلاء أنبيائه بأعداء من الإنس والجن

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ، وَكُتُبٌ، وَحُجَجٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر:٨٣]، إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَىٰ اللهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ أَهْلِ فَصَاحَةٍ، وَعِلْمٍ، وَحُجَجٍ؛ فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحًا لَكَ تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٦، ١٧].

التعليق

وَأَقُولُ: ذَكَر الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبيًّا بِهَذا التَّوْحيدِ إلَّا جعَل لَه أَعْدَاءً، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلىٰ ذَلكَ قولُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[الفرقان:٣١].

فَهَذِه الآيَة دَالَّة عَلىٰ أنَّ الأَنبياءَ يُبْتَلونَ بأَعْداءٍ أَقوِيَاءَ أَصحَاب فَصَاحَةٍ وَلِسْنٍ(١)، يُجادِلُونَ بالبَاطِل.

ويُرِيدُونَ دَحضَ الحَقِّ بالبَاطِل، وقَد حَكَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِن مُجادَلَة أُولَئِك المُشرِكِين في قَولِه -جلَّ وعَلا- عَنهُم أنَّهُم قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[ص:٥].

وقَوْله في مَوضُوع التَّذْكِيَة: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١﴾[الأنعام:١٢١].

وَكَما حَكَىٰ -سُبحانَه- أَقوَالًا مِن أَقوالِ المُشْرِكينَ، وَردَّ عَلَيْهم.

فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَد عَلِم أنَّ هَؤُلاءِ الأَعدَاء للأَنْبياءِ يَبْذُلُون جُهْدَهم في الصَّدِّ عَن سَبيلِ اللهِ، وإِيهامِ مَن لَا يَعلَم الحَقَّ بأَنَّهم عَلىٰ الحَقِّ، وأَنَّ الأَنبياءَ عَلىٰ البَاطِل، ولَيْس بِبَعيدٍ عنَّا ما ذكرَ في مُجادَلَة قُرَيشٍ للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزَعْمِهم أنَّه أَتاهُم بشَيْءٍ لَمْ يَأتِ بِه أَحَدٌ قَوْمَه، سَفَّهَ أَحلَامَهُم، وعَابَ آلِهَتَهُم، وسَبَّ آبَاءَهُم، فيُظْهِرُون للسَّامِعِينَ أَنَّهم عَلىٰ الحَقِّ، والنَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلىٰ البَاطِل.

---

(١) اللِّسْنُ، بكسر اللام: اللُّغَة. يُقال: لكل قَومٍ لِسْنٌ، أي: لُغَة يتكلَّمون بها.

والحَقيقَة العَكسُ، بَل الأَنبياءُ هُم الَّذين عَلىٰ الحَقِّ وأنَّ أَعداءَهُم عَلىٰ البَاطِل، بلْ قَد قَالَ إمامُهُم ومُقدَّمُهم لرَبِّ العِزَّةِ والجَلالِ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦﴾ [الأعراف:١٦]، أيْ: أَدْفَعهم عَنه، وأُبْعِدُهم عَنه، واللهُ تَعالَىٰ قَد أَخبَر أنَّ كَيدَ الشَّيطانِ كَانَ ضَعِيفًا، إلَّا أنَّ أَهلَ الحَقِّ يَنبَغِي لَهُم أنْ يَتَسَلَّحُوا بالعِلْم الَّذي يُجادِلُونَ بِه أَعدَاءَ اللهِ، وَيُبْطِلُونَ بِهِ حُجَجَهُم، ويَفضَحُونَ بِه مَزَاعِمَهُم البَاطِلَة، فَإذا فَعَلُوا ذَلكَ، تَحَصَّنُوا مِن الشَّيطانِ، وَلَمْ يَنَلْهُمْ بِأَذًىٰ.

وبِاللهِ التَّوفِيق.

العامي من الموحدين يغلب ألفًا من علماء المشركين

ولكِنْ إذا أَقْبَلْتَ علىٰ اللهِ، وَأَصْغَيْتَ إِلَىٰ حُجَجِهِ وبيِّنَاتِهِ، فَلَا تَخَفْ، وَلَا تَحْزَنْ، إنَّ كَيدَ الشَّيطَان كَان ضَعِيفًا.

وَالعَامِيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات:١٧٣].

التعليق

ذَلكَ لأَنَّ المُوحِّد حُجَّتُه قَويَّة تُؤَيِّدُها الفِطرَةُ، ويَشهَدُ لَها الحِسُّ والعَقْلُ، أَمَّا المُشْرِكُ فَحُجَّتُه ضَعِيفَةٌ، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد قَالَ في كِتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج:٧٣].

وفِي سُورَة العَنكَبُوت ضَرَب اللهُ مَثَلًا لِحُجَّةِ المُشرِك بأنَّها أَوهَىٰ مِن بَيْت العَنكَبُوت، ذَلكَ لِأَنَّ آلِهَةَ المُشرِكِين لَا يَملِكُون شَيْئًا، فَقَالَ تَعالَىٰ: ﴿مَا

يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر:١٣]، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[النساء:١٢٤]، والحَقُّ وَاضِحٌ لَا غَبَشَ عَلَيْه، وباللهِ التَّوفِيق.

أهل العلم والإيمان هم الغالبون بالحجة واللسان والسيف والسنان

فَجُنْدُ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُم الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ، وَإِنَّمَا الخَوْفُ عَلَىٰ المُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسِ مَعَهُ سِلَاحٌ. وَقَدْ مَنَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جعَلَهُ ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

التعليق

أَقُولُ: كِتابُ اللهِ فِيه بَيانُ مَا يَحتاجُ إِلَيْه النَّاسُ في دِينِهم، فَهُو مُبيَّنٌ فِيه، وَلَيْس مَعنَىٰ ذلكَ أنَّ كُلَّ بَاطِلٍ يَكونُ مَذكُورًا في القُرآنِ، ومَردُودًا فيهِ صَراحَةً، ولَكِن أُصُول المَسائِل الَّتي يُحتَاجُ إِلَيْها في الدِّينِ مُوضَّحَة في كِتابِ اللهِ؛ إِمَّا نَصًّا، وإِمَّا مَفهُومًا، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

والمُهِمُّ: أَنَّ القُرآنَ بَيَّن أُصولَ مَسائِل الدِّينِ، ومَا تَجدَّد عَلىٰ مَدىٰ العُصُور،

فَهُو لَا يَخرُج عَن الأُصُول الَّتي بيَّنها إمَّا بالنَّصِّ، وإمَّا بالمَفهُومِ، وإمَّا بالقِياسِ، كَما في هَذه الآيَة، وَاللهُ تَعالَىٰ يَقُولُ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ [الفرقان:٣٣]، أَي: لَا يَأْتُونَ بمَسْأَلَة وَلَا شَيْءٍ مِن البَاطِل إِلَّا رَدَدْنا عَلَيْه وبَيَّنَّاه، ووَضَّحْناهُ، فكُلُّ مَن كَانَ عِلمُه بالكِتابِ والسُّنَّة أَعمَق، كَان رَدُّه عَلىٰ المُخالِفين أَكثَرَ وَأَوفَرَ، وكُلَّما كَانَ دُونَ ذَلكَ؛ فَإِنَّ رَدَّه يَكُونُ بحَسَبِه.

دحض القرآن لمزاعم أهل البطلان

فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ باطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي القُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا، وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان:٣٣].

قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ البَاطِلِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلَامٍ احْتَجَّ بِهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا.

التعليق

وَأَقُولُ: أَخْبَرَ الشَّيْخُ مُحمَّد بنُ عَبْد الوَهَّاب أنَّ القُرآنَ قَد رَدَّ علىٰ المُشرِكِينَ، وَاليَهودِ، والنَّصارَىٰ، في كُلِّ مَا جَاء بِه مِن الحُجَج، فزَيَّف حُجَجَهُم، وبَيَّنَ بُطلَانَها، وأَخْبَر نَبِيَّه وأُمَّةَ نَبِيِّه بالحَقِّ في ذَلكَ الجِدال.

فَمَثلًا حِينَ قَالَ المُشرِكُون للمُسلِمِين حِينَ قَالُوا: إِنَّ المَيْتَةَ حَرامٌ، وإِنَّه لَا

يَحلُّ إلَّا المُذَكَّىٰ، فألْقَىٰ الشَّياطِينُ إِلَىٰ أَوليائِهم بِأَنَّكم تُحَرِّمُون عَقيرَةَ اللهِ، وتأْكُلون عَقِيرَتكُم، عِنْد ذَلكَ أَنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قولَه تعالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام:١٢١].

ومِثْل سُؤالِ اليَهود عَن الرُّوحِ، فَأَنزَل اللهُ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء:٨٥]، إِلَىٰ غَيْر ذَلكَ مِن الأَسئِلَة.

وإنَّ أَجوِبَة الشُّبْهَة الَّتي يُلقِيها أَعداءُ الإِسلامِ قَد وَرَدَت فِي القُرْآن مَردُودٌ عَلَيْها، فَإذا جاءَت شُبْهةٌ مِن عِنْد المُشرِكِين والكُفَّار فَإمَّا أنْ تكونَ مُساوِيةً للحُجَج المَذكُورَة في القُرْآن لَفظًا وَمَعْنًى، وإِمَّا أنْ تكونَ مُخالِفةً لَها، ولَكِنَّها مِن حَيْث المَعْنىٰ تكونُ دَاخِلةً تَحتَ عَامٍّ، أَو تَحتَ مُجْمَلٍ.

وإنَّ أَهلَ العِلْم الجَدِيرين به، المُتَمَرِّسِينَ عَلىٰ مَعرفَتِه ومَعْرِفةِ السُّنَّة، لابدَّ أنْ يَجِدوا في الكِتَابِ والسُّنَّة مَا يَرُدُّ تِلكَ الشُّبْهَةَ، حتَّىٰ وَإِنْ كَانَت ممَّا اسْتجدَّ في العَصْر ولَمْ يَكُن مَعْرُوفًا في الأَزمِنَة القَديمَة، وإنَّ طَالِبَ العِلْم يَحتاجُ إِلىٰ إِدامَةِ النَّظَر في كِتابِ اللهِ، والتَّعرُّف عَلىٰ الحُجَج الَّتي أَدْلَى بِهَا المُشْرِكُون، ثُمَّ المُقارَنَة بَينَها وبَيْن حُجَجِ أَهْل البَاطِل فِي هَذا الزَّمَن، فمَنْ وَفَّقَه اللهُ يَستَطِيعُ أَنْ يُردَّ عَلَيْهم رَدًّا مُفحِمًا، إمَّا بالأَشْياء الَّتي رَدَّ بِها القُرْآنُ عَلَيْهم، أَو بِغَيْرِها ممَّا يُشابِهُهَا.

وباللهِ التَّوفيقُ.

الجواب المجمل والمفصل على افتراءات أهل الباطل

فَنقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ البَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ.

أَمَّا المُجْمَلُ: فَهُوَ الأَمْرُ العَظِيمُ، وَالفَائِدَةُ الكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران:٧].

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ»(١).

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ بَعْضُ المُشْرِكِينَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس:٦٢]، وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ؛ أَوْ ذَكَرَ كَلَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ، وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَىٰ الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ، فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

إِنَّ اللهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ المُحْكَمَ، وَيَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ، وَمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَنَّ المُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ كُفْرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ، وَالأَنْبِيَاءِ، وَالأَوْلِيَاءِ مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨]، هَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ، لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ.

وَمَا ذَكَرْتَ لِي أَيُّهَا المُشْرِكُ مِنَ القُرْآنِ، أَوْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ، لا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ. وَلَكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ لا يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لا يُخَالِفُ كَلَامَ اللهِ.

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ، وَلَكِنْ لا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ، فَلَا تَسْتَهِنْ بِهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥﴾ [فصلت:٣٥].

فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ، يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ، مِنْهَا قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ، بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ إِلَا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا، وَلَا ضَرًّا، فَضْلًا عَنْ عَبْدِ القَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ.

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ: وَهُوَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لا تُدَبِّرُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا أَرَادُوا الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ.

فَإِنْ قَالَ: هَؤُلَاءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ! كَيْفَ تَجْعَلونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟ فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ. فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَارَ يَشْهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ -وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِ وَفِعْلِهِمْ بِمَا ذُكِرَ- فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧]، وَيَدْعُونَ عِيسَىٰ ابنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ [المائدة:٧٥، ٧٦].

وَاذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١﴾ [سبأ:٤٠، ٤١].

وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة:١١٦].

فَقُلْ لَهُ: أَعَرَفْتَ أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ أَيْضًا مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَإِنْ قَالَ: الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ، الضَّارُّ، المُدَبِّرُ، لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَقْصُدُهُمْ، أَرْجُو مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُمْ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الكُفَّارِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

❁❁❁

التعليق

وأَقُولُ: إنَّ الشِّركَ باللهِ سَبَبُه تَقدِيسُ بَعضِ المَخلُوقِين، والغُلُوُّ فِيهِم، وزِيادَتُهم عَن حَقِّهِم، أَو دَعوىٰ أنَّ الشَّفاعَةَ لَهُم، وهَذِه كُلُّها قَد رَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْها بقَوْلِه تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء:١٧١]، ورَدَّ علىٰ مَنْ زَعَم أنَّ الشَّفاعَةَ لِأُولَئِك المُشرِكِينَ بقَولِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر:٤٤]، ومَا أَشْبَه ذَلكَ مِن الحُجَج الَّتي ذَكَرَها القُرآنُ، ورَدَّ عَلَيْها.

فَما علَيْك إلَّا أنْ تقرَأَ القُرْآنَ، وَتقرَأَ التَّفسِيرَ المَروِيَّ عَن الصَّحابَةِ، ثُمَّ

تَتَأَمَّل فِيهَا، فإِنَّ مَا أَدْلَىٰ بِه أَهلُ البَاطِلِ في هَذا الزَّمَن شَبِيهٌ لِمَا أَدْلَىٰ بِه أَهْلُ البَاطِلِ في الأَزمِنَةِ السَّابِقَة، واللهُ تَعالَىٰ يَقولُ: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات:٥٣].

أكبر شبه أهل الباطل

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ وَضَّحَهَا لَنَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهْمًا جَيِّدًا، فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا.

التعليق

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، وَبَعدُ: فإِنَّ شُبهَةَ المُشرِكِين الَّذينَ يَعبُدُونَ غَيْرَ اللهِ مِن الأَولياءِ وَالصَّالِحينَ، وَيَزعُمُونَ أَنَّهم شُفعاءُ لَهُم عِند اللهِ، ويَزعُمُون أَنَّ الشِّركَ إِنَّما هُو عِبادَةُ الأَصنامِ، وأَنَّهُم لَمْ يَعبُدوا الأَصْنَامَ، ويَزعُمون أَنَّ الَّذينَ بُعِث فِيهِم رَسولُ اللهِ ﷺ مَا كَانُوا يَشهَدُون أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ، **فانْحَصَرَت الشُّبهَةُ في ثَلاثَةِ أُمورٍ، وَهِي:**

١- أَنَّ المُشرِكِين كَانُوا يَعبُدون الأَصنامَ، وهُم يَعبُدُون الأَولِيَاءَ، وزَعَمُوا أَنَّ الفَرْق بَيْن الأَولياءِ وَالأَنْبياءِ فَرْقٌ وَاضِحٌ، يُبِيحُ لَهُم عِبادَةَ الأَوْلياءِ، والصَّالِحِين، والأَنْبياءِ، فَيُرَدُّ عَليْهِم:

أَوَّلًا: أَنَّ المُشرِكِينَ الَّذين قَاتَلُهم رَسُولُ اللهِ ﷺ كَانَ مِنْهُم مَن يَعبُد

المَلائِكةَ، وَمِنْهُم مَنْ يَعبُد الأَولياءَ والأَنبياءَ، ومِنْهم مَن يَعبُدُ عِيسَىٰ ابنَ مَرْيَمَ وأُمَّه، فقَاتَلُهم بِدُون تَفريقٍ بَيْن مَن يَعبُد الأَنبياءَ وَالأَوْلياءَ، وَبَيْن مَن يَعبدُ الأَصنامَ.

بَل قَد بَيَّن اللهُ في القُرآنِ في مَواضِعَ كَثيرةٍ أنَّ مَن عَبَد غَيرَ اللهِ فَهُو مُشرِكٌ، بِدُونِ فَرقٍ بَيْن الأَولياءِ، وَالأَنبياءِ، والمَلائِكةِ، وبَيْن الأَصنَام.

كَما بَيَّنَه شَيخُ الإِسلامِ بِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ:٤٠، ٤١]، فتَبيَّن أنَّ مَن عَبَد المَلائِكَةَ، أَو الجِنَّ، أَو الأَصنَامَ، فَهُو مُشرِكٌ؛ إِذْ إِنَّ العِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا للهِ.

ثَانِيًا (أَي: الشُّبْهَة الثَّانِيَة): وَهُو زَعمُهم أنَّ المُشرِكين مَا كَانُوا يَشهَدُون أنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَأنَّ مُحمَّدًا رسُولُ اللهِ، وهُم يَشهَدُون هَذه الشَّهادَةَ، وَهُم مُقِرُّونَ بأَنَّ أَوثَانَهم لَا تُدبِّرُ شَيْئًا، إنَّما أَرادُوا مِنْهُم الجَاهَ والشَّفاعَةَ، فدَلَّ ذَلكَ عَلىٰ أَنَّ عِبادَةَ غَيرِ اللهِ كُلَّها شِركٌ وَكُفرٌ، وأَنَّ المُسْلِمَ الَّذي يَشهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَقَد سَمِع القُرآنَ وحُجَجَه، ثمَّ بَعد ذَلكَ يَدعُو غَيْر الله مِن الأَولياءِ وَالصَّالِحِين، فإِنَّه أَبْعَدُ لَه؛ لِكَونِه يَعبُدُ غَيْرَ اللهِ عَلىٰ عِلْمٍ.

ثَالِثًا: أَنَّهم مُحتَجُّونَ أَنَّهم لَمْ يُرِيدُوا مِنْهُم الإِحياءَ وَالإِماتَةَ، أَو القُدْرَة عَلىٰ الغَيْب، وإِنَّما أَرادُوا مِنْهُمُ الشَّفاعَةَ، فيُقالُ لَهُم: إنَّ الشَّفاعَةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا

مِنَ اللهِ، فَهُو الَّذي يَمْلِكُها دُونَ سِواهُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤﴾[الزمر:٤٤].

فالشَّفاعَةُ لَا يَجوزُ أَنْ تُطْلَبَ مِمَّن لَا يَملِكُها، وَقَد تبَيَّن في هَذا بُطلانُ حُجَجِهِم، وعَدَمُ بَقاءِ أَيِّ حُجَّةٍ لَهُم فِيما عَمِلُوه مِن عِبادَةِ غَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وبِاللهِ التَّوفيقُ.

حق الله على العباد

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا الالْتِجَاءُ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.

فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقِرُّ أَنَ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ العِبَادَةِ للهِ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ؟ فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِيَ هَذَا الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِخْلاصُ العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ. فَإِن كَانَ لَا يَعْرِفُ العِبَادَةَ، وَلَا أَنْوَاعَهَا، فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف:٥٥].

فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهذَا، فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ هَذَا عِبَادَةً للهِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. وَالدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلًا وَنَهارًا، خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟ فَلَا بُدَّ أَنَّهُ يَقُولُ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: فَإِذَا عَمِلْتَ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [الكوثر:٢]، وَأَطَعْتَ اللهَ، وَنَحَرْتَ لَهُ، هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ (نَبِيٍّ أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ غَيرِهِمَا)، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ غَيْرَ اللهِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُولَ: نَعَمْ.

وَقُلْ لَهُ أَيْضًا: المُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ، هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ المَلَائِكَةَ، وَالصَّالِحِينَ، وَاللَّاتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ، وَالالتِجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالْتَجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا.

التعليق

إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أَعبُدُ إِلَّا اللهَ، وهَذا الالْتِجاءُ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ ودُعاؤُهم لَيس عِبادَةً.

فَقُل لَهُ: أَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيكَ إِخلاصَ العِبادَةِ للهِ وَحْدَه، وَهُو حَقُّه عَلَيكَ؟ فإِنْ كَانَ لَا يَعرِفُ العِبادَةَ وأَنْواعَها، فَبَيِّنْها لَهُ، يَعنِي أَنَّك تُبيِّن لَه أَنواعَ العِبادَةِ، وأَنَّ أَنواعَ العِبادَة هِي الصَّلاةُ، والدُّعاءُ، والخَوفُ، والرَّجاءُ، والخَشيَةُ، والإِنابَةُ، والرَّغبَةُ إِلَيْه في تَحقيقِ مَا تَطْلُب، والرَّهبَةُ مِنه، أَيْ: مِن عَذابِهِ في الآخِرَةِ، وسَخَطِه عَلَيْكَ، هَذِه هِي أَنواعُ العِبادَةِ، ومِنْها الذَّبحُ، والنَّذرُ.

فنَقُولُ لَه: مَن دَعا غَيْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في جَلْب نَفْعٍ لَا يَقدِرُ عَلَيْه إِلَّا اللهُ، أَو دَفْعِ ضُرٍّ لَا يَقْدِر عَلَيْه إِلَّا اللهُ، فَهَل هَذا يُعتَبر قَد عَبَد غَيْرَ اللهِ أَمْ لَا؟

والجَوابُ: أنَّه قَد عَبَد غَيرَ اللهِ بدَعْوَتِه غَيرَه، والالْتجاءِ إِلَيْه، مَع أنَّ اللهَ سُبحانَه يَقولُ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥]، وَقَوْله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

فَإِذَا أَقَرَّ بِهَذا، وَاعْتَرَف بأَنَّه شِركٌ، فَقُل لَه: مَا إِخلاصُ العِبادَةِ؟ فإِنْ كَانَ يَجهَل الإِخلاصَ فَقُل لَه: إنَّ الإِخلاصَ هُو أنْ تَعبُدَ اللهَ وَحدَه دُونَ سِواه بأَنْ تُفرِدَه بصَلاتِكَ وصِيامِكَ ودُعائكَ، ورَغْبَتِك، ورَهْبَتِك، وجَميعِ أَنواعِ العِبادَةِ، هَذا هُو الإِخلاصُ، وهَذِه هِي العِبادَةُ.

وَكَما قُلْنا: إنَّ مَن دَعا مَخلُوقًا مِن المَخلُوقِين فإنَّه قَد هَدَم ذَلكَ الإِخلاصَ وأَبْطَلَه، وكَانَ بذَلِكَ مُشرِكًا مُستَحِقًّا للوَعيدِ الَّذي تَوَعَّدَ اللهُ به المُشْرِكينَ بِقَولِه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢]، فَلو ذَبَحْتَ عَلىٰ اسْمِ مَخلُوقٍ بأَنْ تَقولَ: هَذا للهِ ثُمَّ لِعَبْد القَادِر الجِيلانِي، فَهُو لِعَبْد القَادِر الجِيلانِي وَلَيْس للهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعالَىٰ يَقولُ في الحَديثِ القُدُسِيِّ: «**أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١).

فَإِذَا أَقَرَّ بِهذَا فَقُل لَهُ: هَل المُشرِكُون الَّذين بُعِثَ فِيهِم رَسُولُ اللهِ ﷺ، ونَزَلَ فِيهِمُ القُرآنُ، هَل كَانُوا يَعبُدُون المَلائِكَةَ، والصَّالِحِينَ، وَالأَصنَامَ، ويَدْعُونَ هَذِه المَعبوداتِ مِن دُونِ اللهِ، ويَذبَحُونَ لَها، ويَنْذِرونَ؟ فإِنْ قَالَ:

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نَعَم، فَقُل لَه: هَل كَانُوا بذَلكَ مُشرِكِينَ يَستَحِقُّون مَا تَوَعَّد اللهُ بِه المُشْركينَ؟ فإِذَا قَالَ: نَعَم، فَقُل لَه: وَبِهذا فَقَد اعْتَرَفْتَ أنَّ صَرْفَ شَيءٍ مِن هَذِه العِبادَاتِ لغير الله شِرْكٌ، مُوجِبٌ لِتَحْرِيمِ اللهِ ﷻ الجَنَّةَ عَلىٰ فَاعِله، واسْتحقَاقِه لِغَضَب اللهِ ومَقْتِه، ومِنْ أَجْل ذَلكَ أَباحَ اللهُ قَتْلَ أُولَئِك المُشرِكِين إِزهاقَ أَرواحِهِم، وسَبْيَ نِسائِهم وغَنِيمَةَ أَموالِهم مِنْ أَجْل أَنَّهُم أَشرَكُوا باللهِ شِرْكًا أَكْبَرَ يُوجِبُ عَلَيْهِم ذَلكَ.

وباللهِ التَّوفِيقُ.

تتمة رسالة «كشف الشبهات»[(١)]

فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا؟

فَقُلْ: لَا أُنْكِرُهَا، وَلَا أَتَبَرَّأُ مِنْهَا، بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ.

وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا للهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ ﴾ [الزمر:٤٤].

وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللهِ، كَمَا قَالَ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وَلَا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وَهُوَ لَا يَرْضَىٰ إِلَّا التَّوْحِيدَ، كَمَا قَالَ: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران:٨٥].

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا للهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) أضفنا بقية متن رسالة «كشف الشبهات» وإن لم يتناولها الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللهُ بالتعليق؛ لتتم الفائدة بذكرها كاملة.

وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ -تَبيَّنَ لَكَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا للهِ، فَأَطْلُبُهَا، مِنْهُ فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَهَ اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَأَمْثَالِ هَذَا.

فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهَا مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَنَهَاكَ عَنْ هَذَا، فَقَالَ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن:١٨]، فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللهَ أَنْ يُشَفِّعَ نَبِيَّهُ فِيكَ، فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن:١٨].

وَأَيْضًا؛ فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَحَّ أَنَّ المَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ، أَتَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَعْطَاهُمُ الشَّفَاعَةَ فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟ فَإِن قُلْت هَذَا، رَجَعْتَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَإِنْ قُلْتَ: لَا، بَطَلَ قَوْلُكَ: أَعْطَاهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهَا مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، حَاشَا وَكَلَّا؛ وَلَكِنَّ الالتِجَاءَ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مَنْ تَحْرِيمِ الزِّنَا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُهُ، فَمَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي.

فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟

أَمْ كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ، وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ، وَلَا تَعْرِفُهُ، أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ، وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟

فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عبادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ.

فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ أَتظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَخْشَابَ وَالأَحْجَارَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآنُ.

وَإِنْ قَالَ: هُوَ قَصَدَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بِنْيَةً عَلَىٰ قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَيَدْفَعُ اللهُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ، أَوْ يُعْطِينَا بِبَرَكَتِهِ.

فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ وَالأَبْنِيَةِ الَّتِي عَلَىٰ القُبُورِ وَغَيْرِهَا، فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، فَهُوَ المَطْلُوبُ.

وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: قَوْلُكَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدعاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟ فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ، أَوْ عِيسَىٰ، أَوِ الصَّالِحِينَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ، فَهُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ.

وَسِرُّ المَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ؟ فَسِّرْهُ لِي.

فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ.

فَقُلْ: وَمَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ.

فَقُلْ: مَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ؟ فَسِّرْهَا لِي.

فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ القُرْآنُ، فَهُوَ المَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ، فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ، وَإِنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ، بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ فِيهِ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص:٥].

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَا يَكْفُرُونَ بِدُعَاءِ المَلَائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا يَكْفُرُونَ لِمَا قَالُوا: المَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، فَإِنَّا لَمْ نَقُلْ: عَبْدُ القَادِرِ ابْنُ اللهِ، وَلَا غَيْرُهُ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ نِسْبَةَ الوَلَدِ إِلَىٰ اللهِ كُفْرٌ مُسْتَقِلٌّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١].

وَالأَحَدُ: الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ.

وَالصَّمَدُ: المَقْصُودُ فِي الحَوَائِجِ، فَمَنْ جَحَدَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدِ السُّورَةَ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾ [المؤمنون:٩١]، فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًّا، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ﴾ [الأنعام:١٠٠]، فَفَرَّقَ بَيْنَ كُفْرَيْنِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا أَيْضًا: أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدُعَاءِ اللَّاتِ مَعَ كَوْنِهِ رَجُلًا صَالِحًا، لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِبَادَةِ الجِنِّ لَمْ يَجْعَلُوهُمْ كَذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا العُلَمَاءُ فِي جَمِيعِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ يَذْكُرُونَ فِي (بَاب حُكْمِ المُرْتَدِّ) أَنَّ المُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ للهِ وَلَدًا فَهُوَ مُرْتَدٌّ، وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الوُضُوحِ.

وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس:٦٢]، فَقُلْ: هَذَا هُوَ الحَقُّ؛ وَلَكِنْ لَا يُعْبَدُونَ.

وَنَحْنُ لَمْ نَذْكُرْ إِلَّا عِبَادَتَهُمْ مَعَ اللهِ، وَشِرْكهم مَعَهُ، وَإِلَّا فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ، وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَتِهِمْ، وَلَا يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ البِدَعِ وَالضَّلَالِ، وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَهُدًى بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا (كَبِير الاعْتِقَادِ) هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ القُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لَا يُشْرِكُونَ، وَلَا يَدْعُونَ المَلَائِكَةَ وَالأَوْلِيَاءَ وَالأَوْثَانَ مَعَ اللهِ إِلَّا فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَيُخْلِصُونَ للهِ الدُّعَاءَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء:٦٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام:٤٠، ٤١].

وَقَوْلُهُ: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا ﴾ [الزمر:٨] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨﴾ [الزمر:٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان:٣٢].

فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ المَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ (وَهِيَ أَنَّ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَ اللهَ، وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الضَّرَّاءِ وَالشِّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَنْسَوْنَ سَادَتَهُمْ، تَبَيَّنَ لَهُ الفَرْقَ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ.

وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هَذِهِ المَسْأَلَةَ فَهْمًا رَاسِخًا؟ وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

الأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللهِ: إِمَّا أَنْبِيَاءَ، وَإِمَّا أَوْلِيَاءَ، وَإِمَّا مَلَائِكَةً، أَوْ يَدْعُونَ أَشْجَارًا أَوْ أَحْجَارًا مُطِيعَةً للهِ لَيْسَتْ عَاصِيَةً.

وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمُ الفُجُورَ؛ مِنَ الزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ، أَوِ الَّذِي لَا يَعْصِي (مِثْل: الخَشَبِ وَالحَجَرِ- أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فِسْقُهُ، وَفَسَادُهُ، وَيُشْهَدُ بِهِ.

إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَحُّ عُقُولًا، وَأَخَفُّ شِرْكًا مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا.

وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ لَا يَشْهَدُونَ أَنْ (لَا إِلَهَ إِلَّا

اللهُ)، وَيُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ ﷺ، وَيُنْكِرُونَ البَعْثَ، وَيُكَذِّبُونَ القُرْآنَ، وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَنُصَدِّقُ القُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ، وَنُصَلِّي، وَنَصُومُ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أُولَئِكَ؟!

فَالجَوَابُ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ العُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ، أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلَامِ، وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ القُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ، كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّوْمَ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الحَجَّ.

وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَجِّ، أَنْزَلَ اللهُ فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧].

وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ، وَجَحَدَ البَعْثَ، كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء:١٥١].

فَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ، فَهُوَ الكَافِرُ حَقًّا، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ مَا ذُكِرَ، زَالَتِ الشُّبْهَةُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الإِحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا.

وَيُقَالُ أَيْضًا: إِنْ كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاةِ، أَنَّهُ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ وَالمَالِ بِالإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا البَعْثَ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ، وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا تَخْتَلِفُ المَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْآنُ كَمَا قَدَّمْنَا.

فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ؟؟ كَفَرَ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ لَا يَكْفُرُ؟! سُبْحَانَ اللهِ، مَا أَعْجَبَ هَذَا الجَهْلَ!

وَيُقَالُ أَيْضًا: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُؤَذِّنُونَ وَيُصَلُّونَ.

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ. فَقُلْ: هَذَا هُوَ المَطْلُوبُ، إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلًا إِلَىٰ رُتْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَفَرَ، وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَانِ وَلَا الصَّلَاةُ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ، أَوْ يُوسُفَ، أَوْ صَحَابِيًّا، أَوْ نَبِيًّا إِلَىٰ مَرْتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ! سُبْحَانَ اللهِ، مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ! ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٩﴾ [الروم:٥٩].

وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ، وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثْلَ الاعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ وَشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا، فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ؟ أَمْ

تَظُنُّونَ أَنَّ الاعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ يُكَفِّرُ؟!

وَيُقَالُ أَيْضًا: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ الَّذِينَ مَلَكُوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَانِ بَنِي العَبَّاسِ، كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ، فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ، أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ المُسْلِمِينَ.

وَيُقَالُ أَيْضًا: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَالقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَا مَعْنَىٰ البَابِ الَّذِي ذَكَرَ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: (بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ)؟

وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ.

ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا، مَثَل كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ.

وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ [التوبة:٧٤]، أَمَا سَمِعْتَ اللهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ وَيُزَكُّونَ وَيَحُجُّونَ وَيُوَحِّدُونَ؟!

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ

تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦]، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ، فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكَفِّرُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ أُنَاسًا يَشْهَدُونَ أَنْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَيُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ، ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ.

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا: مَا حَكَىٰ اللهُ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ إِسْلَامِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ، أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨].

وَقَوْلُ أُنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: «**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَحَلَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَذَا نَظِيرُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا**»(١).

وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ:

وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»، لَمْ يَكْفُرُوا.

فَالجَوَابُ أَن نَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا.

وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ لَكَفَرُوا، وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ، وَلَكِنْ هَذِهِ القِصَّةُ تُفِيدُ أَنَّ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٤٠٨).

المُسْلِمَ، بَلْ العَالِمَ قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الشِّرْكِ لَا يَدْرِي عَنْهَا، فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ وَالتَّحَرُّزَ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ: «التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ» أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ وَمَكَائِدِ الشَّيْطَانِ.

وَتُفِيدُ أَيْضًا أَنَّ المُسْلِمَ المُجْتَهِدَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامِ كفر وَهُوَ لَا يَدْرِي، فَنُبِّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ، أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ، كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَالَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ.

وَتُفِيدُ أَيْضًا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الكَلَامُ تَغْلِيظًا شَدِيدًا، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَلِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ: يَقُولُونَ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَىٰ أُسَامَةَ قتلَ من قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[1]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[2] وَأَحَادِيثُ أُخَرُ فِي الكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا.

وَمُرَادُ هَؤُلَاءِ الجَهَلَةِ أَنَّ مَنْ قَالَهَا لَا يَكْفُرُ، وَلَا يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ.

فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ الجُهَّالِ: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَ اليَهُودَ وَسَبَاهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُصَلُّونَ وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ بِالنَّارِ، وَهَؤُلَاءِ الجَهَلَةُ مُقِرُّونَ

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ كَفَرَ وَقُتِلَ، وَلَوْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ كَفَرَ وَقُتِلَ وَلَوْ قَالَهَا، فَكَيْفَ لَا تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ فَرْعًا مِنَ الفُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ؟ وَلَكِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَىٰ الأَحَادِيثِ.

فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ: فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا ادَّعَىٰ الإِسْلَامَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَىٰ الإِسْلَامَ إِلَّا خَوْفًا عَلَىٰ دَمِهِ وَمَالِهِ.

وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلَامَ، وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ. وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦]،أَيْ: فَتَثَبَّتُوا، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَنْهُ وَالتَّثَبُّتُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإِسْلَامَ قُتِلَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، وَلَوْ كَانَ لَا يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنًىٰ.

وَكَذَلِكَ الحَدِيثُ الآخَرُ وَأَمْثَالُهُ، مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ وَالإِسْلَامَ، وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ إِلَىٰ أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ!**»(١)، وَقَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(٢)، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِي الخَوَارِجِ: «**أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**»(٣)، «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(١) مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهْلِيلًا وَتَسْبِيحًا، حَتَّىٰ إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ صَلَاتَهُمْ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَلَا كَثْرَةُ العِبَادَةِ، وَلَا ادِّعَاءُ الإِسْلَامِ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ.

وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قِتَالِ اليَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ بَنِي حَنِيفَةَ.

وَكَذَلِكَ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي المُصْطَلِقْ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات:٦]، وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِبًا عَلَيْهِمْ.

وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي احْتَجُّوا بِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ.

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ: وَهُوَ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَىٰ، ثُمَّ بِعِيسَىٰ، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ»**(٢).

قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللهِ لَيْسَتْ شِرْكًا.

وَالجَوَابُ أَنَّ نَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَعْدَائِهِ!

فَإِنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِالمَخْلُوقِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا نُنْكِرُهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قِصَّةِ مُوسَىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥].

وَكَمَا يَسْتَغِيثُ الإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ فِي الحَرْبِ أَوْ غَيْرِهِ فِي أَشْيَاءَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا المَخْلُوقُ.. وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ العِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ، أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ.

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ: فَاسْتِغَاثَتُهُمْ بِالأَنْبِيَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ كَرْبِ المَوْقِفِ.

وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنْ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ وَيَسْمَعُ كَلَامَكَ، فَتَقُولَ لَهُ: ادْعُ اللهَ لِي، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ.

وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ، فَحَاشَا وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ، بَلْ أَنْكَرَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَلَىٰ مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، فَكَيْفَ بِدُعَائِهِ نَفْسِهِ ﷺ؟

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ: وَهِيَ قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ، اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ فِي الهَوَاءِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا.

قَالُوا: فَلَوْ كَانَت الاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرِيلَ شِرْكًا، لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبْهَةِ الأُولَىٰ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم:٥]، فَلَوْ أَذِنَ اللهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الأَرْضِ وَالجِبَالِ وَيُلْقِيهَا فِي المَشْرِقِ أَو المَغْرِبِ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ لَفَعَلَ.

وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرَىٰ رَجُلًا مُحْتَاجًا، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُقْرِضَهُ أَوْ أَنْ يَهَبَهُ شَيْئًا يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأْبَىٰ ذَلِكَ الرَّجُلُ المُحْتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَصْبِرُ إِلَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُ اللهُ بِرِزْقٍ لَا مِنَّةَ فِيهِ لِأَحَدٍ، فَأَيْنَ هَذَا مِن اسْتِغَاثَةِ العِبَادَةِ وَالشِّرْكِ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!

وَلْنَخْتِمِ الكَلَامَ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ- بِمَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ، تُفْهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ، وَلَكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الكَلَامَ لِعِظَمِ شَأْنِهَا، وَلِكَثْرَةِ الغَلَطِ فِيهَا.

فَنَقُولُ: لَا خِلَافَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالعَمَلِ، فَإِنِ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُسْلِمًا، فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ؛ كَفِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ وَأَمْثَالِهِمَا.

وَهَذَا يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَقُولُونَ: هَذَا حَقٌّ، وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ، وَلَكِنَّا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَنْ وَافَقَهُمْ، أَوْ غَيْر ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ، وَلَمْ يَدْرِ المِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الكُفْرِ يَعْرِفُونَ الحَقَّ، وَلَمْ يَتْرُكُوه إِلَّا لِشَيْءٍ مِنَ الأَعْذَارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة:٩]، وَغَيْر ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦].

فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلًا ظَاهِرًا وَهُوَ لَا يَفْهَمُهُ أَوْ لَا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ، فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الكَافِرِ الخَالِصِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ مَسْأَلَةٌ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ، تَتَبَيَّنُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ،

تَرَىٰ مَنْ يَعْرِفُ الحَقَّ وَيَتْرُكُ العَمَلَ بِهِ؛ لِخَوْفِ نَقْص دُنْيَا أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً لِأَحَدٍ، وَتَرَىٰ مَنْ يَعْمَلُ بِهِ ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا، فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ، فَإِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ.

وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ:

أُولَاهُمَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦].

فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوا الرُّومَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالكُفْرِ أَوْ يَعْمَلُ بِهِ خَوْفًا مِنْ نَقْصِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً لِأَحَدٍ، أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا.

وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النحل:١٠٦، ١٠٧].

فَلَمْ يَعْذِرِ اللهُ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ.

وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ، سَوَاءٌ فَعَلَهُ خَوْفًا، أَوْ مُدَارَاةً، أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَغْرَاضِ إِلَّا المُكْرَه، **فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا مِنْ جِهَتَيْنِ:**

الأُولَىٰ: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل:١٠٧]، فَلَمْ يَسْتَثْنِ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَّا المُكْرَه.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يُكْرَهُ إِلَّا عَلَى الكَلَامِ أَوْ الفِعْلِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ القَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ.

وَالثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الكُفْرَ وَالعَذَابَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الاعْتِقَادِ، أَوِ الجَهْلِ، أَوِ البُغْضِ لِلدِّينِ، أَوْ مَحَبَّةِ الكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا، فَآثَرَهُ عَلَى الدِّينِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

خاتمة التعليقات البهية

على الرسائل العقدية

بقلم

حسن بن محمد بن منصور دغريري

الخاتمة

الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، ونُصلِّي ونُسَلِّم علىٰ خير داعٍ إلىٰ الطاعات، وبشيرٍ من ربِّه بالجَنَّات، وعلىٰ آله وأتباعه بإحسانٍ علىٰ نهج الرسل بالهدىٰ والبينات، ومَن تَبِعَهم علىٰ الحقِّ إلىٰ يوم وزن الحسنات والسيئات، **وبعد:**

فها نحن قد وصلنا معكم -أيُّها الإخوة القُرَّاء من المؤمنين والمؤمنات- إلىٰ نهاية المَطَاف والحديث عما بيَّن ووضَّح فيه شيخنا عما تحويه هذه المتون العظيمة من متون شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العبارات الغامضات، والجُمل المُشتبهات؛ فقد أحسن شيخُنا فيه وأفادَ، فجزاه الله خيرًا، وأجزل الله له العَطَايا والمكرمات من ربٍّ كريم واسعِ الفضل وغافر الزَّلَّات، وجعلنا وإيَّاكم وسائر المسلمين من أهل الفوز برضوانه والعتق من نيرانه يوم يقوم الأشهاد.

وإنْ كان لي من كلمةٍ في هذه الخاتمة أرجو بها النجاةَ يوم القيامة؛ فهي أنَّ أيَّ عمل بشري قد يُصيب فيه صاحبه وقد يُخطئ، وكلنا ذاك الرجل الذي يَعتريه من القصور والنقص ما يعتريه، فإن وجدتم -إخواني القراء الكرام- في هذا السِّفر الصغير من خطإٍ فَنَبِّهُونا عليه بأسلوبٍ حَسَنٍ يَظهر منه حسنُ

القصد، ومنه الخير والصلاح، وإن وجدتم فيه من الصواب فادعوا لشيخنا أحمد بن يحيىٰ النجمي ولي بالتوفيق والسداد ولسائر المسلمين.

ثم أقول ثانيًا: إنَّ علىٰ كل طالب علم أن يغتنم فرصة وجود علماء السُّنَّة بالقرب منه، وعليه أن يحرص علىٰ الاستفادة منهم في أمر دينه قبل أن تُوارىٰ أجسادُهم تحت التراب فلا يبقىٰ بعد ذلك إلَّا ما ورَّثه العالم من كُتُبِهِ، وما تركه في الناس من الأسوة والقدوة الصالحة.

فاحرصوا -يا مَن تسمعون بهذا الشيخ الجليل أو تعرَّفتم عليه أو سَكَنتم بجواره- أن تجلسوا في مجالسه، وتثنوا الرُّكَبَ للأخذ عنه بقدر الجهد والطاقة.

واحذروا كلَّ الحذر أن تُفتح عليكم الدنيا فتُهلِكَكُم كما أهلكت مَن قبلكم.

واحذروا كلَّ الحذر من أن يجتاحكم أهلُ الضلال فتنقادوا لهم فتكونوا بعد ذلك من النادمين، فارعوا نِعَمَ الله عليكم، واشكروا ربَّكم علىٰ ذلك.

نسأل اللهَ أن يُحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يُجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

حرَّرها

حسن بن محمد بن منصور دغريري

غُرَّة شهر شوال (١٤٢١/١٠/٦هـ)

فهرس

الموضـــوعات

فهـرس الموضـوعات

❑ مقدمة التحقيق للطبعة الثانية ١

❑ ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب للشيخ عبد العزيز بن باز ١٣

❑ ترجمة فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله ٤١

- اسمه ونسبه ٤١
- ولادته ونشأته ٤١
- نشأته العلمية ٤٢
- أعماله ٤٣
- شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم، وهم بالترتيب الزمني ٤٤
- تلاميذه ٤٤
- مؤلفاته ٤٥
- صفاته رحمه الله ٤٦
- وفاته رحمه الله ٥٣
- الخاتمة ٥٤

التعليقات على الأصول الثلاثة

❑ المتن ٥٩

❑ ما يجب على المسلم تعلمه ٧٥

- المسألة الأولى: العلم ٧٥
- المسألة الثانية: العمل بهذا العلم ٨٠

- المسـألة الثالثة: الدعوة إلى هذا العلم ٨١
- المسـألة الرابعة: الصَّبر على الأذى في هذا العلم ٨٢

❑ الثلاث المسائل التي بها نعرف حقيقة التوحيد ٨٤

- المسـألة الأولى: الغـاية من الخـلق ٨٤
- المسـألة الثانية: خطورة الشرك ٨٨
- المسـألة الثالثة: الولاء والبراء ٩٠
- معنى الحنيفية ٩٥

❑ أعظم ما أمر الله به وأعظم ما نهى عنه ٩٧

❑ الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ٩٩

❑ الثلاثة الأصول التي يجب معرفتها ١٠٠

○ الأصل الأول: معـرفة الرب ﷻ ١٠٢

- بم نعرف الرب؟ ١٠٤
- الآيات الكونية الدالة على الرب ١٠٥
- المخلوقات دالة على ربوبية الله ١٠٧
- الرب: هو المعبود بحق ١٠٨
- الدليل على عبودية الله وحده ١٠٩
- أنواع العبادة التي أمر الله بها ١١١
- من أنواع العبادة: الخوف ١١٣
- من أنواع العبادة: الرجاء ١١٤
- أنواع أخرى من العبادة ١١٥
- الأدلة على وجوب هذه العبادات لله وحده ١١٧

○ الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام ١٢٤

○ المرتبة الأولى: الإسلام ١٢٦

- دليل الشهادة بالرسالة لمحمد ﷺ ١٢٩
- معنى شهادة الرسالة لمحمد ﷺ ١٣١
- دليل مشروعية الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد ١٣٢
- دليل مشروعية الصيام والحج ١٣٣

المرتبة الثانية: الإيمان ١٣٤

- بيان شعب الإيمان ١٣٥
- أركان الإيمان ١٣٧

المرتبة الثالثة: الإحسان ١٤٣

الأصل الثالث معرفة النبي ﷺ ١٤٦

- طرف من سيرته ﷺ المشرقة ١٤٨
- البعث بعد الموت ١٥٦
- التكذيب بالبعث كفر ١٥٨
- مهمة الرسل: البشارة والنذارة ١٦١
- دعوة الرسل واحدة وهي: عبادة الله واجتناب الطاغوت ١٦٣
- من هم رؤوس الطواغيت؟ ١٦٥
- رأس الأمر الإسلام ١٦٧

التعليقات على الأصول الستة

المتن ١٧١

- الأصل الأول: الإخلاص ١٧٧

- الأصل الثاني : الأمر بالاجتماع والائتلاف والنهي عن التفرق والاختلاف ١٨٤
- الأصل الثالث: السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية ١٨٩
- الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء وبيان من تشبه بهم وليس منهم.............. ١٩٣
- الأصل الخامس: بيان الله لأوليائه ٢٠١
- الأصل السادس: الرد على شبهة أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق ٢٠٥

التعليقات على القواعد الأربع

- المتن ٢١٥
  - عنوان السعادة.. ٢٢١
  - معنى الحنيفية.. ٢٢٤
  - لا عبادة إلا مع التوحيد ٢٢٦
  - أهمية معرفة خطورة الشرك ٢٢٨
    - القاعدة الأولى ٢٢٩
    - القاعدة الثانية ٢٣١
    - القاعدة الثالثة ٢٣٥
    - القاعدة الرابعة... ٢٣٨

التعليقات على نواقض الإسلام

- المتن ٢٤٣
  - الناقض الأول: الشرك ٢٤٧
  - الناقض الثاني: اتخاذ الوسائط.................................... ٢٥٠

- الناقض الثالث: ترك تكفير المشركين........................252
- الناقض الرابع: اعتقاد أن هدي غير النبي أكمل من هديه 254
- الناقض الخامس: بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ 256
- الناقض السادس: الاستهزاء بشيء من دين الرسول ﷺ 257
- الناقض السابع: السحر........................259
- الناقض الثامن: مظاهرة المشركين على المسلمين 267
- الناقض التاسع: اعتقاد أن أحدًا يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ.... 269
- الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى 271
- **الهازل والجاد في هذه النواقص سواء ما عدا المكره 273**

التعليقات على تعليقات ابن باز على نواقض الإسلام

- **تعليقات الإمام ابن باز على نواقض الإسلام........................279**
- **المقدمة 283**
  - الناقض الأول: الشرك 285
  - الناقض الثاني: اتخاذ الوسائط 287
  - الناقض الثالث: ترك تكفير المشركين........................289
  - الناقض الرابع: اعتقاد أن هدي غير النبي أكمل من هديه 291
  - الناقض الخامس: بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ........................293
  - الناقض السادس: الاستهزاء بشيء من دين الرسول ﷺ........................295
  - الناقض السابع: السحر 297
  - الناقض الثامن: مظاهرة المشركين على المسلمين 299

۞ الناقض التاسع: اعتقاد أن أحدًا يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ . ٣٠١

۞ الناقض العاشر: الإعراض الكلي عن دين الله تعالى........................ ٣٠٤

❑ خاتمة... ٣٠٦

التعليقات على كشف الشبهات

❑ إفراد الله بالعبادة دين جميع الأنبياء والمرسلين ٣١١

❑ مشركو العرب يقرون بتوحيد الربوبية ٣١٥

❑ الموت على الشرك يوجب الخلود في النار ٣٢٠

❑ حكمة الله في ابتلاء أنبيائه بأعداء من الإنس والجن..........................٣٢٢

❑ العامي من الموحدين يغلب ألفًا من علماء المشركين ٣٢٥

❑ أهل العلم والإيمان هم الغالبون بالحجة واللسان والسيف والسنان ٣٢٧

❑ دحض القرآن لمزاعم أهل البطلان ٣٢٩

❑ الجواب المجمل والمفصل على افتراءات أهل الباطل...............................٣٣١

❑ أكبر شبه أهل الباطل ٣٣٦

❑ حق الله على العباد...٣٣٩

❑ تتمة رسالة «كشف الشبهات»..٣٤٣

❑ الخاتمة ٣٦٣

❑ فهرس الموضوعات ٣٦٧

الطائفة الناجية المنصورة

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

دار المنهاج
منارة الإسلام للنشر والتوزيع

القول الحثيث

على

عقيدة أهل الحديث

من مقالات الإسلاميين

« للإمام أبي الحسن الأشعري »

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

تحقيق وتخريج

حسن بن منصور الدغريري

منارة الإسلام
للنشر والتوزيع

دار المنهاج

فتح الرب الغني

بتوضيح شرح السنة للمزني

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

تحقيق وتخريج

حسن بن إبراهيم الدغيري

دار المنهاج

منارة الإسلام
للنشر والتوزيع

فتح الرحيم الودود

في التعليق على

كتاب السنة من سنن الإمام أبي داود

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

منارة الإسلام
للنشر والتوزيع

دار المنهاج